جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامـعـة ميسان / كلية التربية
قسم اللغة العربية / الدراسات العليا

البنية المقطعية في القراءات القرآنية دراسة في بعض الظواهر الصوتية

رسالة تقدمت بها

سعاد عباس سيد

إلى مجلس كلية التربية في جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

إشراف

أ.د. حسن حميد محسن

1442 ه **2020 م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (16)﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة المائدة : 15و16)

إقرار المشرف

أشهد أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ ((**البنية المقطعية في القراءات القرآنية دراسة في بعض الظواهر الصوتية**)) التي تقدمت بها الطالبة (**سعاد عباس سيد**) قد جرت بإشرافي في قسم اللغة العربية / كلية التربية / جامعة ميسان، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع:

المشرف : أ.د. حسن حميد محسن

التاريخ: / /2020

توصية رئيس القسم :

بناء على التوصيات المتوافرة, أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

رئيس قسم اللغة العربية: أ. م. د. علي عبد الرحيم

التاريخ : / /2020

الإهـــــــــداء

إلى .....

رسول الإنسانية والسلام محمد الآمين مبعوث رب العالمين(صلى الله عليه وآله وسلم)...

إلى من لهج لساني بذكرهِ فلم يُخيب ظنّي.. الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)

إلى التي كانت دائماً حاضرةً معي في كلِّ خطوة سيدتي بنت الإمام الحسن المجتبى السيدة شريفة (عليهما السلام)....

إلى بنت الإمام موسى بن جعفر السيدة هيلة (عليهما السلام)....

إلى الذي افتخر أنْ أضعهُ تاج ملك فوق رأسي ..... أبي حبيبي

إلى التي أرضعتني حُبُّ علي (عليه السلام) ..... أُمّي حبيبتي

... أُهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قائمة المحتويات	أ ـــ ج
المقدمة	ح ـــ ذ
التمهيد	1 ـــ 9
المحور الأول : القراءات القرآنية	1 ـــ 2
المحور الثاني : المقطع الصوتي العربي في الظواهر الصوتية للقراءات القرآنية	2ـــ 3
المحور الثالث : المقطع الصوتي	3ـــ 9
الباب الأول : المقطع الصوتي وعلاقته بأوجه التأثير في الصوامت دراسة في ضوء ظاهرتي (الإدغام، والإبدال)	10ـــ 98
الفصل الأول : ظاهرة الإدغام	10ـــ 60
توطئة	10
حدّ الإدغام	11 ـــ 13
الإدغام لغة	11
الإدغام اصطلاحاً	11 ـــ 13
الغاية من الإدغام	13 ـــ 14
أحكامه : شروطه وأسبابه	15
موانعه	16 ـــ 20
العلاقة بين المقطع الصوتي وظاهرة الإدغام	21 ـــ 26
الاداء النقطي المشكل للمقطع الصوتي في أحكام إدغام المثلين	27 ـــ 39
أولاً : عند سكون المثلين في كلمة واحدة أو في كلمتين	27ـــ 29
أ ـــ سكون المثل الأول في كلمة واحدة	27 ـــ 28
ب ـــ سكون المثل الأول في كلمتين	28 ـــ 29
ثانياً: تحرك المثلين في كلمة واحدة أو في كلمتين	29 ـــ 40
أ ـــ المثلان المتحركان في كلمة واحدة	29 ـــ 34
ب ـــ المثلان المتحركان في كلمتين	34 ـــ 39
1ـــ تحرك المثلين في كلمتين وما قبل الأول حرف صحيح ساكن	36-38
2ـــ تحركُ المثلين في كلمتين، وما قبل الأول حرف مدٍّ	38-39
المقطع الصوتي في أحكام إدغام المتقاربين	39-59
أولاً : المتقاربان المتحركان في كلمة واحدة	39-40
ثانياً: المتقاربان المتحركان في كلمتين	40-43
ثالثاً: المتقاربان في كلمة واحدة والأول ساكن	43-45
رابعاً: المتقاربان في كلمتين والأول ساكن	45-46
خامساً: المتقاربان في كلمتين والأول ساكن لبناء	46-60
أ ـــ ذال (إذ)	46-48
ب ـــ دال (قد)	48-50
ت ـــ تاء التأنيث	51-53
ث ـــ لام (هل) و(بل)	53-55
ج ـــ النون الساكنة والتنوين	55-60
1ـــ إدغام النون الساكنة والتنوين في اللام والراء	55-57
2ـــ إدغام النون الساكنة والتنوين في الميم	57-58
3ـــ إدغام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو	58-60
الفصل الثاني : ظاهرة الإبدال	61-98
توطئة	61
حد الإبدال	62

الإبدال لغة	62
الإبدال اصطلاحا	62
الفرق بين الإبدال والعوض والقلب	63
الغاية من الإبدال	64
أنواع الإبدال وحروفه	66-64
أولاً: الإبدال الصرفي (القياسي)	65-64
ثانياً : الإبدال اللغوي	66-65
التفاعلات الصوتية في تبادل الأصوات	67-66
المقطع الصوتي في إبدال الهمزة (حركة طويلة)	83-67
أولاً : إبدال الهمزة الساكنة بحركة ما قبلها	74-69
أ ـــ إبدال الهمزة الساكنة واواً	71-70
ب ـــ إبدال الهمزة الساكنة ياءً	73-71
ج ـــ إبدال الهمزة الساكنة ألفاً	74-73
ثانياً : إبدال الهمزة المتحركة وما قبلها متحرك	83-74
أ ـــ أنْ تكون مفتوحة وما قبلها مضموم	77-74
ب ـــ أنْ تكون مفتوحة وما قبلها مكسور	79-77
ج ـــ أنْ تكون مفتوحة وما قبلها مفتوح	83-80
المقطع الصوتي في إبدال تاء الافتعال	92-83
أولاً : إبدال تاء الافتعال طاءً	88-84
ثانياً : إبدال تاء الافتعال دالاً	92-88
الاداء النقطي المعبر عنه بالمقطع الصوتي في إبدال (أصوات الصفير)	98-92
أولاً : إبدال الصاد زاياً	94-92
ثانياً : إبدال السين صاداً	98-94
الباب الثاني : المقطع الصوتي وعلاقته بأوجه التأثير في الصوامت دراسة في ضوء ظاهرتي (المدّ والقصر، والإمالة والفتح)	191-99
الفصل الأول : ظاهرة المدّ والقصر	137-99
توطئة	99
حدّ المدّ	100
المدّ لغة	100
المدّ اصطلاحا	100
حدّ القصر	100
القصر لغة	100
القصر اصطلاحا	101
أحرف المدّ	101
أولاً : مفهومها	103-101
كيفية إنتاجها	103
ثانياً : حرفا اللين (الواو والياء)	109-107
أقسام المدّ	110-109
أحكامه	110
المقطع الصوتي في المدّ	137-111
أولاً : الأسباب اللفظية	128-111
موقع الصائت الطويل قبل الهمزة	119-112
أولاً : المدّ المتصل	114-112
ثانياً : المدّ المنفصل	119-114
موقع الصائت الطويل قبل السكون	126-119
أولاً : قبل الصوت المدغم اللازم	123-119
ثانياً : قبل الصوت الساكن العارض	128-124
أ ـ الساكن المدغم	126-124

ب ـ الساكن غير المدغم (ما سكّن للوقف)	128-126
ثانياً : الأسباب المعنوية	135-128
أغراضه	131-129
أ ـــ مدّ التعظيم	130-129
ب ـــ مدّ المبالغة للنفي	131-130
موقع الصائت الطويل في مدّود القرآن	137-131
أولاً : مدّ الحَجْز	131
ثانياً : مدّ العدل	132
ثالثاً : مدّ التمكين	132
رابعاً : مدّ البسط	133-132
خامساً : مدّ الروم	133
سادساً : مدّ الفرق	134-133
سابعاً : مدّ البنية	134
ثامناً : مدّ المبالغة	134
تاسعاً : مدّ البدل	135-134
عاشراً : مدّ الأصل	137-135
الفصل الثاني : ظاهرة الإمالة والفتح	191-138
توطئة	138
حدّ الإمالة	139
الإمالة لغة	139
الإمالة اصطلاحاً	140-139
حدُّ الفتح	140
الفتح لغة	140
الفتح اصطلاحاً	140
الأصل بين الإمالة والفتح	142-140
العلّة من الإمالة	144-142
الإمالة والفتح في اللهجات العربية	146-144
الإمالة في تصوّر المحدثين	149-146
أسباب الإمالة	150-149
المقطع الصوتي في توجيه الإمالة	191-150
ما أميل لكسرة	150
أولاً : إمالة الألف التي بعدها راء متطرفة مكسورة، بكسرة إعراب	153-150
ثانياً : إمالة الألف التي بعدها كسرة بناء متطرفة	156-153
الألف بين راءين	158-157
إمالة الألف التي يُكسر ما قبلها في بعض الأحوال	164-158
ما أميل لتدل أمالته على أصله	191-164
في الأبنية الثلاثية من الأسماء والأفعال	191-166
أولاً : في الثلاثي من الأسماء	170-167
ثانياً : في الثلاثي من الأفعال	170-168
فيما زاد عن الثلاثي في الأسماء والأفعال	171
أولاً : ما زاد على الثلاثي من الأسماء	174-171
ثانياً : ما زاد على الثلاثي من الأفعال	177-174
الإمالة للإمالة	182-177
إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف	191-182
الخاتمة ونتائج البحث	193-192
المصادر والمراجع	204-194
ملخص الرسالة باللغة الإنكليزية	A — B

الـمقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين أول آية في كتابه المبين والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغُرِّ المنتجبين.

أمّا بعد :

إنَّ الظواهر الصوتية لمسها القرّاء واقعاً لا نظرية، إذ إنَّ هذه الظواهر تعد مصطلحاً لغوياً يُستعمل في مجالات الدرس الصوتي، وتُعدُّ كُتب القراءات القرآنية من الكتبِ الثريةِ بالظواهرِ الصوتية، لِمَا لها من علاقةٍ كبيرةٍ بتلاوةِ القُرآن الكريم، فإنَّ أصحاب هذه الكتب قد بذلوا جهوداً كبيرةً في خدمةِ كتاب الله المجيد، فدرسوا كُلَّ ما يتعلق به من ظواهر، في مفرداته ومعانيها، وصياغتها وتراكيبها، وقدموا لنا تراثاً لغوياً ضخماً، منه ما يتعلق بالمستوى الصوتي، إذ درسوا ظواهر صوتية كثيرة مبوبة بأبوابٍ خاصةٍ ثريةٍ بالشواهدِ القُرآنية، وقد اقترح عليّ أستاذي المشرف الدكتور(حسن حميد اللامي) أنْ يكون موضوع دراستي (البنية المقطعية في القراءات القرآنية دراسة في بعض الظواهر الصوتية)، فوافق اختياره رغبتي في الوقوف عند هذا الموضوع، لذا شَرَعتُ بقراءةِ كثير من كتبِ القراءات القرآنية قراءة متمعنة، وقد أقتصرتْ دراستي على أربعِ ظواهر متمثلة بـ (الإدغام، والإبدال، والمدِّ والقصر، والإمالة والفتح)؛ لأنَّ دراسة جميع الظواهر الصوتية في كتبِ القراءات القرآنية يأخذ متسعاً من الوقت والجهد؛ وذلك لِكَثرةِ مؤلفاته وتشعب موضوعاته، مما يؤدي إلى صعوبة الإحاطة بمتطلباته على الوجه الأمثل.

لذا حددتُ هدف الدراسة بإتجاه بيان بنية المقطع في الظواهر الصوتية من حيث (الوجوب، والجواز، والمنع، واللزوم).

وقد اطلعتُ على دراسات سابقة لباحثين ومختصين في مجال دراسة المقطع الصوتي، وكذلك دراسات لبعض القراءات القرآنية للقرّاء، تناولت الظواهر الصوتية وأثرها في توجيه تلك القراءات؛ لغرض الوقوف على مضامينها وتوجهات دراستها، إذ إنَّ ذكر المحدثين وتوظيف مراجعهم هو بمثابة جهود سابقة للموضوع، وهذا ما جعلني ابتعد عن تكرار ما جاء في تلك الدراسات، والمجيء بدراسةٍ جديدةٍ مضافةٍ لهذا الحقل من الدراسات، إذ أُخْتَصت دراستي بأحكام الظواهر الصوتية من(الوجوب، والجواز، والمنع، واللزوم)، ويعد النظام المقطعي من الظواهر الصوتية التي تؤثر في تغيير البِنْية للكلمة، وتمثل المقاطع النسيج الفعلي للغة، وهي لطبيعة تشكيلها وتتابعها تعطي اللغة سماتها وطابعها في النطق فتتمثل بذلك الطراز اللغوي لها، ومن هذا المنطلق توجهتُ لدراسة ما يحصل للتراكيب اللغوية من متغيرات صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، الذي أتخذ من المقطع الصوتي أداة حاكمة لتوجيه تلك الظواهر.

فإنَّ ذلك كلّهُ يتطلب أنْ تكون دراستي وصفية تحليلية تطبيقية، لذا اقتضت طبيعة الدراسة أنْ يكون هذا البحث على بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد.

وما تقدم من إيجاز يخصّ **المقدمة** التي أشرتُ إليها، أمّا **التمهيد** فكان على ثلاثة محاور، بيّنتُ في المحور الأول : القراءات القرآنية (ماهيتها، وفائدتها، وغايتها)، وفي المحور الثاني : تحدثتُ عن المقطع الصوتي العربي في الظواهر الصوتية للقراءات القرآنية كظاهرة (الإدغام، والإبدال، والمدِّ والقصر، والإمالة والفتح)، أمّا المحور الثالث : فقد تناولتُ فيه المقطع الصوتي من حيث بيان (ماهيته، وأهميته، وأنواعه، وخصائصه).

وخصصتُ **الباب الأول** لدراسة (المقطع الصوتي وعلاقته بأوجه التأثير في الصوامت دراسة في ضوء ظاهرتي الإدغام، والإبدال)، وكان على فصلين :

الفصل الأول : عرضتُ فيه **ظاهرة الإدغام**، والمقطع الصوتي في أحكام إدغام المثلين، والمقطع الصوتي في أحكام إدغام المتقاربين.

والفصل الثاني : درستُ فيه **ظاهرة الإبدال**، والمقطع الصوتي في إبدال الهمزة (حركة طويلة)، والمقطع الصوتي في إبدال تاء الافتعال، والمقطع الصوتي في إبدال (أصوات الصفير).

أمَّا الباب الثاني : فقد **خصصته** لدراسة (المقطع الصوتي وعلاقته بأوجه التأثير في الصوائت دراسة في ضوء ظاهرتي المدّ والقصر، والإمالة والفتح)، وقُسّمَ على فصلين :

الفصل الأول : وجهتُ البحث فيه لدراسة **ظاهرة المدَّ والقصر**، وبيان المقطع الصوتي في المدّ، منه : في مدِّ الصائت الطويل في السبب اللفظي، ومدِّ الصائت الطويل في السبب المعنوي، وموقع الصائت الطويل في مدِّود القرآن.

والفصل الثاني : درستُ فيه **ظاهرة الإمالة والفتح**، و بيّنتُ المقطع الصوتي في توجيه الإمالة، وما أُمِيلَ لتدل إمالته على أصله في (الأسماء والأفعال)، والإمالة للإمالة، وإمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف.

وتلت هذه الفصول الخاتمة تضمنت أهم ما توصل إليه البحث من نتائج، ثم أردفناها بقائمة المصادر والمراجع، وملخص باللغة الإنكليزية.

وقد استعنتُ في دراستي بمجموعة من المصادر والمراجع التي أفادت البحث كثيراً، تمثلت في مصادر النحو والصرف نحو : الكتاب لسيبويه (ت 180ه)، والمقتضب للمبرد (ت285ه)، والأصول في النحو لابن السراج (ت 316ه)، والخصائص لابن جني (ت 392ه)، وشرح المفصل لابن يعيش (ت 643ه)، والشافية في علمي التصريف والخط لابن الحاجب (ت 646ه)، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي الأستراباذي (ت 686ه)، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي (ت 749ه)، وغيرها من كتب القُدماء.

و استند البحث إلى كثير من كتب القراءات القرآنية التي تمثل المصدر الأساس لهذا البحث، ومنها : الإدغام الكبير في القرآن الكريم : لأبي عمرو بن العلاء (ت 154ه)، والسبعة في القراءات : لابن مجاهد (ت 324ه). الكشف لمكي بن أبي طالب القيسي (ت

355ه)، والتذكرة في القراءات لابن غلبون (ت 399ه) والتحديد في الإتقان والتجويد : لأبي عمرو الداني (ت 444ه)، والأقناع في القراءات السبع : لأبي جعفر أحمد بن أحمد خلف الأنصاري (ت 540ه)، والنشر لابن الجزري (ت 833ه)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للشيخ أحمد بن محمد البنّاء (ت 1117ه)، وغيرها من كتب القراءات القرآنية.

أمّا كتب المحدثين والتي صبّت أهتمامها بدراسة تلك الظواهر منها : أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة : للدكتور فوزي الشايب، و الأصوات اللغوية : للدكتور إبراهيم أنيس، والأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : للدكتور سمير شريف إستيتية، والمقطع الصوتي في العربية : للدكتور صباح عطيوي عبود، وأصوات اللغة العربية (الفوناتيك والفونولوجيا) : للدكتور إبراهيم مصطفى العبد الله النمارنة، و التشكيل الصوتي في اللغة العربية : للدكتور سلمان حسن العاني، و التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : للدكتور الطيب البكوش، و التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : للدكتور رمضان عبد التواب، وكان لهذا التنوّع بالمصادر أثره في إمداد البحث بمادَّته العلمية.

وأخيراً وليس آخراً، شكراً لله أولاً على إتمام فضله سُبحانه، وأشكر الدكتور المشرف (حسن حميد اللامي) لأقتراح هذا العنوان، خدمة للبحث العلمي والرُقي به.

وأوجه شكري الجزيل لأسرة قسم اللغة العربية وآدابها عامة، ويشرفني ويسعدني أنْ أدون في هذه الصفحة أخلص العبارات وأصدق الكلمات شكراً وعرفاناً بفضائلِ كلِّ من الدكتور عبد الحسين طاهر الربيعي، والدكتور علي موسى الكعبي، والدكتور محمد مهدي الساعدي، وإلى زملائي في السنة التحضيرية أسال الله لهم التوفيق، وإلى كلِّ من مدّ لي يد العون والمساعدة فكان عوناً وداعماً وسنداً لي في تخطي الكثير...

وبعد فهذا عمل يسير أردتُ أنْ أخدم فيه القرآن الكريم عبرَ دراسة مفرداته في كتب القراءات القرآنية دراسة صوتية مقطعية فإنْ أصبتُ فبهداية الله وتوفيقه وإنْ اعتوره من قصور فمن نفسي، وخير ما أُختم به الكلام ما بدأتْ به أنْ الحمد لله ربّ العالمين.

الباحثة

التمهيد

لقد ألزمني عنوان البحث أنْ تكون محاور التمهيد متلائمة مع معطيات العنوان لذا، قسمتها على ثلاثة محاور وهي :

المحور الأول : القراءات القرآنية (ماهيتها، وفائدتها، وغايتها)..

المحور الثاني : المقطع الصوتي العربي في الظواهر الصوتية للقراءات القرآنية كظاهرة (الإدغام، والإبدال، والمدِّ والقصر، والإمالة والفتح).

المحور الثالث : المقطع الصوتي (ماهيته، وأهميته، وأنواعه، وخصائصه).

المحور الأول : القراءات القرآنية :

ماهية القراءات :

القراءات لغةً : القراءة : هي من قرأ، إذ يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170ه) : "قرأ : وقَرَأْتُ القرآن عن ظهر قلْبٍ أو نظرت فيه وقَرَأ فلان قِراءةً حسنة، فالقرآن مقروء، وأنا قارىء"[1].

القراءات اصطلاحاً : عرّفها الزركشي (ت 794ه) بأنَّها : "اختلاف ألفاظ الوحي - المذكور- في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها"[2]، على أنَّهُ اقتصر في تعريفه على المختلف في حين توسع ابن الجزري ليضم المتفق أيضاً، إذ قال بأنَّهُ : "علمٌ بكيفية أَداء كلمات القرآن، واختلافها معزُوّاً لِناقِله"[3].

وعرّف أحمد بن محمد البنّاء، مبيّناً ما تختص القراءات من متفق ومختلف فيه، إذ قال: "علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره، من حيث السماع"[4]، فاشترط كلّ من ابن الجزري وأحمد بن محمد البنّاء في القراءة النقل والسماع؛ لأنَّها مستمدةٌ "من السنة، والإجماع"[5].

من ذلك نجدها قد اتخذت تعريفها؛ لأنَّها علم قائم بذاته يطلق عليه (علم القراءات) وهي ترتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً.

فائدتها وغايتها :

يقول أحمد بن محمد البنّاء في فائدتها : "صيانته عن التحريف، والتغيير مع ثمرات كثيرة، ولم تزل العُلماء تستنبط من كلِّ حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة

(1) العين : للخليل بن أحمد الفراهيدي : مادة (قرأ) : 5/ 205.
(2) البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين محمد الزركشي :1/ 318، وينظر : المهذب في القراءات العشر : د. محمد سالم محيسن : 6.
(3) منجد المقرئين ومرشد الطالبين : محمد بن محمد بن الجزري : 49.
(4) إتحاف فضلاء البشر : أحمد بن محمد البنّاء : 6.
(5) المصدر نفسه : 6.

الآخر، والقراءة حجة الفقهاء في الإستنباط، ومحجتهم في الاهتداء مع ما فيه من التسهيل على الأمة، وغايته : معرفة ما يقرأ به كل من أئمة القرّاء"[1].

المحور الثاني : المقطع الصوتي العربي في الظواهر الصوتية للقراءات القرآنية :

1 _ **ظاهرة الإدغام** : ظاهرةٌ مهمة في القراءات القرآنية تُعبّر عن اتحاد صوتين (متماثلين، أو متقاربين، أو متجانسين) ليشكلا حرفاً واحداً مشدداً، سواء أكان في كلمة، أو في كلمتين على أنْ يكون الأول ساكناً والثاني متحركاً، وهذا شرطه دون مانع يمنع التقاء الحرفين[2]، وهي الظاهرة التي رصدنا تحكم المقطع الصوتي في وجوب تحققها، أو عدمه مستأنسين بنماذج من القراءات القرآنية، لتكون موضوعاً لتطبيق دراستنا.

2 _ **ظاهرة الإبدال** : وهذه الظاهرة سوّغت عن تناسب الحروف بعضها لبعض نتيجة للتطور الصوتي الذي حدث لها عبرَ الزمن[3]، إذ لَقِيت عناية بالغة القُدماء[4]، وأصحاب القراءات[5]، والمحدثين[6]، فعمل البحث على أتخاذ تفاعل الأصوات داخل المفردات القرآنية، وتناولها مقطعياً ومدى تناسب المقطع الصوتي للعمليات الإبدالية التي سنتناولها في الفصل الثاني من الباب الأول في أحكام هذه الظاهرة العميقة.

3 _ **ظاهرة المدّ** : وتُعدُّ من الظواهر الصوتية للصوائت، إذ لَقِيت هذه الظاهرة عناية كبيرة من قبل أصحاب كتب القراءات[7]، لمّا لها من علاقة وثيقة بتلاوة القرآن الكريم، فتمثلت بمدِّ الصائت الطويل (صوت المدّ) سواء أكان (ألفاً، أو واواً، أو ياءً)، ودراسة مدى تأثير المقطع الصوتي في أسباب المدِّ الصوتية (اللفظية، أو المعنوية)، وملاحظة تشكيلاتها المقطعية، ومدى تناسبها لأحكام هذه الظاهرة في المفردات القرآنية التي وقف عليها البحث في القراءات القرآنية.

4 _ **ظاهرة الإمالة** : وهي من الظواهر الصوتية التي اعتمدت الصوائت لتحقيقها لإبتغاء التخفِّيف، فقد ظهرت بشكل واسع في كتب القراءات القرآنية[8]، لِمَا فيها من تسهيل لعملية النطق؛ وذلك تبعاً للحركة النطقية التي يتخذها اللسان عندما يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والإنحدار أخفّ على اللسان العربي من الارتفاع، فعملوا بالإمالة[9].

---

(1) المصدر نفسه : 6.
(2) ينظر : النشر : لابن الجزري : 1/ 274، و إتحاف فضلاء البشر : 109.
(3) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : د. رمضان عبد التواب : 15-16-17
(4) ينظر : شرح المفصل : ابن يعيش النحوي : 5/ 347، وشرح شافية ابن الحاجب : 3/ 197.
(5) ينظر : النشر : 2/ 129.
(6) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : د. عبد الصبور شاهين : 265، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : د. محمد الأنطاكي : 1/ 113.
(7) ينظر : النشر : 1/ 313، والإتقان في علوم القرآن : للسيوطي : 205.
(8) ينظر : الكشف : لمكي بن أبي طالب القيسي : 1/ 168, والأقناع : لأبي جعفر بن خلف الأنصاري : 167.
(9) ينظر : النشر : 2/ 35، والمقتبس من اللهجات العربية والقرآنية : د. محمد سالم محيسن : 77.

إذ تعمل العربية على تقريب الحركات المتشكلة لتركيب بِنْية الكلمة لتنسجم أصواتها بين مقاطع التركيب اللغوي بتشكيل مقاطع مسايرة ومتفاعلة في نوعها لأحكام هذه الظاهرة.

المحور الثالث : المقطع الصوتي

من الملاحظ أنَّ للمقطع الصوتي في الدراسات الصوتية أثراً بارزاً في تحليل ظواهرها الصوتية، وعلى الرغم من ذلك نجد الإشارة إليه ضئيلة عند الدارسين القُدماء فلم يعد حضورهُ بارزاً حينذاك في مؤلفاتهم، لكنّ الإشارات له بدأتْ واضحة عند الفارابي (ت 339ه) في كتابه (الموسيقى الكبير)، فقد تناول فيه ماهية المقطع الصوتي، وأنواعه، ومكوناته، إذ يقول في تعريفه : "كلُّ حرفٍ غيرِ مصوتٍ أُتبِعَ بمُصوتٍ قصير قُرِنَ به، فإنَّه يُسمى (المقطَعَ القَصير)، والعَرَبُ يُسمُّونَه الحرف المتحرك، من قِبَل أنَّهم يُسَمُّونَ المُصَوتات القصيرةَ حَرَكاتٍ. وكُلُّ حرفٍ لم يُتَبعْ بمصوتٍ أصلاً، وهو يُمكن أنْ يُقرنَ به فإنَّهم يسمُّونَه (الحرفَ الساكِن). وكُلُّ حرفٍ غيرِ مُصوتٍ قُرِنَ به مُصوتٌ طويلٌ، فإنَّا نُسمِّيه (المقطَعَ الطويل)"[1].

على حين نجدُ أنَّ عُلماء الصوت المُحْدثون قد تناولوا المقطع الصوتي بالدرس والتحليل بشكل كبير وواضح في مؤلفاتهم، إلاَّ أنَّ آراءهم تضاربت في تعريفهِ، وفيه يقول مالمبرج : "وإذا كان علماء الأصوات لم يتفقوا على تعريف للمقطع فإنَّ ذلك يرجع في جانب منه إلى أنَّهم يذهبون في تعريفه مذاهب شتى، (صوتية، فيزقية، أو مخرجية، أو وظيفية)، ويرجع في جانب آخر إلى أنَّ الأجهزة التي يعتمد عليها حتى الآن لم تتح لعُلماء الأصوات أنْ يُعيِّنوا حدود المقاطع على المنحنيات والرسوم التي يحصلون عليها"[2]، وابرزوا الأثر المهم الذي يضطلع به المقطع الصوتي في تفسير البنى الصوتية وتحليلها إذ "تتكون كلّ لغة من وحدات صوتية صغيرة، مكونة من حركات وصوامت تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات كبرى، والأصوات البسيطة المفردة هي الوحدة الدنيا في بناء اللغة، والوحدة التي تلي الأصوات البسيطة هي المقطع "syllable" وهي من أهم الوحدات اللغوية"[3].

ماهية المقطع :

(1) الموسيقى الكبير : للفارابي : 1075.
(2) علم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 154-155.
(3) أثر القوانين الصوتية : د. فوزي الشايب : 97.

المقطع لغةً : إنَّ المقطع _لغوياً_ يعني الآخر والانتهاء، إذ جاء عند الخليل "قطع: قَطَعْتُهُ قَطْعاً ومَقْطَعاً فانْقَطَعَ، وقَطَعْتُ النَّهْرَ قُطُوعاً... ومُنْقطعُ كُلِّ شيْء حيث تنْتهي غايتُه" (1).

وعند ابن منظور (ت 711ه) جاء بمعنى "مَقاطِعُ القرآنِ: مواضعُ الوقوفِ، ومَبادِئُه: مواضعُ الابتداءِ... ومُقَطَّعاتُ الشَّيْءِ: طرائقُه الَّتِي يتحلَّلُ إليها ويَتَرَكَّبُ عَنْهَا كَمُقَطَّعاتِ الكلامِ، ومُقَطَّعاتُ الشعْرِ ومَقاطِيعُه: مَا تَحَلَّل إليه وترَكَّبَ عَنْهُ مِنْ أَجْزائِه الَّتِي يُسَمِّيهَا عَرُوضِيُّو الْعَرَبِ الأَسْبابَ والأَوْتادَ"(2).

المقطع اصطلاحاً : جاء في اصطلاح عُلماء الصوت المحدثين بأنَّه "نبضة صدرية، أو هو وحدة منفردة لتحرك هواء الرئتين لا تتضمن أكثر من قمة كلامية، أو قمة تموّج مستمر من التوتر في الجهاز العضلي النطقي"(3)، في حين عرّفه الدكتور عبد العزيز الصيغ على أنَّ "الأصوات اللغوية كما ينطقُها الإنسان تُخرج مجموعات مجموعات كل مجموعة تسمى مقطعاً، قد يكون صوتين اثنين من كلمة (كَتَبَ) المكونة من ثلاثة مقاطع وقد تكون أكثر مثل كلمة (أكتُبْ) المكونة من مقطعين اثنين"(4)

وعرّفهُ الدكتور بسّام بركة بأنَّهُ : "نوع بسيط من الأصوات التركيبية في السلسلة الكلامية وهو وحدة صوتية أكبر من الفونيم ويأتي مباشرة بعده من حيث الأبعاد الزمنية (في النطق) والمكانية (في الكتابة). يتكون من (النواة المقطعية) (تكون صائتاً إجمالاً) ومن صامتٍ واحدٍ أو أكثر,syllable syllable"(5).

أهمية المقطع الصوتي :

بما أنَّ موضوع البحث يدور في ضوء المقطع الصوتي فلابدَّ من عرض أهميته الدراسية، إذ "أضحت نظرية المقطع واحدةً من أهمِّ الأركان الأساسيّةِ التي يقوم عليها الدرسُ الصوتيُّ الحديث؛ نظراً إلى ما يشكلهُ المقطعُ من أثرٍ في بِنْيةِ المفردة في التركيب اللغوي. إذ إنَّ أيَّ تغييرٍ يحدثُ في الكلمةِ سوفَ يؤدي إلى تغييرٍ في نظامِها المقطعي، مما يلزمُ تعديلُ هذا التغير، وجعله خاضعاً لطبيعةِ النظام المقطعي في اللغة"(6)، وأنَّ دراسة المقطع الصوتي لابدَّ أنْ يصحبها الحذرُ؛ لأنَّها موضع خلاف بين العُلماء والدارسين مؤيدين ومعارضين، وكُلُّ نظر إليه حسب وجهته، بيّنها الدكتور أحمد مختار عمر ووقف عندها طويلاً في كتابة (دراسة الصوت اللغوي)(7)، لم يسعنا المجال هنا إلى ذكرها، إلاّ أنَّ اطلاعنا على آراء علماء الصوت المحدثين، وإشارتِ بعض عُلماء الصوت من الاقدمين؛

(1) العين : مادة (قطع) : 403/3.
(2) لسان العرب : لابن منظور : 8/ 278.
(3) دراسة الصوت اللغوي : د. أحمد مختار عمر : 285، وينظر : أبحاث في أصوات العربية : د. حسام سعيد النعيمي : 8.
(4) المصطلح الصوتي : د. عبد العزيز الصيغ : 274.
(5) علم الأصوات العام : د. بسام بركة : 180.
(6) المقطع الصوتي في العربية : د. صباح عطيوي عبود :24.
(7) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 279.

اقنعتنا بأهمية المقاطع وأثرها البيّن واللافت، لذا آثرنا أنْ نمضي في هذا الاتجاه عبرَ دراستنا هذه.

فمن أهميته ما يأتي :

1 _ ترجع أهميته إلى "إنَّ اللغة كلام، والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إنْ استطاعوا، وإنَّما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع"(1).

2 _ وإنَّ لدراسة المقطع أهمية أيضاً "في التعرف إلى طبيعة نسيج الكلمة، وما إذا كان هذا النسيج موافقاً، أو مخالفاً لما يسمح به نظام اللغة العربية في صياغة مفرداتها وبناها اللغوية"(2).

3 _ يمكن أنْ تُسْهِم الدراسة المقطعية في التحليل اللغوي وفهم ظواهر النطق، بمعنى أنَّها تُسْهِم في معالجة قضايا لغوية كثيرة وتفسيرها تفسيراً أقرب إلى طبيعة اللغة وواقعها.. ومنها همزة الوصل... والتقاء الساكنين...(3).

4 _ إنَّ للمقطع الصوتي أهمية خاصة في ميدان الدرس العروضي للشعر، فالدراسة العروضية، أو التحليل العروضي ما هو إلا تفعيلات مختلفة المقاطع، يمكن بوساطتها تحليل النسيج المقطعي للشعر ومعرفة خصائص المقاطع العروضية ومميزاتها وسماتها(4).

5 _ تكمن أهمية دراسة المقطع أيضاً في إنَّهُ " يشكل درجة في السُّلَّم الهرمي للوحدات الصوتية التي يشكل كُلٌّ منها من أصغر وحدة تسبقه. الوحدة الصغرى هي الفونيم، ثم يأتي المقطع (المكون من فونيمات بترتيب معين)، ثم تأتي مجموعة النغم المحتوية على النبر وعلى تتابعات من المقاطع، ثم مجموعة التنغيم التي تحتوي على تتابعات من مجموعات النغم"(5).

أنواع المقاطع الصوتية في اللغة العربية :

عيّنَ عُلماء اللغة المحدثون أنماطاً للمقطع في اللغة العربية، وصنفوها على ثلاث طوائف (القصيرة، والمتوسطة، والطويلة). وأقسامها عندهم على الوجه الآتي :

1 _ المقطع القصير : "وهو المتكون من صامت يتبعه مصوت قصير ولا يكون إلاّ مفتوحاً وهو من المقاطع الشائعة في العربية"(6). ويرمز له (ص ح)، ونعني بـ (ص) صامت أو شبه صائت، ونعني بـ (ح) صائت قصير.

(1) المصدر نفسه : 281.
(2) علم الأصوات العربية : د. محمد جواد النوري : 249.
(3) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : د. غانم قدوري الحمد : 201-204
(4) ينظر : علم الأصوات العربية : 249.
(5) دراسة الصوت اللغوي : 282.
(6) المقطع الصوتي في العربية : 94.

2 _ المقطع المتوسط المفتوح : "ويتكون من صامت يتبعه صائت طويل"[1]، ويرمز له (ص ح ح).

3 _ المقطع المتوسط المغلق : "ويتألف من صامت + صائت قصير+ صامت"[2]، ويرمز له (ص ح ص).

4 _ المقطع المديد (طويل مفرد الاغلاق) : "ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت"[3]، ويرمز له (ص ح ح ص).

5 _ المقطع المزيد (طويل مزدوج الاغلاق) : "ويتألف من صامت + صائت قصير+ صامتان"[4]، ويرمز له (ص ح ص ص).

الخصائص التي ينماز بها المقطع الصوتي العربي :

يقول الدكتور صباح عطيوي : "لا شكَّ في أنَّ كلَّ لغةٍ من اللغاتِ لها نظامُها المقطعي، وتبعاً لهذا النظام تؤلّفُ ألفاظها وتنسج كلماتها، والعربيَّة شأنُها شأنُ اللغات الأخرى، لها نسيجٌ مقطعيٌّ"[5]. له مميزاته يمكننا إجمالها على الوجه الآتي :

1 _ يبدأ المقطع العربي بصوت صامت تتبعه حركة دائماً، إذ "إنَّ جميع الأشكال المقطعية العربية تبتدئ بصامت ومن ثم فلا وجود في العربية لمقاطع تبتدئ بحركة"[6].

2 _ في العربية "إنَّهُ لا يلتقي صامتان في مقطع واحد في بداية الكلمة، ولا في حشوها ولا في آخرها إلا في حالة الوقف"[7] وهذا ماعبّر عُلماء اللغة عنه بقولهم : "أنّ الأبتداء بالساكن متعذر"[8].

3 _ إنَّ أكثر المقاطع في العربية شيوعاً هي المقاطع الثلاثة المتمثلة بـ (القصير المفتوح، والمتوسط المفتوح، والمتوسط المغلق)، وسبب هذه الكثرة يعود إلى أنَّها مقاطع حرة تقع في أول الكلام، أو أوسطه، أو آخره، أمّا المقاطع الأخرى فهي مقاطع وقف في الغالب وإنْ وردت في الدرج فعلى وفق شروط تقيّدها[9].

(1) أبحاث في أصوات العربية : 9.
(2) المصطلح الصوتي : 278.
(3) أثر القوانين الصوتية : 101.
(4) المصطلح الصوتي : 279.
(5) المقطع الصوتي في العربية : 139.
(6) أثر القوانين الصوتية : 102.
(7) أثر القوانين الصوتية : 102.
(8) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الاستراباذي : 2/ 251.
(9) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 140.

4 _ قلة و "اقتصار ورود بعض المقاطع العربية على حالة الوقف فقط، وذلك مثل المقطع الطويل (ص ح ص ص)، والمقطع المديد (ص ح ح ص ص)، وقلة ورود المقطع الطويل مفرد الإغلاق (ص ح ح ص) في الكلمة، ويمتاز المقطع الطويل بنوعيه عن المديد في أنه قد يرد في الشعر أحياناً في بعض الأوزان المقيدة القافية"[1].

5 _ تعمل العربية على"تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة"[2].

6 _ كره العربية لتوالي المقاطع المتتالية والمتوسطة المفتوحة[3].

7 _ من خصائصه أيضاً أنَّهُ "يميل المقطع الصوتي إلى الانسجام والتجانس الصوتي بين مكوّناته، فإذا ما ظهرت أصوات لا تنسجم مع الأصوات الأخرى عمَدَ إلى تقريب هذه الأصوات في الصفات والمخارج ، وهو ما يدعوه المحدثون بالتماثل الصوتي"[4]

(1) أثر القوانين الصوتية : 102-103.
(2) المصدر نفسه : 103.
(3) ينظر : المصدر نفسه : 103.
(4) المقطع الصوتي في العربية : 142-143.

الباب الأول

المقطع الصوتي وعلاقته بأوجه التأثير في الصوامت دراسة في ضوء ظاهرتيّ (الإدغام، والإبدال)

الفصل الأول : ظاهرة الإدغام

الفصل الثاني : ظاهرة الإبدال

الفصل الأول

ظاهرة الإدغام

توطئة

تُعدُّ ظاهرة الإدغام من أبرز الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية، إذ لاقت عناية فائقة من عُلماء العربية، القُدماء، والقُرّاء، والمُحدثين، فمنذ القدم عَبّرَ عن شيوع الإدغام، بأنَّهُ "كلام العرب الذي يجري على السنتها ولا يُحسنون غيره"[1]، ويجري في الحرفين (المتماثلين، والمتقاربين، والمتجانسين)، على أنْ يكون الأول ساكناً، والثاني متحركاً، دون مانع يمنعه، سواء أكان في كلمة واحدة أم في كلمتين.

إذن هي الظاهرة التي رصدنا تحكم المقطع الصوتي في وجوب تحققها، أو عدمه مستأنسين بنماذج من القراءات القرآنية، لتكون موضوعاً لتطبيق دراستنا، من ذا نلاحظ بنية المقطع الصوتي في أنواع الإدغام الثلاثة (المتماثل، والمتقارب، والمتجانس)، وما وقع عليها من إجراءات مقطعية صوتية تمثلت بإسقاط قمة، وإلحاق قاعدة، وتنوع لأشكال المقطع الصوتي العربي، ومدى تأثيره في تشكيل نسيج البنية في اللغة العربية.

وفي ضوئه نبين فيما إذا كان حكم الإدغام واجباً، أم جائزاً، أم ممتنعاً، في طيات مبحثنا القادمة ...

حدّ الإدغام

الإدغام لغةً :

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : "دغم: الدَّغْمُ: كَسْرُ الأنفِ إلى باطنهِ هشما، تقول: دَغَمْتُه دَغْماً... والدَّغْمةُ: اسم من إدغامِكَ حَرْفاً في حرفٍ. وأَدْغَمْتُ الفرس اللجام: أَدْخَلْتُه في فيهِ"[2]، وقال سيبويه : "والإدغام يدخل فيه الأول في الآخر والآخر على حاله، ويقلب الأول فيدخل في الآخر حتى يصير هو والآخر"[3]

(1) النشر : 1/ 275.
(2) العين : مادة (دغم) : 32/2.
(3) الكتاب : سيبويه : 4/ 104.

نرى أنَّ الإدغام في اللغة معناه الإدخال، وهناك مصطلحات أُخرى غير الإدخال، لكنّها دائرة في مداره، وتداخلت معهُ، مما أوردَ للإدغام معاني آخر، للتعبير عن صور التأثير بين الأصوات المتجاورة، "التي لا تبلغ درجة الفناء التام"[1]، منها :

التشديد، قال الخليل في قوله تعالى : "لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي، معناه، والله أعلم: لكن أنا، فحذفت الألف فالتقت النّونان. فجاء التشديد"[2]، وأطلق الأزهري (ت 370ه) على الإدغام **(التضعيف)،** قال فيه : " وَيُقَال عَزُزت النَّاقة، إِذا ضَاقَ إحليلُها وَلها لبنٌ كثير. قلت: أظهر التَّضْعِيف فِي عَزُزت، وَلَيْسَ ذَلِك بِقِيَاس"[3] ومنهم من سماه **بالتقريب،** قال به ابن جني : "قد ثبت أن الإدغام المألوف المعتاد إنّما هو تقريب صوت من صوت"[4]، فالإدغام بالتخفيف : من ألفاظ الكوفيين، والإدغام بالتشديد من ألفاظ البصريين[5].

الإدغام اصطلاحاً: عرّفه سيبويه بقوله : "أحسن ما يكون الإدغام في الحرفين المتحركين اللذين هما سواءٌ إذا كانا منفصلين، أنْ تتوالى خمسة أحرف متحركة بهما فصاعداً... وذلك نحو قولك : جَعَلَ لَكَ، وفعل لبيدٌ. والبيان في كل هذا عربيٌّ جيد حجازيٌّ"[6]، وفسّر ابن الجزري الإدغام بقوله : "الإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً"[7]، وفي موضع آخر قال : "وليس بإدخال حرف في حرف كما ذهب إليه بعضهم بل الصحيح أن الحرفين ملفوظ بهما"[8]، وبقوله هذا يبتعد عمن سبقوه ولاسيّما منهم مكي بن أبي طالب القيسي في قوله أَنَّهُ : "إدخال شيء في شيء"[9].

وفي اصطلاح المحدثين يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "والإدغام بنوعيه عبارة عن فناء الصوت الأول في الثاني، بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني"[10].

لو رجعنا قليلاً لرؤية القُدماء نجد الإدغام عند ابن جني هو المضارعة[11]، ويعني بها تقريب صوت من صوت[12]، لكنَّ الصوّرة عند المحدثين تبدو أقوى من التقريب الذي قال به ابن جني، إذ نجدهُ عندهم يمثّل قلب الصوت إلى مثل نظيره ونطقهما نطقاً واحداً، وهذا يمثل أعلى صور المماثلة[13]. فأتجه المحدثون "نحو استخدام كلمة (المماثلة) للتعبير عن ميل الأصوات إلى التماثل في الكلام المتصل، وهذه الكلمة أقرب إلى أنْ تكون

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : د. غانم قدوري الحمد : 334.
(2) العين : مادة (أجل) : 1/ 58، وينظر: التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري : 2/ 861، ومراح الأرواح : أبو الفضائل أحمد : 83.
(3) تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري : 1/ 66.
(4) الخصائص : ابن جني : 2/ 139.
(5) ينظر : شرح المفصل : 5/ 512، ودروس في علم أصوات العربية : لجان كانتينو : 39.
(6) الكتاب : 4/ 437، وينظر : المقتضب : محمد بن يزيد المبرد : 1/ 197.
(7) النشر : 1/ 274، وينظر : والكشف : 1/ 143، والتحديد : أبو عمرو عثمان الداني : 99.
(8) النشر : 1/ 280
(9) الكشف : 1/ 143
(10) الأصوات اللغوية : د. إبراهيم أنيس : 116، وينظر : دراسة الصوت اللغوي : 378، وفي البحث الصوتي عند العرب : د. خليل إبراهيم العطية : 80.
(11) ينظر : سر صناعة الإعراب : ابن جني : 1/ 67.
(12) ينظر : الخصائص : 2/ 141 .
(13) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : 214.

مرادفة لكلمة الإدغام"[1]، واستعمل بعض الباحثين المحدثين مصطلح المماثلة الكاملة (complete assimilation) تعبيراً عن الإدغام[2]، فهو عندهم "ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناءً تاماً"[3]، وأنَّ هذا الفناء الناشئ من تجاور الصوتين هو بفعل تأثر الأصوات بعضها ببعض؛ وعلّل الدكتور إبراهيم أنيس سبب ذلك بقوله : "لأنَّ شرط تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض أن تكون متشابهة في المخرج أو الصفة"[4]، وعلى ما يبدو أنَّ شرط إجراء التفاعلات الصوتية هو المقاربة المخرجية والتشابه في الصفات، والتأثير قد يكون تقدمياً progressive وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأول، أو قد يكون رجعياً Regressive وفيه يتأثر الصوت الأول بالثاني[5]، وقد شاع في العربية التأثير الرجعي، وإنْ كانت مشتملة على التأثيرين(التقدمي – الرجعي) حتى أنَّ أصحاب القراءات قد قَصَروا في معرض حديثهم على هذا التأثير[6]، أي "أنْ يتأثر الصوت الأول بالثاني تأثراً كاملاً يترتب عليه أنْ يُفنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين صوتاً واحداً كالثاني، وقد سَمَّوا هذا التأثير في كتبهم بالإدغام"[7].

الغاية من الإدغام :

تميل العربية في نطقها نحو السهولة والتيسير؛ وذلك لنزوعها إلى توفير الجهد، الذي يُبذل في النطق[8] "حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو كلمتين، إذا كان الصوت الأول مشكلاً بالسكون، والثاني محركاً؛ وذلك لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها"[9]، وأدركَ النحاة القُدماء سبب تلك الظاهرة، وإرجاعها إلى نزعة المتكلم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي؛ لتجنب العبء الناتج من إعادة الصوت اللغوي وثقل تكراره، لذلك علّل ابن يعيش الغرض من الإدغام بقوله : "والغرضُ بذلك طلبُ التخفيف؛ لأنَّهُ ثقُل عليهم التكريرُ والعودُ إلى حرف بعد النطق به، وصار ذلك ضِيقًا في الكلام بمنزلة الضيق في الخَطْو على المقيَّد؛ لأنَّهُ إذا منعه القيدُ من توسيع الخَطْو، صار كأنَّهُ إنّما يُقيِّد قَدَمُه إلى موضعها الذي نقلها منه، فثقُل ذلك عليه، فلمّا كان تكريرُ الحرف كذلك في الثقل، حاولوا تخفيفَه بأنْ يدّغموا أحدهما في الآخر، فيضعوا ألسنتهم على مَخْرج الحرف المكرَّر وضعةً واحدةً، ويرفعوها بالحرفَيْن رفعةً واحدةً، لئلا ينطقوا بالحرف، ثمّ يعودوا إليه"[10]. فمالت الأعراب إلى ظاهرة الإدغام، إذ هي : "ظاهرة صوتية تحدث كثيراً في البيئات البدائية حيث السرعة في نطق الكلمات، ومزجها بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في

(1) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 335، وينظر : الاصوات اللغوية : 106، والتطور اللغوي : 30.
(2) ينظر: دراسة الصوت اللغوي : 387، وفي البحث الصوتي عند العرب : 80-81، واللهجات العربية في التراث : د. أحمد علم الدين الجندي : 292.
(3) في البحث الصوتي عند العرب : 80.
(4) في اللهجات العربية : د. إبراهيم أنيس : 70.
(5) ينظر : المصدر نفسه : 70، ودراسة الصوت اللغوي : 325، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 22.
(6) ينظر : في اللهجات العربية : 70.
(7) المصدر نفسه :70.
(8) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 75.
(9) دراسة الصوت اللغوي : 387.
(10) شرح المفصل : 5/ 513.

النطق"[1]، وكانت غاية الإدغام لا تختلف بعض الشيء عند أصحاب القراءات، إذ يقول مكي بن أبي طالب القيسي فيها: "إنَّ أصل الإدغام إنَّما هو في الحرفين المثلين؛ وعلّة ذلك إرادة التخفيف"[2]؛ وبيّن سبب ذلك "لأنَّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عاد مرة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك"[3]؛ وذلك صعوبة النطق بالحرفين المتماثلين من مخرج واحد، فتدغم الحرفين المتماثلين في بعضهما تحقيقاً للانسجام الصوتي بين الأصوات وتوفيراً للجهد العضلي إذ يفنى الصوت الأول في الثاني بحيث ينطق بالصوتين (صوتاً واحداً) فيكون عمل اللسان من وجه واحد[4].

ومن وجهة نظر المحدثين فإنَّ "تحقيق ظاهرة الإدغام في المستوى الصوتي، ذو غرض قصدي مساره التخفيف واليسير في عملية الإجراء النطقي فاللسان يعلوه الثّقل وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها، ليرتفع مرة ثانية، بغية تحقيق إنتاجية الصوتين"[5]، وعلى ما يبدو من تفسيرات العُلماء لآلية الإدغام اتضحت لنا غاياتهم النطقية لتحقيق الخفّة والسهولة في النطق، ولتحقيق الانسجام الصوتي والاقتصاد في الجهد العضلي لنطق الأصوات[6].

أحكام الإدغام :

يقول ابن الجزري : "وأما أحكام الإدغام فإنَّ له شرطاً وسبباً ومانعاً"[7].

شروط الإدغام وأسبابه :

تنقسم شروط الإدغام على قسمين، الأول : خاصة بالمدغم: وهو "أنْ يلتقي الحرفان خطاً ولفظاً أو خطاً لا لفظاً، ليدخل نحو(أنَّهُ هو) ويخرج نحو(أنا نذير)"[8] ، والثاني خاصاً بالمدغم فيه : وهو "كونه أكثر من حرف إن كانا لكلمة واحدة ليدخل نحو﴿خلقكم﴾ ويخرج نحو﴿نرزقكم﴾"[9]، على أنْ يتم الإدغام بسكون الأول وتحريك الثاني وهذا شرط الإدغام[10].

ومن أسبابه التي أُشِيرَ إليها في كتب اللغة والقراءات القرآنية هي :

(1) في اللهجات العربية : 71، وينظر : لهجة شمال المغرب(تطوان وما حولها) : د. عبد المنعم سيد عبد العال : 96، واللهجات العربية في القراءات القرآنية : د. عبده الراجحي : 127.
(2) الكشف : 1/ 134، وينظر : النشر : 1/ 274، والإدغام الكبير : عمرو بن العلاء :7.
(3) الكشف : 1/ 134.
(4) ينظر : اللهجات العربية في التراث : 1/ 293-294.
(5) علم الصرف الصوتي : د. عبد القادر عبد الجليل : 55.
(6) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 75، ودراسة الصوت اللغوي : 387، وعلم الصوتيات : د. عبد العزيز أحمد علام، و د. عبد الله ربيع محمود : 307.
(7) النشر : 1/ 278.
(8) المصدر نفسه : 1/ 278، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 31، والإدغام الكبير : 15.
(9) النشر : 1/ 278.
(10) ينظر: الكشف : 1/ 134.

1 _ **التماثل** : وهي أنْ يتفقا مخرجاً وصفة كالباء في الباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين[1]؛ لأنَّ "أصل الإدغام إنَّما هو في الحرفين المثلين"[2].

2 _ **التجانس** : وهي أنْ يتفقا مخرجاً ويختلفا صفة كالذال في الثاء والتاء في الطاء والتاء في الدال[3].

3 _ **التقارب** : وهو أنْ يتقارب الحرفان المراد إدغامهما مخرجاً أو صفةً أو مخرجاً وصفة[4].

موانعه :

من المتعارف عليه إنَّ الإدغام يكون في المثلين، والمتجانسين، والمتقاربين، بالتقاء حرفين على أنْ يكون الأول ساكناً، والثاني متحركاً، إذ ليس في كلِّ الأحوال يحصل الإدغام، فهناك موانع ذكرها أصحاب القراءات تمنع من إجراء الإدغام بين الحرفين، أمّا بتباعد مخارجها، أو باختلاف صفاتها من جهة، أو بوجود حاجز صوتي يمنع التأثير بين الأصوات المتجاورة من جهة أخرى. فعدم حصول التأثر والتأثير بينهما يمنع الإدغام، وهذه الموانع على قسمين : أولاً : عام متفق عليه، وثانياً : خاص مختلف فيه[5].

فالعام المتفق عليه ثلاثة : "كون الأول تاء ضمير المتكلم، أو الخطاب، أو مشدداً، أو منوناً"[6]، إذ نلحظ أنَّهُ "وردَ عن أبي عمرو الإدغام في كل ذلك"[7]. أمّا المختلف فيه: فـ" الجزم ، قيل: وقلة الحروف، وتوالي الأعلال"[8]، ومنها ما يكون، مسبوقاً بنون مخفاة[9]، هذا فيما إختصّ من إدغام المتماثلين، أمّا المتقاربين فقد خُصّ "بخفّة الفتحة أو بسكون ما قبله أو بهما كليهما أو بفقد المجاور أو عدم التكرار"[10]، ويقول ابن الباذش : "والمتقاربان كالمثلين في المشدَّد والمنوَّن"[11].

وللبحث وجهة نظر في هذه الموانع عبرَ تفسيرها صوتياً في ضوء المقطع الصوتي، وإرجاعها إلى أسباب منعها، وذلك على النحو الآتي :

1 _ تاء الضمير (المتكلم أو الخطاب) : فمنعهم للتاء من أنْ تدغم مع (الطاء)، جاء في قوله تعالى : ﴿خَلَقْتَ طِينًا﴾(سورة الإسراء:61)، نجد نسيجها المقطعي قبل الإدغام على وفق

(1) ينظر : النشر : 1/ 278، و إتحاف فضلاء البشر : 30.
(2) الكشف : 1/ 134.
(3) ينظر: النشر : 1/ 278، وإتحاف فضلاء البشر : 31، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي :131.
(4) ينظر : النشر : 1/ 278، وإتحاف فضلاء البشر : 31.
(5) ينظر : النشر : 1/ 279، والتذكرة : أبو الحسن بن غلبون : 30-31، وإتحاف فضلاء البشر : 31.
(6) النشر : 1/ 279، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 31، والأقناع : 120.
(7) الأقناع : 120، وينظر: الشامل في القراءات : د. محمد حبش : 125.
(8) النشر : 1/ 279.
(9) ينظر : الشامل في القراءات : 125.
(10) النشر : 1/ 279، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 31، والتذكرة : 30-31 .
(11) الأقناع : 121.

الآتي : **خـ ـَـ/ ل ـــ ـَ ق/ ت ـَـ/ ط ـِـ/ ن ـــ ـَ ن/ ← ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ص/**

نلحظ أنَّ المفردة القرآنية جاءت على خمسة مقاطع صوتية متنوعة، وعند إجراء الإدغام تتدخل بعض المتغيرات الحاكمة لتحقيق إجرائه، منها شرط إسكان الحرف الأول وتحريك الثاني[1]، فعند تسكين الأول(التاء) من ﴿خَلَقْتَ﴾، يلتقي ساكنان﴿خَلَقْتْ﴾، وهذا لا يجوز في العربية، "بل هو غير ممكن؛ وذلك من قبل أنَّ الحرف الساكن كالموقوف عليه، وما بعده كالمبدوء به، ومحال الإبتداء بساكن فلذلك امتنع التقاؤهما"[2]، فكان التقاء الساكنين في النطق من المسوّغات لإمتناع إجرائه، وهذا واضح في ضوء النسيج المقطعي للمفردة لو اعتمدنا التسكين والإدغام : **خـ ـَـ/ ل ـــ ـَ ق ت/ ط ـِـ/ ن ـــ ـَ ن/ ← ص ح/ ص ح ص ص/ ص ح ح/ ص ح ص/**

فقد تكوّن مقطعاً مديداً مغلقاً بصامتين (ص ح ص ص) في وسط التركيب اللغوي(/ل ـــ ق ت/)، وهذا ما تأباه العربية؛ لأننا "لا نراه إلا متطرفاً، وفي بعض حالات الوقف"[3]؛ و "لأنَّ العربية لا تسمح بالتقاء الساكنين إلاَّ في هذه الحالة"[4]، وعند التقطيع الصوتي للمفردة بعد إدغامها تم إسقاط قمة وهي حركة(ت ـَـ)، من المقطع الثالث وإلحاق قاعدته (ت) بالمقطع الثاني (/ل ـــ ق/)، فكوّن هذا الاختزال المقطعي، مقطعاً مديداً بصامتين لا تستسيغه العربية (ص ح ص ص) في وسط التركيب اللغوي الذي يعوّق النطق للمؤدي، مما يترتب على ذلك منع الإدغام.

2 _ المشدد : منهُ قوله تعالى: ﴿رَبِّ بِمَا﴾(سورة الحجر:39)، فالكتابة المقطعية لهذه المفردة على وفق الآتي :

• قبل الإدغام هو: **ر ـــ ب/ ب ـِـ/ ب ـِـ/ م ـَـ/** ← ص ح ص/ ص ح/ ص ح/ ص ح ح/

نلحظ أنَّ المثلين لم يلتقيا، بل فصل بينهما بفاصل(حركة) صائت قصير(الكسرة)، ويُعَدّ هذا مسوّغاً لمنع إجرائه، قال ابن السراج : "وَهَو وصلُكَ حرفًا ساكنًا بحرفٍ مثلِهِ مِنْ موضعهِ مِنْ غيرِ حركةٍ تفصلُ بينَهما"[5]، بمعنى أنَّهُ إذا تمّ الفصل بينهما بالحركة مُنع الإدغام لم يدغم[6]، ولتحقيق إجرائه يلزم علينا تسكين المتماثل الأول، فعند ذلك يلتقي ساكنان، وهذا ما يربك النطق كون العملية النطقية بهذا الإجراء قد أنتجت مقطعاً طويلاً مغلقاً بصامتين في بداية التركيب اللغوي، وهو ما لا تجوّزه العربية كونه من مقاطع

(1) ينظر : شرح المفصل : 5/ 513.
(2) المصدر نفسه : 5/ 286.
(3) الأصوات اللغوية : 94.
(4) دراسة الصوت اللغوي : 302.
(5) الأصول في النحو : لأبي بكر محمد بن السراج : 3/ 405.
(6) ينظر : الأقناع :120.

الوقف[1]، فنسيجها المقطعي يكون : **ر ـَـ ب ب/ ب ـِـ/ م ـَـ/** ← ص ح ص ص/ ص ح/ ص ح ح/

نجد أنَّ النسيج المقطعي للمفردة القرآنية بعد إدغامها، تكوّن من مقطع مديد مغلق بصامتين (ص ح ص ص) (ر ـَـ ب ب) في بداية التركيب اللغوي، جراء تسكين الحرف الأول، وهذا ما "سيكون ثقيلاً في نُطقه على العربي الميّال إلى اليُسر والسهولة في الكلام"[2]، فمُنع الإدغام فيه.

3 _ المنون : يعد من موانع إجراء الإدغام؛ لأنَّ التنوين يشكّل مانعاً لإلتقاء الحرفين المتماثلين، نحو قوله تعالى : ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(سورة البقرة:115)، ويتضح ذلك عند الوقوف على النسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام : **و ـَـ/ س ـِـ/ ع ـُـ ن/ ع ـَـ/ ل ـِـ/ م ـُـ ن/** ← **ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح ح/ ص ح ص/**

لم يلتقِ الحرفان(العينان) في المفردتين المذكورتين، لوجود الفاصل بينهما(الضمة والتنوين)، وذلك واضحٌ في المقطع المتوسط المغلق (ع ـُـ ن) فلا يمكن الإدغام بين الصامتين المتماثلين (العين) القاعدة والبادئة للمقطع الثالث في التركيب اللغوي (واسعٌ) و(العين) القاعدة والبادئة للمقطع الأول من التركيب اللغوي (عليم) كون الصامت (النون) يُشكل قاعدة غالقة للمقطع الثالث فلا يمكن إسقاطه والتخلص منه؛ "لأنَّ التنوين حاجز قوي جرى مجرى الأصول فمنع من التقاء الحرفين"[3].

5 _ المعتل[4]، عند بعض أصحاب القراءات أو الذي حذف حرف العلة منه لأجل الجزم[5]، ذكروا له مفردات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى:﴿يَخْلُ لَكُم﴾(سورة يوسف:9)، فالتقطيع الصوتي للفعل المجزوم (يخلوا) قبل الإدغام وقبل سقوط الواو منه على النحو الآتي :

- الفعل المجزوم قبل الإدغام : **ي ـَـ خ/ ل ـُـ/** ← **ص ح ص/ ص ح ح/**

نلحظ أنَّ العلّة المانعة من إجراء الإدغام هي تقصير الصائت الطويل(الواو) إلى حركة قصيرة من جنس (الواو) وهي (الضمة) بسبب الجزم : **ي ـَـ خ/ ل ـُـ/ ل ـَـ/ ك ـُـ م/** ← **ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/** بمعنى أنَّ بقاء الضمة في نطق المفردة عَمَلَ حاجز بين المثلين، يمنع إجراء الإدغام؛ لاستحالة إسقاط الضمة وتسكين الحرف؛ لأنَّ الضمة عِوض عن الواو المحذوفة لأجل الجزم، ولايمكن ابقاء (اللام) قاعدة للمقطع دون نواة (حركة) لذا بقيت الضمة لتكون نواة للمقطع ومنعت إسكان المتماثل الأول وإدغامه في (اللام) الثانية.

(1) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.
(2) المقطع الصوتي في العربية : 103.
(3) إتحاف فضلاء البشر : 31.
(4) ينظر : جامع البيان : أبو عمرو الداني : 165.
(5) ينظر : الهامش من التذكرة : 31، و ينظر : النشر : 281/1.

ولو سكّنا المتماثل الأول وادخلناه ضمن المقطع الأول لتشكل لنا مقطع طويل مغلق بصامتين (/ي ـَـ خ ل/) في بداية التركيب اللغوي، إذ إنَّ الأداء النطقي المصاحب لنطق المقطع الطويل المغلق في بداية التركيب يشكل نوعاً من الصعوبة على المؤدي؛ لأنَّ هذا النوع من المقاطع "لا نراه إلا متطرفاً، وفي بعض حالات الوقف"[1]، مما مُنع إجراء الإدغام فيها.

5 ـ المخفي : ذكر عند أصحاب القراءات منه، قوله تعالى:﴿فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُه﴾(سورة لقمان:23)[2]، ونقل ابن الجزري عن بعض القرّاء أنَّهم منعوا الإدغام فيها[3]؛ لكون النون قبلها مخفاة[4]، عند نطق النون من موضعها تنطق ساكنة على الرغم من وجود الغنة التي فيها[5]، لكنها لم تكسبها صفة الاستمرارية، والإدغام شرطه إسكان الأول[6]، فعند إسكان (الكاف) حتى يدغم بالكاف الثانية عنده يلتقي ساكنان في النطق، وهذا ما لا تحبذه العربية، فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام هو :

يـ ـَـ ح/ ز ـُـ ن/ ك ـَـ/ ك ـُـ ف/ ر ـُـ/ هـ ـُـ/ ← ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/

تكوّنت المفردة القرآنية من ستة مقاطع صوتية، أما بعد التسكين لأجل الإدغام فتكون على وفق الآتي : **ي ـَـ ح/ ز ـُـ ن ك/ ك ـُـ ف/ ر ـُـ/ هـ ـُـ/ ← ص ح ص/ ص ح ص ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/**

نجد أنَّ النسيج المقطعي بعد الإدغام قلّت فيه المقاطع الصوتية إلى خمسة مقاطع، بسقوط القمة حركة (/ك ـَـ/) عند تسكينه، فسكون المدغم (الكاف) وإلحاقهُ بالمقطع الذي يسبقه (/ز ـُـ ن/) نتج عنه تكوّن مقطع مديد مغلق بصامتين (/ز ـُـ ن ك/) (ص ح ص ص) في وسط التركيب اللغوي، ومحله الوقف، ولا نراه إلا متطرفاً[7]، وهذا ما لا تستسيغه العربية فأمتنع الإدغام لاجتماع ساكنين في نطق المفردة، ويبقى مطلب الإدغام في ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُه﴾ عسيراً ما لم ينتدب بناءً يوفر مناخاً صوتياً مناسباً للنطق.

العلاقة بين المقطع الصوتي وظاهرة الإدغام :

يسعى الناطقون بالعربية دائماً إلى سبيل التخلص من كلِّ ما يعرقل عملية نطقهم بالكلمات التي تسيّر حياتهم، آخذين بنظر الأعتبار الاقتصاد بالجهد العضلي، وتحسين جرس الألفاظ، فالعربية تكره توالي المقاطع القصيرة في الكلمة الواحدة، استثقالاً

(1) الأصوات اللغوية : 94.
(2) ينظر: الإدغام الكبير : 13
(3) ينظر : النشر : 1/ 281.
(4) ينظر : المصدر نفسه : 1/ 281
(5) ينظر : شرح المفصل : 5/ 518.
(6) ينظر : المصدر نفسه : 5/ 513.
(7) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.

للمتحركات[1]، فتدغم نحو : جَعَلَ لَكَ[2]، وأكّد الدكتور إبراهيم أنيس إلى ميل العرب القُدماء إلى ما هو ساكن من المقاطع " حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكراهته فيما هو كالكلمة، ومعنى قولهم هذا كما يعبر عنه المحدثون أنَّ اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة، ولكنهم أباحوا أربعة مقاطع ساكنة فيما هو كالكلمة إذ تقول: استفهمتم"[3].

وتسهيل للنطق تحاول العربية التخلص من تتابع المقاطع القصيرة فـ "النظام المقطعي في العربية : الابتعاد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول*وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع، في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمير الرفع المتحرك، إلى مقطعين من النوع الأول، بينهما مقطع من النوع الثالث*مثل : (ضَرَبْتَ) بدلاً من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في (ضَرَبَتُ)"[4]، ففي الفعل ضَرَبَتُ "يعمد العرب إلى اختزال هذا التتابع، فيحولون واحداً منها إلى مقطع طويل مغلق*، وهذا ما عبّر عنه النُحاة بالبناء على السكون، أي : ض ـَـ/ ر ـَـ/ ب ـَـ + ت ـُـ/ تتابع مكروه ← ض ـَـ/ ر ـَـ ب/ ت ـُـ/"[5]، والذي يترتب عليه اجهاد لأعضاء النطق؛ بسبب تتابع مجموعات صوتية يكره ويستثقل تتابعها، كما يكره اجتماع المثلين في إدغام الكلمات[6]، إذ إنَّ اللسان العربي يأبى ويكره توالي المقاطع القصيرة توفيراً واقتصاداً للجهد العضلي المبذول؛ لأنَّ هناك علاقة بين المقطع الصوتي وبين عضلات التنفس[7]، و يقول الدكتور صلاح حسن أنَّ صاحب نظرية النبض الصدريchest-pulse-theory الفوناتيكي الامريكي ستيتسون R . H . stetson ، يؤكد "أنَّهُ لاحظ علاقة بين تقسيم الكلمة إلى مقاطع وبين عمل عضلات التنفس فهذه العضلات تنتج بواسطة التقلص والاسترخاء السريعين تتابعات صغيرة من إطلاق النفس، ويفترض أنَّ هذه الإطلاقات النفسية التي تمدنا بالنشاط لإنتاج القمم البارزة التي نتلقاها على أنَّها مقاطع"[8].

ولمّا كانت العربية تكره تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة[9]، لِمَا تسببه من توتر واجهاد للناطق، فإنَّها تكره توالي المقاطع المتوسطة المفتوحة أيضاً؛ لأنَّها "تسم الصيغة بالضعف والوهن، ومن هنا قلت الأبنية التي تتوالى فيها مثل هذه المقاطع مثل : "فاعال"

(1) ينظر : الكتاب : 4/ 437، والأصوات اللغوية : 92، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 96، والمدخل في علم الأصوات المقارن: د. صلاح حسنين : 89، والمقطع الصوتي في العربية : 94.
(2) ينظر : الأصول في النحو : 2/ 364.
(3) الأصوات اللغوية : 92، وينظر: علم الأصوات العربية : 247.
*ويقصد بتوالي أربعة مقاطع من النوع الأول هو : توالي أربعة مقاطع قصيرة مفتوحة (ص ح).
*ويقصد بمقطع من النوع الثالث هو : مقطع متوسط مغلق (ص ح ص).
(4) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 96، وينظر : المدخل في علم الأصوات المقارن : 89، وفي الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد) : د. فاضل غالب المطلبي : 245.
* الصواب هو : المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص)
(5) المقطع الصوتي في العربية : 94-95، وينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 67، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : د. محمد الأنطاكي : 1/ 50.
(6) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 63، والدراسات اللهجية والصوتية : د. حسام سعيد النعيمي : 344.
(7) ينظر : المدخل في علم الأصوات المقارن : 84.
(8) المدخل في علم الأصوات المقارن : 84.
(9) ينظر : الأصوات اللغوية : 92، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 69، والمقطع الصوتي في العربية : 94.

و"فوعال" و"فيعال" وفاعول وقلّت من ثم الكلمات التي جاءت عليها... نحو: "هامان" و"ساسان" و"قارون" و"دولاب" و"ديباج" و"هارون"[1]. فالكتابة المقطعية لهذه المفردات تُبيّن لنا توالي المقاطع المتوسطة المفتوحة فيها، على وفق الآتي :

- **هامان ← هـ ـَـ/ م ـَـ/ ن ـــ/ ، ساسانَ ← س ـَـ/ س ـَـ/ ن ـــ/**
  ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح
- **قارون ← ق ـَـ/ ر ـُـ/ ن ـــ/ ، دولابُ ← د ـُـ/ ل ـَـ/ ب ـُـ/**
  ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح/ ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح/
- **ديباجٌ ← د ـِـ/ ب ـَـ/ ج ـُـ ن/ ، هارونَ ← هـ ـَـ/ ر ـُـ/ ن ـــ/**
  ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح ص/، ص ح ح/ ص ح ح/ ص ح/

عمدت العربية في بعض مقاطع هذه الأبنية إلى اختزال الحركة الطويلة فحولتها إلى ابنية أخرى من نحو : فاعول ← فعول ← ويمثله كلمة هاوون ← هاون[2].

فالكتابة المقطعية لها توضح ما أُجري عليها من اختزال للحركة الطويلة، على وفق الآتي :

- **هاوون ← هـ ـَـ/ و ـُـ/ ن ـــ/ ← ص ح ح/ ص ح ح / ص ح/**
- وبعد الاختزال ← **هاون ← هـ ـَـ/ و ـُـ/ ن ـــ/ ← ص ح ح/ ص ح/ ص ح/**

نلحظ أنَّ عمل الجهاز العضلي النطقي على وتيرة واحدة، والنطق بالكلمة في مقاطع قصيرة أو متوسطة مفتوحة بصورة متتالية يؤدي إلى التوتر والتخلخل في نطق الصيغة الكلامية؛ لأنَّ الكلمة العربية هي : "نسيج محكم من المقاطع القصيرة والمتوسطة بنوعيها في أغلب الأحيان، والمقاطع القصيرة تمثل عنصر التوتر في الصيغة بسبب تتابعها السريع، في حين تمثل المقاطع المتوسطة المفتوحة عنصر التخلخل والضعف في الصيغة؛ وذلك بسبب الفسحة الزمنية التي تفصل بين المقطع المتوسط المفتوح والمقطع الذي يليه"[3].

وإنَّ نفور العربية عن النطق بالمقطع المديد في بداية ووسط التركيب اللغوي له أسبابه بيّنها الدكتور صباح عطيوي عبود، إذ قال : "فهذا المقطع مكوّن من صامت في بدايته، كما هو حال مقاطع العربيَّة كلّها، يتبعه مصوّت طويل، وينتهي بصامت يغلقه، وتأسيساً على ذلك فإنَّ التصويت بهذا المقطع يعني أننا ننطق بالصامت الأول متبوعاً بالمصوّت الطويل، وهذا المصوّت الطويل تيَّارٌ كبيرٌ من الهواء يندفع بغزارة عبر المجرى التنفّسي مع تحرّك الوترين الصوتيين وذبذبتهما، و لمّا كان الصامت الثاني غلقاً للمقطع، إذ هو قاعدة النهاية، فإنَّ هذا يعني أنَّنا نحتاج إلى جهدٍ كبير لإيقاف مجرى هذا التيار الهوائي الغزير، ولاشكَّ في أنَّ هذا يكون في بدايته مُتدرّجاً إلى أنْ ينتهي بقاعدة

(1) أثر القوانين الصوتية : 140.
(2) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 140.
(3) المصدر نفسه : 128.

الغلق وهذا العمل برمته ثقيل على الإنسان إذا ما قُرِن بالمُصوّت القصير في المقطع الطويل المغلق، وهذا ما يجعلهُ مرفوضاً في التعامل الصوتي"[1]، وأضاف مبيّناً الحلول إلى ميول الناطق إلى إبتغاء الخفّة والاقتصاد بالجهد المبذول عَبرَ تقصير كمية الصائت الطويل إلى النصف، قائلاً : "إنَّهُ اختزل حركته الطويلةَ إلى نصفها، إذ الحركات الطويلة تُساوي حركتين قصيرتين تقريباً، وهذا عائدٌ فيما نحسب إلى ميل الإنسان إلى الاقتصاد بالمجهود عند نطق الأصوات، فنراه يحلّ الأصوات السهلة في نطقها محلّ الأصوات الصعبة، وهو ما يدعى بنظرية السهولة"[2]. ويسوّغ وجوده في درج الكلام بقوله : "ويكون في الدرج إذا أُدغِمَت قاعدته الثانية في قاعدة المقطع التالي، ومثاله في الوقف والدرج مقطعاً كلمة (ضالين) وقفاً: **/ضَ ـَـ ل/ل ـِـ ن/.** فالمقطع الأول سائغٌ؛ لأنَّ قاعدته مُدغمةٌ في القاعدة التالية، والمقطع الثاني موقوفٌ عليه"[3].

وبعد أن عُولجَ المقطع المديد (طويل مفرد الاغلاق) المؤلف من صامت يتبعه مصوت طويل بعده صامت واحد (ص ح ح ص)، وكراهية وجوده في حشو الكلام، كذلك عُولِج نفور العربية من المقطع المزيد (الطويل المغلق بصامتين) (ص ح ص ص) وكراهية وجودهُ في النطق في بداية التركيب اللغوي، فإنَّ العرب تفرّ أيضاً من التقاء الساكنين في الإدغام، واتخذته مانعاً للإدغام فإنَّهُ لا يجوز في العربية، فتحرز عنه ابن يعيش في الدرج من الكلام بقوله : "يحرز من حال، الوقف؛ لأنَّهُ في الوقف يجوز الجمع بين الساكنين، فيكون الوقف كالساد مسد الحركة كقولك: "قام زيد"، و"هذا بكر"، وإنّما سد الوقف مسد الحركة؛ لأنَّ الوقف على الحرف يمكّن جرس ذلك الحرف ويوفر الصوت"[4]، وفي بيانه لمعالجة اجتماع الساكنين وكيفية التخلص منها، قال : " اعلم أنّ من العرب من يكره اجتماعَ الساكنين على كلّ حال، وإن كانا على الشرط الذي يجوز فيه الجمعُ بين ساكنين من نحو"دابَّةٍ"، و"شابَّةٍ"، فيُحرّك الألف لالتقاء الساكنين، فتقلَب همزةً"[5]، وعلّل ذلك واصفاً الألف بالضعف وسعة المخرج، فعند تحريكه بقلبه إلى أقرب الحروف إليه وهو الهمزة، والهمزة حرف جلدٌ يقبل الحركة، ومثل لذلك في ولا ضَأَلِّينَ و شَأبَّةٌ، ودَأَبَّةٌ[6].

نلحظ أنَّ شَأبَّةٌ والمثالين الواردين على شاكلتها تصبح بعد إبدال الألف بهمزة مفتوحة من نوع ص ح/ ص ح ص/ ص ح ص/[7]، وهناك حالة نادرة يسمح فيها بالتقاء ساكنين، تنتج عن تصغير كلمتي دابة وشابة فتصبح دويبة وشويبة، فينتج عنهما مقطع من نوع

(1) المقطع الصوتي في العربية : 103.
(2) المصدر نفسه : 103، وينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 75.
(3) المقطع الصوتي في العربية : 96.
(4) شرح المفصل : 5/ 298-299.
(5) المصدر نفسه : 5/ 298-299.
(6) ينظر : المصدر نفسه : 5/ 299.
(7) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.

(ص ح ص ص)، في وسط الكلمة[1] وهو غير مقبول في العربية، ويأتي في درج الكلام أيضاً في حالة الإدغام الكبير عند إدغام قاعدته الأخيرة في مثلها[2].

وبعد أن بيّنا الهدف من المقاطع الصوتية، وظاهرة الإدغام، وما تحبذه العربية ولا تحبذه فيها، وكيفية معالجته، اتضح لنا أنَّ العلاقة مترابطة بينهما، أي أنَّ هناك أمورٌ صوتية مقطعية ترتبط بالإدغام وهي :

1 _ تفرّ العربية من التقاء صوتين صامتين في الابتداء، وعليه فإنَّهُ "لا يجوز إدغام صامتين في أول الكلمة"[3]، نحو كلمة(دَدَنَ)، إذ وقع المثلان في صدر الكلمة[4]؛ "لأنَّ الإدغام يقتضي تسكين الأول، ولا توجد كلمة في الفصحى تبدأ بساكن؛ وذلك لتعذر النطق بالساكن في بداية الكلمة"[5]، كما إنَّ المقطع الصوتي العربي لا يبدأ بصوتين صامتين، وإنْ لوحظ وقوعه في بعض اللهجات العامية الحديثة[6]، فالنسيج المقطعي للمفردة (دَدَنَ) قبل الإدغام وبعده يكون :

- قبل الإدغام : **د ـَـ/ د ـَـ/ ن ـَـ/ ← ص ح/ ص ح/ ص ح/**
- بعد الإدغام : **د ـْـ/ د ـَـ/ ن ـَـ/ ← ص/ ص ح/ ص ح/**

نجد المقطع الأول في حال الإدغام قد بدأ بقاعدة (صامت ساكن) دون (نواة) حركة وهذا مما لا تقبل به العربية.

2 _ في الإدغام تكره العربية توالي المتحركات، كما في المقطع الصوتي تكره توالي المقاطع القصيرة[7].

3 _ ألا يؤدي الإدغام إلى وجود المقطع الطويل المزدوج الاغلاق (ص ح ص ص) في بداية التركيب ووسط الكلمة، نحو: كلمة (قرْدَدَ) ففي حالة الإدغام تُصبِح الصيغة (قرْدّ) وهذه الصيغة تتكون من (ص ح ص + ص ح) على وفق الآتي :

قرْدّ← قرْدْ + دَ← ص ح ص ص + ص ح، وهذا أنْ دل على شيئ فإنَّه يدل على أنَّ الفصحى لا تقبل المقطع الطويل المزدوج الاغلاق (ص ح ص ص) في بداية الكلمة لثقلة[8]، فالعلاقة وثيقة بين الإدغام والمقطع الصوتي؛ وذلك لأنَّ هذه الظاهرة تسير وفقاً للنظام المقطعي ولا تخرج عن حدوده[9].

(1) ينظر : الهامش من دراسة الصوت اللغوي : 302.
(2) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 97- 98.
(3) دراسة في علم الأصوات : د. حازم علي كمال الدين : 123.
(4) ينظر: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 125.
(5) دراسة في علم الأصوات : 123.
(6) ينظر : أصوات اللغة العربية (الفوناتيك والفونولوجيا) : د. إبراهيم مصطفى العبد الله النمارنة : 142.
(7) ينظر : الكتاب : 4/ 437، والأصول في النحو : 2/ 364، والأصوات اللغوية : 92.
(8) ينظر : دراسة في علم الأصوات : 123-124.
(9) ينظر : المصدر نفسه : 123.

الأداء النطقي المُشكل للمقطع الصوتي في أحكام المثلين :

أولاً : عند سكون المثلين في كلمة واحدة أو في كلمتين :

أ _ سكون المثل الأول في كلمة واحدة :

ويقصد به في القراءات القرآنية "هو أنْ يكون الحرفان مثلين، أوَّلهما ساكن"[1]، إذ يدخل المدغم في مثله إدخالاً شديداً فيرتفع اللسان بالحرفين ارتفاعة واحدة، لا فصل بينهما بوقف ولا بغيره؛ وذلك لأنَّ الحرف يلزم اللسان موضعاً واحداً، لا مهلة بين بعضه وبعضه، فيصيرا بتداخلهما كحرف واحد[2].

من ذلك قوله تعالى: ﴿يُدْرِكْكُمْ﴾ (سورة النساء:78)[3]، إذ جاء المثلان في كلمة واحدة وهذا ما يسمى بالإدغام المتصل[4]، فأدغم الحرف الأول الساكن بمثله؛ وذلك لتحقيق التخفيف والسهولة في النطق[5]. فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية الأولى : ﴿يُدْرِكْكُمْ﴾ قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإدغام : **ي ـُـ د/ ر ـِـ ك/ ك ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/**
- بعد الإدغام : **ي ـُـ د/ ر ـِـ ك/ ك ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/**

نجد أنَّ المقطع الصوتي للمفردة القرآنية قبل الإدغام وبعده هو (مقطع متوسط مغلق) (ص ح ص) (ر ـِـ ك)، مما وافق وجوب الإدغام الذي أدَّى غرضه الصوتي طلباً للتخفيف "وكراهة للاستثقال بأن يزيلوا ألسنتهم عن موضع ثم يعيدوها إليه إذ في ذلك من التكلف ما لاخفاء فيه"[6]، وهنا يمكن للمؤدي أن يحقق الخفة المنشودة بتقليص الجهد العضلي في الأداء بوساطة الإدغام، إذ توافر شرطهُ المتمثل بـ (سكون الكاف الأولى وتحرك الثانية)، ومثلها بقية المفردات المذكورة آنفاً.

ب _ سكون المثل الأول في كلمتين :

مثّل له أصحاب القراءات في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ﴾(سورة البقرة:282)، و﴿مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾(سورة المروج:20)، و﴿مِنْ نُورٍ﴾(سورة النور:40)[7].

---

(1) الأقناع : 103، وإتحاف فضلاء البشر :32.
(2) ينظر : التحديد : 99.
(3) ينظر : الأقناع : 103.
(4) ينظر : شرح المفصل : 5/ 512.
(5) ينظر : التحديد : 129، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : د. مي فاضل الجبوري : 77، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 351.
(6) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 82.
(7) ينظر : التحديد: 135-164، والتذكرة : 236.

اتضح للبحث أنَّ نسيج المفردة القرآنية الأولى ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ﴾، من حيث إدغام الحرف في مثلِهِ (الباء الأولى في المفردة الأولى مثلها الباء الثانية في المفردة الثانية)، جاء على حسب الأصل، من دون أي عناء؛ ذلك لمجيء الأول ساكناً من أَصله، والثاني متحركاً، فسَهّلَ عملية الإدغام[1]، وهذا ينعكس إيجاباً على النُطق المجسّد في ضوء المقطع الصوتي، في حالتها قبل الإدغام وما يجري عليها بعده، على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **و ـــ ل/ ي ـــ ك/ ت ـــ ب/ ب ـــ ي/ ن ـــ/ ك ـــ م/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

• بعد الإدغام : **و ـــ ل/ ي ـــ ك/ ت ـــ ب/ ب ـــ ي/ ن ـــ/ ك ـــ م/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

نجد أنَّ نسيجها المقطعي في الحالتين هو مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) (/ت ـــ ب/)، بعدد المقاطع نفسها (ستة مقاطع صوتية)، إلاّ أنَّ الإدغام أَدَّى غرضه من التخفيف والتقريب الصوتي؛ وذلك بأنَّ الأول إذا كان ساكناً وأدغمته في مثله فقد "أخفيت الساكن الأول في الثاني حتى نَبَا اللسان عنهما نبوة واحدة, وزالت الوقفة التي كانت تكون في الأول لو لم تدغمه في الآخر"[2]، وهذا كان عاملاً لوجوب الإدغام في هذه المفردة، والذي سَهّلَ عملية النطق على المؤدي، وتقع على شاكلتها بقية المفردات المذكورة آنفاً، والتي سُكّن فيها المثل الأول في كلمتين .

ثانياً: تحرك المثلين في كلمة واحدة أو في كلمتين :

أ_ المثلان المتحركان في كلمة واحدة :

ذكر أصحاب القراءات القرآنية، أنَّهُ لم يدغم من المثلين المتحركين في كلمة واحدة إلاّ في موضعين أحدهما في سورة المدثر من قوله تعالى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ (سورة المدثر:42)، والآخر في سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾(سورة البقرة:200)، وأظهروا ما عداهما نحو قوله تعالى:﴿حِبَاهُمْ﴾(سورة التوبة:35)، و﴿وُجُوهُهُمْ﴾(سورة الزمر:60)، و﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾(سورة البقرة:139)(3)، ومنهم من ذكر مفردات قرآنية أُخرى أدغم فيها المثلان المتحركان في كلمة واحدة، منها ما جاء في قوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾(سورة المائدة:54)(4)، و﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾(سورة البقرة:282)(5)، و﴿لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾(سورة يوسف:11)(6). فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية الأولى : ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾، قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

(1) ينظر : التحديد : 164.
(2) الخصائص : 2/ 142، وينظر : أثر القوانين الصوتية : 64.
(3) ينظر : النشر : 1/ 280، والتيسير : أبو عمرو الداني : 25/1، وإتحاف فضلاء البشر : 33.
(4) ينظر : السبعة في القراءات : لابن مجاهد 245.
(5) ينظر : النشر : 2/ 227-228.
(6) ينظر : التيسير : 1/ 127.

• قبل الإدغام : **م ـَـ/ س ـــ/ ل ـــ/ ك ـــ/ ك ـُـ م/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

نلحظ أنَّهُ تكونت المفردة القرآنية من خمسة مقاطع صوتية، ولتوالي المتحركات وكراهية تتابع المقاطع القصيرة المفتوحة، في حالة النطق بالمفردة[1]، وثقل استعمال ألسنتهم من موضع واحد ثم يعودوا له مما يسبب في إجهاد عضلات الجهاز الصوتي على المؤدي، عملوا على إدغام الأول في الثاني[2]، فتكون بعد الإدغام على وفق الآتي :

• بعد الإدغام : **م ـَـ/ س ـــ/ ل ـــ ك/ ك ـُـ م/ ص ح ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

نرى أنَّ مقاطع المفردة تكوّنت من أربعة مقاطع صوتية؛ وذلك للخفة التي ينشدونها في النُطق؛ لأنَّ التكرير ثقيل فحاولوا تخفيفه بأنْ يدغموا أحدهما في الآخر[3]، ففي المقطع الصوتي تتداخل المقاطع مع بعضها لتقل عما كانت عليه قبل الإدغام، فتمّ الاستغناء عن قمة المقطع الرابع (/ك ـــ/) مما يعني اختزال المقطعين ليصبحا مقطعاً واحداً انسجاماً مع قانون السهولة والتيسير في الجهد[4]، بعد إلحاق قاعدته بالمقطع الثالث (/ل ـــ/) ليكوّن معه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) من المقاطع المستساغة والشائعة في المقطع العربي[5]، فوافق جواز الإدغام للمفردة؛ وذلك لأنَّ المثلين متحركين في وسط الكلمة[6] .

وفي قوله تعالى : ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾، أختلف القرّاء فيها ما بين الإدغام والإظهار فإدغمها أغلب القرّاء السبعة،"فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي (يرتدّ) بدال واحدة"[7]، بيد أَن نافع وابن عامر قرؤها بفكّ الإدغام (يرتدِدْ)[8].

ففي المفردة القرآنية (يرتدّ) شدد فيها الحرف الأخير (الدال)، ومن وجهة النظر الحديثة فقد نظرَ إلى الصوت المشدد بأتجاهين، إذ يقول الدكتور غانم قدوري : "نحن هنا أمام اتجاهين في معالجة الصوت المشدد، الاتجاه الأول يعتمد على التحليل الصوتي فيكون الصوت المشدد على أساسه صوتاً واحداً أُطيل الاعتماد عليه، ولكن دون أَن يستغرق زمان صوتين اثنين في طوله، والاتجاه الثاني يعتمد على التحليل الصرفي، فيكون الصوت المشدد على أساسه قائماً مقام صوتين متماثلين صحيحين غير ناقصين"[9]، والمقطع الصوتي لها في حالة الإظهار والإدغام، على وفق الآتي :

• في الإظهار : **ي ـــ ر/ ت ـــ د/ د ـــ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/**

• في الإدغام : **ي ـــ ر/ ت ـــ د/ د ـــ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/**

(1) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 140، وأثر القوانين الصوتية : 128.
(2) ينظر : الكتاب : 4/ 417، وشرح المفصل : 5/ 513، والممتع في التصريف : لابن عصفور الأشبيلي : 1/ 405.
(3) ينظر : اللهجات العربية في التراث : 1/ 293.
(4) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 136.
(5) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.
(6) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 127.
(7) السبعة في القراءات : 245.
(8) ينظر : المصدر نفسه : 245.
(9) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 398.

نلحظ أنَّهُ شَكّلَ في الحالتين مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ت ـَـ د/) في حشو التركيب اللغوي، من المقاطع المستساغة في العربية[1]، مما جاء موافقاً لوجوب الإدغام في المفردة؛ لأنَّهُ لم يحصل في إدغامه إِلْحَاقَ وَلاَ لَبْس[2]، و أَنَّ النطق بالمشدد يستغرق زمناً أطول من زمان النطق بالحرف الواحد، ويكون أقصر من زمان النطق بالحرفين[3]، فوصفه الدكتور عبد الصبور شاهين، بأنَّهُ "صامت طويل، يشبه الحركة الطويلة التي تساوي ضعف الحركة القصيرة"[4]، أمّا من الناحية الصرفية، فهناك من يرى إنَّ المشدد عبارة عن حرفين صحيحين غير ناقصين، اعتماداً على دورهِ في بِنْية الكلمة[5]، نرى أنَّ المفردة القرآنية باعتبار بنِيْتَها يتفكك المشدد، فيصبح حرفين، على وفق الآتي : يرتدّ ← يَرْتَدِدْ، بإسكان الحرف الثاني، وهذا خلاف شرط الإدغام[6] من الناحية الصوتية، ويجوز فيها الفكّ والإدغام؛ لأنَّ الكلمة التقى فيها "المثلان فعلاً مضارعاً مجزوماً"[7].

نرى أنَّهُ عند الإدغام لابدّ من تسكين الأول من المثلين[8]، فتُصْبِح ← (يرتدْدْ) التقى فيها ساكنان، وهو ما تأباه العربية، ولا تستسيغ وجوده في التركيب اللغوي[9]، ونتيجة هذا الالتقاء أدَّى إلى تكوين مقطعاً لا يتناسب مع النظام المقطعي للعربية، إذ تكون (يرتدِدْ) في حالة الإدغام ← (يرتدْدْ)، فالكتابة المقطعية تظهر لنا مقطع مديد مغلق بصامتين (ص ح ص ص) متكون من اجتماع ساكنين : ي ـَـ ر/ ت ـَـ د ـْـ د ـْـ/ ، "وهذا لا يكون إلا في حالة الوقف"[10]، ولمعالجة التقاء الساكنين من جراء الإدغام، نعمل على نقل حركة المتماثل الأول إلى الثاني[11] المدغم فيه :

يرتدِدْ ← يرتدْدِ → بعد سلب حركة الأول إلى الثاني

↓

نقل حركة الدال الأولى إلى الدال الثانية(الساكنة)

نرى أنَّ المقطع الصوتي لها بعد نقل الحركة وإدغام الدال الأولى في الثانية هو : ي ـَـ ر/ ت ـــ د/ شَكّلَ مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) محبذاً لِمَا عليه الإدغام من الوجوب؛ لأنَّ العرب في طبيعتها تميل إلى السهولة في النطق، فـ "اجتماع المثلين عندهم مكروه؛ لأنَّهم يستثقلون أنْ يُميلوا ألسنتهم عن موضع، ثم يعيدوها إليه، لما في ذلك من

(1) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.
(2) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 234.
(3) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 399.
(4) المنهج الصوتي للبنية العربية : 207.
(5) ينظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : 398، والمنهج الصوتي للبنية العربية : 206-207، والتعليل الصوتي : 385.
(6) ينظر : التعليل الصوتي : 385.
(7) المنهج الصوتي للبنية العربية : 206.
(8) ينظر : شرح الملوكي : ابن يعيش النحوي : 452.
(9) ينظر : شرح المفصل : 5/ 286.
(10) المدخل إلى علم الأصوات العربية : 202، وينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.
(11) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 75.

الكلفة على اللسان"[1]، فتحقق بذلك مناخ الإدغام من الخفة والسهولة على المؤدي، وتقع على شاكلتها أيضاً المفردة القرآنية ﴿وَلَا يُضَارَّ﴾.

ومن المفردات القرآنية التي ذكرها أصحاب القراءات ممن اختلفوا فيها بين الفكّ والإدغام، قوله تعالى : ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾، جاءت قراءة القرّاء السبعة بإدغام إحدى النونين مع الإشمام بالضم[2]، إذ أَنَّ "أَصل ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ هو (لا تأْمُننَا) و(لا) هنا نافية وليست جازمة؛ ولكن جميع القرّاء يقرأ بالإشمام لتوالي ثلاث متحركات في الكلمة (تأْمُنُنَا)، أي الميم ونونين بعدها فلابدّ من إدغام النونين مع الإشمام لتوالي ثلاث متحركات"[3]. إذ يقول أبو عمرو الداني : "واشمام النون المدغمة في مثلها في قوله تعالى : ﴿لَا تَأْمَنَّا﴾ يحتملُ أنْ يكون إشارةً بالشفتين إلى الحركة بعد الإدغام وبعد السكون، فعلى هذا يكون إدغاماً تاماً، ويحتمل أن يكون إشارة إلى النون بالحركة، فعلى هذا يكون إخفاء"[4]، ومنها قراءة الباقين أيضاً[5].

ونتبع ذلك في ضوء الكتابة المقطعية، للمفردة في حالة الإظهار والإدغام، على وفق الآتي :

- في الإظهار : **ل ـَـ/ ت ـَـ ء/ م ـَـ/ ن ـُـ/ ن ـَـ / ← ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/**
- في الإدغام : **ل ـَـ/ ت ـَـ ء/ م ـَـ ن/ ن ـَـ / ← ص ح ح/ ص ح ص/ ص ح ص/ص ح ح/**

نلحظ أنّ النسيج المقطعي قبل الإدغام كان على خمسة مقاطع صوتية، وبإدغام النون الأولى في الثانية واشمامها الضم*، تكوّن النسيج المقطعي الإدغامي للمفردة القرآنية من أربعة مقاطع صوتية، بعد حذف حركة المقطع الرابع (/ن ـُـ/)، واختزال المقطعين الرابع والثالث (/م ـَـ/ ن ـُـ/) في مقطع واحد جراء إلحاق القاعدة (/ن ـُـ/) بالمقطع (/م ـَـ/) فكوّن معه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/م ـَـ ن/) من المقاطع الشائعة في النظام المقطعي العربي[6]، إذ النطق يكون سهلاً معه، لذ جاء موافقاً لوجوب الإدغام؛ لتوافر شروطه والتي منها، تحرّك المثلين في كلمة واحدة[7] فعند إسكان المثل الأول حَقق المناخ الصوتي للإدغام، بتكيف الجهاز النطقي إلى متطلبات الأداء للنطق بالمفردة.

---

(1) ينظر : شرح الملوكي : 451.
(2) ينظر : السبعة في القراءات : 345، والتيسير : 1/ 127.
(3) الهامش من التذكرة : 308.
(4) التحديد : 150.
(5) ينظر : التذكرة : 308.
*((وَحَقِيقَة الاشمام فِي ذَلِك أن يشار بالحركة الى النُّون لَا بالعضو اليها فَيكون ذَلِك اخفاء لَا ادغاماً صَحِيحاً؛ لأنّ الْحَرَكَة لَا تسكن رَأْسا)) التيسير : 127.
(6) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(7) ينظر : المفصل في علم العربية : أبو القاسم الزمخشري : 418.

ب _ المثلان المتحركان في كلمتين :

وسمي بالإدغام الكبير، والذي قال به أبي عمرو بن العلاء[1]، فقد أدغمَ المثلان المتحركان في كلمتين، سواء سكّن ما قبل الحرف الأول، أو تحرك في جميع القرآن[2]، نحو قوله تعالى : ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾(سورة البقرة:11)، و﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾(سورة الشمس:13)، و﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾(سورة الأحزاب:37)، و﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ﴾(سورة الأعراف:199)، وما اختلف فيه بين الإدغام والإظهار نحو قوله تعالى: ﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾(سورة البقرة:20)، ﴿عَاقَبَ بِمِثْلِ﴾(سورة الحج:60)، وأنَّهُ لم يدغمْ بعض من المثلين المتحركين؛ وذلك لوجود مانع يمنع الإدغام فيها، نحو قوله تعالى :﴿فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ﴾(سورة لقمان:23)، و﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾(سورة البقرة:187)، و﴿مَسَّ سَقَرَ﴾(سورة القمر:48)(3).

وبعد أنْ ذكرنا المفردات القرآنية الواردة في القراءات، والتي تَعبّر عن إدغام المثلين المتحركين في كلمتين، نتوجه إلى دراسة بعضها على وفق الكتابة المقطعية، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿عَاقَبَ بِمِثْلِ﴾، إذ أدغم أبو عمرو بن العلاء الباء الأولى المتحركة في مثلها من الكلمة الثانية، بعد تسكينها فلفظت حرفاً واحداً مشدداً ﴿عاقب بّمثل﴾[4]. فالنسيج المقطعي لها قبل الإدغام وبعده، تمثّل بالآتي :

- قبل الإدغام : **ع ـَـ/ ق ـَـ/ ب ـَـ/ ب ـِـ/ م ـِـ ث/ ل ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/**
- بعد الإدغام : **ع ـَـ/ ق ـَـ ب/ ب ـِـ/ م ـِـ ث/ ل ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/**

نلحظ أنَّ النسيج المقطعي للمفردة تكوّن قبل إجراء الإدغام من ستة مقاطع صوتية، توالت فيها المتحركات (المقاطع القصيرة المفتوحة)، ونظراً لكراهية العرب لتتابع هذه المقاطع في التركيب اللغوي استثقالاً للمتحركات، عملوا على إدغامها[5]، وبما أنَّ العرب تكره اجتماع المثلين المتحركين، عمدوا إلى إسكان الأول، ليتأتى لهم الإدغام في حال الوصل[6]، بعد إسقاط حركته خفف من البِنْية المقطعية للفظ، فالإدغام قد أدَّى وظيفته، وهو التخلص من الثقل المتأتي من توالي الحركات المؤدي إلى كثرة المقاطع القصيرة المفتوحة، وفي ضوءه تم الاستغناء عن قمة المقطع الثالث (/ب ـَـ/)، ليختزل عدد المقاطع الصوتية إلى خمسة مقاطع، بعد حذف الحركة، والحاق قاعدة المقطع الثالث (/ب ـَـ/) بالمقطع الثاني (/ق ـَـ/) مكوّناً معه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ق ـَـ ب/)

(1) ينظر : الإدغام الكبير : 1/ 7.
(2) ينظر : التيسير : 1/ 20، و جامع البيان : 167.
(3) ينظر : التيسير : 1/ 20، والإدغام الكبير: 13، والنشر : 1/ 280.
(4) ينظر : الإدغام الكبير : 12.
(5) ينظر : الكتاب : 4/ 437، والأصوات اللغوية : 92، والمقطع الصوتي في العربية : 94.
(6) ينظر : شرح المفصل : 5/ 513، والدراسات اللهجية والصوتية : 344، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 378.

من المقاطع المستساغة والشائعة في العربية[1]، مما وافق باستساغته جواز الإدغام، الذي سَهّل حركة اللسان؛ بسبب تبايّن نوع المقطع، كما أدَّى النطق بالحرفين دفعة واحدة إلى الزمن المفترض لنطق الحرفين منفصلين، وبهذا يقل الجهد عند النطق[2]، وكذا "لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها"[3] فوفّرَ الإدغام للمؤدي نبرة صدرية يستغني عنها بحذف قمة المقطع الثالث للمفردة (/ب ـَـ/).

ويشمل إدغام المثلين المتحركين في كلمتين نوعين آخرين هما :

1 _ تحرك المثلين في كلمتين وما قبل الأول حرف صحيح ساكن :

وردَ عن أبي عمرو بن العلاء الإدغام في هذا النوع؛ لأنَّهُ لا يُبالي في إدغام المثلين المتحركين، سواء أكان ما قبل الأول ساكن، أم متحرك[4]، من ذلك قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ﴾[5]، يقول الاستراباذي (ت 686ه) في إدغام هذا النوع إنَّ : "ما نسب إلى أبي عمرو من الإدغام في نحو ﴿خُذِ العفو وأمر﴾... فليس بإدغام حقيقي، بَل هو إخفاء أول المثلين إخفاء يشبه الإدغام"[6]. فالكتابة المقطعية لنسيج المفردة قبل الإدغام وبعده، تكون على وفق الآتي :

- قبل الإدغام : **ء ـَـ ل/ ع ـَـ ف/ و ـَـ/ و ـَـ ء/ م ـُـ ر/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/**
- بعد الإدغام : **ء ـَـ ل/ ع ـَـ ف و/ و ـَـ ء/ م ـُـ ر/ ← ص ح ص/ص ح ص ص/ص ح ص/ص ح ص/**

نجد أنَّ النسيج المقطعي للمفردة القرآنية، تكوّن قبل الإدغام من خمسة مقاطع صوتية، وبعده على أربعة مقاطع، بعد حذف قمة المقطع الثالث (الفتحة) (/وـَـ/)، والحاق قاعدته (الواو) بالمقطع الثاني، فكوّن بعد هذا الاختزال مقطعاً مديداً مغلقاً بصامتين (ص ح ص ص) (/ع ـَـ ف و/)، وسط التركيب اللغوي، وهذا ما لا تستسيغه العربية[7]؛ لأنَّها تجّوزه في حالة الوقف فيأتي آخراً[8]؛ وذلك عندما أدغموا الواو في الواو اجتمع ساكنان في النطق لا على شرطة وهو الفاء والواو في كلمة واحدة ﴿العفْوْ﴾، وذلك لا يجوز.

(1) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.
(2) ينظر : ما ذكره الكوفيون من الإدغام : أبو سعيد السيرافي : 33.
(3) دراسة الصوت اللغوي : 387.
(4) ينظر : جامع البيان : 167.
(5) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 38.
(6) شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 247.
(7) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 103، والتطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 96، وأثر القوانين الصوتية : 105.
(8) ينظر : المقطع الصوتي العربي : 103، ودراسة الصوت اللغوي : 302.

إذ منع ابن يعيش هذا النوع من الإدغام، فعنده هذا ليس بإدغام، وإنَّما هو عنده على اختلاس الحركة وضعفها لا على إذهابها بالكليّة[1]، وقد وافق الاستربـاذي رأي ابن يعيش في عدم جوازه في قوله تعالى: ﴿خُذِ العفو وأمر﴾، إذ يرى أنَّ الواو الساكنة فيها مدّ على الجملة، وإنْ لم تكن حركة ما قبلها من جنسها، إلاّ أنَّ مدّها أقل من مدِّها إذا كانت حركة ما قبلها من جنسها، وإنَّما لم يجز نقل حركة أول المثلين في كلمتين إلى الساكن قبله لغرض الإدغام؛ لأنَّ اجتماع المثلين في كلمتين لا يجوز تغيير بِنْية الكلمة فيه لشيء عارض غير لازم، كما لو كان اجتماع المثلين في كلمة واحدة لجاز تغيير بِنْية الكلمة[2]، وعارض أحمد بن محمد البنّاء إدغام أبي عمرو بن العلاء في هذا النوع بقوله : "وأنْ كان الساكن صحيحاً عُسرَ الإدغام معه لكونه جمعاً بين ساكنين"[3]، ومع ذلك أدغم أبو عمرو بن العلاء قوله تعالى : ﴿خُذِ العفو وأمر﴾، وما جاء على شاكلتها من المفردات القرآنية، نحو قوله تعالى:﴿مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾(سورة الجمعة:11)، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾(سورة البقرة:185)[4]، هذا من الناحية الإدغامية، أمّا النظر إليها من الناحية المقطعية، فإنَّ العربية تكره ولا تجوّز وقوع المقطع المديد المغلق بصامتين في النطق وسط التركيب اللغوي، إذ أَنَّ اللغة العربية تمنع أَن يلتقي ساكنان في مقطع؛ فعلّل الدكتور إبراهيم النمارنه سبب ذلك بقوله : "ولهذا لا يوجد فيها المقطع من نوع (ص ح ص ص) مطلقاً، والسبب أن الساكن وهو صوت صامت ينطق من مخرجه بجميع صفاته المغيرة، ثم ينتقل المتكلم من هذا الصوت إلى الصوت الذي يليه، ولكي يأخذ الجهاز النطقي وضعه الجديد مع الصوت الجديد، فتأتي هذه الوسيلة وهي الصوت الصائت لتيسير هذا الانتقال"[5].

2 _ تحرك المثلين في كلمتين، وما قبل الأول حرف مدٍّ :

عَمَلَ أبو عمرو على الإدغام في هذا النوع، نحو قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾(سورة البقرة:11)، ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي﴾(سورة الأحزاب:37)، ﴿فَقَالَ لَهُمْ﴾(سورة الشمس:13)[6]، وقد جَوَّز النحويون القُدماء، وأصحاب القراءات هذا النوع من الإدغام، إذ ورد عند سيبويه بقوله : " وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواءٌ متحركين، وقبل الأول حرف مدٍ، فإنَّ الإدغام حسنٌ؛ لأنَّ حرف المدّ بمنزلة متحركٍ في الإدغام"[7]، فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية الأولى : ﴿قِيْلَ لَهُمْ﴾(سورة البقرة:11)، قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي:

- قبل الإدغام : **ق ـِـ/ ل ـَـ/ ل ـَـ/ هـ ـُـ م/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/**
- بعد الإدغام : **ق ـِـ ل/ ل ـَـ/ هـ ـُـ م/ ← ص ح ح ص/ص ح/ ص ح ص/**

(1) ينظر: شرح المفصل: 5/ 515.
(2) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 248.
(3) إتحاف فضلاء البشر : 38.
(4) ينظر : المصدر نفسه : 32.
(5) أصوات اللغة العربية (الفوناتك والفونولوجيا) :164.
(6) ينظر : الأقناع : 138.
(7) الكتاب : 3/ 437، وينظر : شرح المفصل : 5/ 288، والأقناع : 138.

نلحظ أنّ النسيج المقطعي قبل الإدغام تكوّن من أربعة مقاطع صوتية، وبعدما أُدغم قلَّ عدد المقاطع المكونة للمفردة، بعد الاستغناء عن قمة المقطع الثاني (/ل ـَـ/) وإلحاق قاعدته بالمقطع الأول (/ق ـِـ/)، مكوّناً بعد هذا الاختزال للمقطعين (الأول والثاني) مقطعاً طويلاً مغلقاً (/ق ـِـ ل/)، (ص ح ح ص)، إذ عند الإدغام لابدّ من تسكين الأول المتحرك أصلاً وهذا شرطه الأساسي[1]، فالتقى ساكنان (قيْلْ لَهُم)، وإنَّ العربية تكره اجتماع ساكنين، ولا تجوّزه وهو (حرف المد واللين، والمدغم في مثله)[2]، فكوّن المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) (/ق ـِـ ل/) في بداية التركيب اللغوي للنطق في غير موضعه المسموح به في العربية، "وهو من مقاطع الوقف، ويكون في الدرج إذا أُدغِمت قاعدته الثانية، في قاعدة المقطع التالي"[3]، لذ جاء موافقاً لجواز الإدغام وحسنه، وهذا ما أشرنا إليه آنفاً عند النحاة القُدماء، وأصحاب القراءات؛ وذلك لأنَّهم جعلوا "حرف المدّ بمنزلة متحرك في الإدغام"[4]، وتبيّن لنا أنَّهُ قد تهيأ للمؤدي المناخ الصوتي المناسب الذي استحسن الإدغام بين الصوتين لحركية (مقطع الياء) السابقة لأول الصوتين.

المقطع الصوتي في (أحكام إدغام المتقاربين) :

أولاً: المتقاربان المتحركان في كلمة واحدة :

جاء عند أصحاب القراءات على أنَّهُ لم يدغم من المتقاربين في كلمة واحدة إلاّ القاف في الكاف، إذا تحرك ما قبل القاف، وكان بعد الكاف ميم جمع[5]، نحو قوله تعالى: ﴿رَزَقَكُمْ﴾(سورة المائدة:88)، ﴿صَدَقَكُمْ﴾(سورة آل عمران:152)، ﴿خَلَقَكُمْ﴾(سورة البقرة:21)(6)، أما إذا أتى ما قبل القاف ساكن، أو لم يأتِ بعد الكاف ميم جمع، نحو قوله تعالى : ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾(سورة البقرة:84)، و﴿خَلَقَكَ﴾ (سورة الأنفطار:7)، و ﴿نَرْزُقُكَ﴾(سورة طه:132)(7)، فإنَّها لم تدغم، إذ يقول أبو عمرو الداني : "فإنْ سُكّن ما قبل القاف في ذلك لم يدغمها اكتفاء بخفة الساكن من خفة الإدغام"[8]، وأختلف في قوله تعالى : ﴿طَلَّقَكُنَّ﴾(سورة التحريم:5)؛ وذلك لِمَا بعد الكاف نون جمع[9]، فكلٌّ من القاف والكاف صوتان انسداديان مهموسان وفميان إلاَّ أنّهما يختلافان في موقعهما، فالقاف صوت لهوي، والكاف صوت طبقي [10]، ومن ذا نرى أنَّهُ حصل التفاعل الصوتي الذي سوّغ الإدغام بينهما، فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية الأولى ﴿رَزَقَكُمْ﴾، قبل الإدغام وبعده، نلحظ ما يجري عليها، في عدد مقاطعها، ونوعية المقطع المستساغ لجواز الإدغام الناشئ من قلب الصوت الأول وتسكينه، ومن ثمّ إدغامه في الصوت الثاني، على وفق الآتي :

---

(1) ينظر : الكتاب : 4/ 472.
(2) ينظر : شرح المفصل : 5/ 286.
(3) المقطع الصوتي في العربية : 96.
(4) الكتاب : 4/ 472، وينظر : شرح المفصل : 5/ 288.
(5) ينظر : النشر : 286/1، التذكرة : 32، والأقناع : 136.
(6) ينظر : النشر : 1/ 286، و التيسير : 1/ 22، والتذكرة : 32.
(7) ينظر : التيسير : 1/ 22، والإدغام الكبير : 17، والنشر : 1/ 286.
(8) جامع البيان : 170.
(9) الإدغام الكبير : 17.
(10) ينظر : علم الأصوات العام : 116-117.

• قبل الإدغام : **ر ـَـ/ ز ـَـ/ ق ـَـ/ ك ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ص ح/**

• بعد الإدغام : **ر ـَـ/ ز ـَـ ك/ ك ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/**

نرى أنَّهُ تقلّص عدد مقاطع نسيجها إلى أربعة مقاطع صوتية، بعد أن كان على خمسة مقاطع؛ وذلك عندما أختزل المقطع الثالث (/ق ـَـ/) مع المقطع الثاني (/ز ـَـ/)، في حالة الإدغام، مكوناً معه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (/ز ـَـ ك/) بعد قلبه وتسكينه وإدغامه في مماثله؛ "ليرفع اللسان عنهما رفعة واحدة إذ كان ذلك أخف"[1]، والذي أسهم في خلق نوع من الانسجام الصوتي الذي يستسيغه الناطق في أدائهِ .

ثانياً: المتقاربان المتحركان في كلمتين :

أدغم أبو عمرو بن العلاء من المتقاربين المتحركين في كلمتين مفردات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾(سورة آل عمران:129)[2]، إذ أُدغم حرفي الباء والميم في كلمتين؛ وذلك لقرب مخرجهما واتحادهما في الصفات، فإنَّ الباء والميم حرفان صامتان مجهوران[3]، ومخرجهما مما بين الشفتين[4]، فصوت الباء "صامت انسدادي شفتاني مجهور فمي"[5]، أمّا صوت الميم "صامت انسدادي شفتاني، أنفي مجهور"[6]، ففرق الميم عن الباء هو "أنَّ الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنّة"[7]. فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **ي ـُـ/ ع ـَـ ذ/ ذ ـِـ/ ب ـُـ/ م ـَـ ن/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

• بعد الإدغام : **ي ـُـ/ ع ـَـ ذ/ ذ ـِـ م/ م ـَـ ن/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ص/**

بما أنَّ الإدغام في المتقاربين يقتضي تسكين الأول وقلبه إلى لفظ الثاني ليصير مثلاً له[8]، نلحظ في النسيج المقطعي في حالة الإدغام للحرفين المتقاربين أنَّهُ تم الاستغناء عن قمة (/ب ـُـ/)، الصوت المتقارب الأول، وبعد قلبه ودمجه بالمقطع الذي سبقه (/ذـِـ/)، مكوّناً معه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص)، من المقاطع الشائعة الاستعمال في العربية[9]، فوافق بشيوع استعماله هذا جواز الإدغام؛ وذلك لقرب الحرفين في المخرج والصفة، إضافة إلى وجود الكسرة قبل الباء في المقطع (/ذ ـِـ/)، وهو مسوّغ آخر على تحقيق الإدغام. إذ جاء عند ابن الجزري "إنَّما أدغم ﴿ويعذب من يشاء﴾ من أجل كسر

(1) ما ذكره الكوفيون من الإدغام : 33.
(2) ينظر : النشر : 1/ 287.
(3) ينظر : علم الأصوات العام : 114-118.
(4) ينظر : علم الأصوات : د. كمال بشر : 183، والأصوات اللغوية : 47.
(5) علم الأصوات العام : 114.
(6) المصدر نفسه : 119.
(7) شرح المفصل : 5/ 518، وينظر : المدخل في علم الأصوات المقارن : 125.
(8) ينظر : شرح المفصل : 5/ 525، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 129.
(9) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.

الذال"[1]، ومن وجهة النظر الصوتية لإستساغة المقطع الصوتي لجواز الإدغام، فإنَّ الأداء النطقي لإدغام الباء في الميم وفق هذه المعطيات يتمثل في إنَّ "حبس الهواء سيكون أطول على أساس صوتي الباء والميم معاً، ولتناقض طبيعة إطلاق الهواء مع كل منهما، فقد أوثرت طريقة الميم في تمرير الهواء من الأنف فلم يكن للباء في هذه الحال نصيب إلا في الحبس؛ لأنَّها تفنى في الميم فتنقلب إليه"[2]، وبهذا يتم الإدغام.

ومنه قوله تعالى : ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾(سورة الحجر:65)، إذ أدغم أبو عمرو بن العلاء صوت الثاء بالتاء[3]، وعلى نهج القُداماء، ومنهم سيبويه[4] صوّر مخرجهما الدكتور إبراهيم أنيس في قوله : " بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها)"[5]، ويتصفان بأنَّهما صوتان مهموسان[6]، فوشائج التقارب الصوتي بينهما كبيرةٌ، وفي ضوء الكتابة المقطعية نتبع ما يجري عليها من تغييرات، على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **ح ـَـ ي/ ث ـُـ/ ت ـُـ ء/ م ـَـ/ ر ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

• بعد الإدغام : **ح ـَـ ي ت/ ت ـُـ ء/ م ـَـ/ ر ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

يظهر أنَّهُ بعد قلب الثاء إلى تاء وتسكينها، لتدغم في مماثلها اجتماع ساكنين في الكلمة الأولى، فهنا "يجمع القارئ بين ساكنين، هما أول المدغمين والساكن قبله فيجتمع في لفظه ثلاثة أصوات صحيحة، وهذا ما لا تقبله قوانين العربية وكذلك القوانين الصوتية الحديثة على أنَّهُ موجود في اللغات الأخرى ويطيقه القرّاء الحاذقون"[7]، فمن الناحية المقطعية الإدغامية، تم إسقاط قمة المقطع الثاني (/ث ـُـ/)، بعد قلبه، ومن ثم أُدمج مع المقطع الأول فشكّل مقطعاً طويلاً مغلقاً بصامتين (ص ح ص ص) (/ح ـَـ ي ت/) في الِدرج، وإنَّما حالته مشروطة في الوقف[8]، فجاء جواز وقوعه في دِرج الكلام موافقاً لجواز الإدغام في هذه المفردة؛ وذلك لأنَّ مسوّغ الإدغام في النطق هنا هو اتفاق الحرفين من حيث منطقة خروجهما، فكلاهما ينطقان بإلصاق طرف اللسان بداخل الثنايا العليا للأسنان[9]، فـ "يستطيع الجهاز الصوتي أداء هذه الحالة بإجهاد كما رَبِّض قرّاء القرآن انفسهم عليه إلى يومنا هذا"[10].

ثالثاً: المتقاربان في كلمة واحدة والأول ساكن :

(1) النشر : 1/ 287، وينظر : الإدغام الكبير : 28.
(2) التعليل الصوتي : 417.
(3) ينظر : النشر : 1/ 289.
(4) ينظر : الكتاب : 4/ 433.
(5) الأصوات اللغوية : 49.
(6) ينظر : علم الأصوات العام : 114-121.
(7) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 107.
(8) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302، ومناهج البحث في اللغة : د. تمام حسان : 146.
(9) ينظر : مناهج البحث في اللغة : 94-99.
(10) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 109.

من المتقاربين اللذين سكّن أولهما في كلمة واحدة، قوله تعالى: ﴿اتَّخَذْتُمْ﴾(سورة البقرة:51)، إذ أدغم أبو عمرو بن العلاء (ت 154ه)، وسائر القرّاء السبعة، حرفي الذال والتاء[1]، و"أظهر الذال في ذلك كلّه ابن كثير وعاصم في رواية حفص"[2]، فالنسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام، وبعده على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **ء ـَـ ت/ ت ـَـ/ خ ـَـ ذ/ ت ـُـ م/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

• بعد الإدغام : **ء ـَـ ت/ ت ـَـ/ خ ـَـ ت/ ت ـُـ م/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

نلحظ أنَّ نسيجها المقطعي قد شكّلَ قبل الإدغام وبعده مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص)، من المقاطع المستساغ مجيؤها في حشو التركيب اللغوي؛ كونها لا تكلف المؤدي جهداً حين النطق بها[3]، فإنَّ المقطع الإدغامي **(/خ ـَـ ت/)** أدى غرضه النطقي من التسهيل والتخفيف؛ وذلك بقلب الذال تاء، لما بينهما من التقارب في المخرج، على الرغم من تباينهما في الصفة، فـ"عند نطق ((الثاء)) و((الذال)) يقترب طرف اللسان من القواطع العليا ويلامسها بحيث يُسمح بمرور الهواء المزفور من خلال منفذ ضيّق. وقد يتجاوز طرف اللسان القواطع قليلاً بحيث يُرى من الخارج، أو يوضع وراءها تماماً ولا يتذبذب الوتران الصوتيان لدى نطق ((الثاء)) فهي مهموسة، في حين يتذبذبان مع ((الذال))، وهي مجهورة"[4]، وفي ذلك يقول الدكتور رمضان عبد التواب : "فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد، أو من مخرجين متقاربين، وكان أحدهما مجهوراً والآخر مهموساً مثلاً، حدث بينهما شدّ وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته، ويجعله يتماثل معه في صفاته كلها، أو في بعضها"[5]، وعلى هذا فقد وافق نشوء المقطع المستساغ فيها جواز الإدغام، لِمَا بين الحرفين من التقارب المخرجي، ولِمَا حدث بينهم من شدّ وجذب فماثل الصوت الأول_ الثاني في صفاته فأصبحت (اتخذتم) ← (اتختم).

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿لَبِثْتُمْ﴾(سورة الأسراء:52)، إذ قرأ كُلِّ من أبي عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، و ابن عامر بإدغام الثاء في التاء وقرأ الباقون بالإظهار[6]، قال مكي بن أبي طالب القيسي في إدغامها : "وذلك حسن لاتصالهما؛ ولأنَّ التاء أقوى من الثاء، للشدة التي في التاء؛ لأنَّهما اتفقا في الهمس"[7]، وهذا الاتصال بينهما، يعد من محفزات التفاعلات الصوتية التي لا إرادة للإنسان فيها. فالنسيج المقطعي لها قبل الإدغام، وبعده، يكون على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **ل ـَـ/ ب ـِـ ث/ ت ـُـ م/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

(1) ينظر : النشر : 2/ 15، والسبعة في القراءات : 154.
(2) السبعة في القراءات : 154.
(3) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.
(4) علم الأصوات العام : 121.
(5) التطور اللغوي : 30.
(6) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 44.
(7) الكشف : 1/ 159.

• بعد الإدغام : **ل ـَـ/ ب ـِـ ت/ ت ـُـ م/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

نلحظ أنَّ النسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام وبعده على ثلاثة مقاطع صوتية، مكوّناً في كلتا الحالتين مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ب ـِـ ث/، /ب ـِـ ت/)، وهي من المقاطع الواردة الشيوع في المقطع العربي[1]، إلاّ أنَّ المقطع الإدغامي (/ب ـِـ ت/) أدَّى غايته من التسهيل النطقي؛ لأنَّ "انتقال اللسان من مخرج الثاء إلى مخرج التاء فيه جهد؛ لأنَّهُ جمع بين عمليتين متناقضتين؛ لأنَّ النطق بالثاء يقتضي الصفير، وبالتاء يقتضي الانفجار ووضع اللسان مختلف مع كلا الصوتين، لهذا انتقل مخرج الثاء إلى التاء حتى انحبس بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا وهو مخرج التاء، فأصبحت الثاء شديدة بعد أنْ كانت رخوة، وبذلك اتحد الصوتان في الشدة والمخرج والهمس ــ وتماثل الصوتان كل المماثلة فتم الإدغام"[2]، فتوافق كُلّ من نوع المقطع وجواز الإدغام في هذه المفردة القرآنية للشروط المذكورة آنفاً.

رابعاً: المتقاربان في كلمتين والأول ساكن :

أوردَ أصحاب القراءات من المفردات القرآنية المتقاربة التي سكّن الأول منها شواهد كثيرة في مؤلفاتهم، منها قوله تعالى: ﴿تَعْجَبْ فَعَجَبٌ﴾(سورة الرعد :5)[3]، إذ أدغمت الباء الساكنة في الفاء[4]، فإدغمها أبوعمرو، وهشام، والكسائي[5]، "فإذا التقى حرفان متقاربان، ادُّغم الأوّل منهما في الثاني، ولا يمكن أدغامُه حتى يُقلب إلى لفظ الثاني"[6]؛ وذلك فإنَّ "أحد الصوتين يؤثر في الآخر ويمنحه شيئاً من خصائصه أو كلّ خصائصه"[7]؛ وذلك بعد فقده بعض من خواص قوته لغرض التماثل وفنائه بالصوت الثاني، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "ففي الباء صفتان قويتان، وفي الفاء صفة واحدة. فالإدغام هنا يفنى صوتاً قوياً في صوت ضعيف، وهو خلاف القاعدة"[8]، مبيناً آلية تخلي الباء عن صفة من صفتي القوة وهي (الجهر) قائلاً : "يمكن أنْ يقال إنَّ الباء همست أولاً تحت تأثير الفاء المهموسة ثم تم الإدغام بين المتماثلين في القوة"[9]، ونتتبع ذلك في ضوء الكتابة المقطعية في حالة الإظهار وفي الإدغام، وما يجري عليها، على وفق الآتي :

• في الإظهار : **ت ـَـ ع/ ج ـَـ ب/ ف ـَـ/ ع ـَـ/ ج ـَـ/ ب ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

• في الإدغام : **ت ـَـ ع/ ج ـَـ ف/ ف ـَـ/ ع ـَـ/ ج ـَـ/ ب ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

(1) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.
(2) اللهجات العربية في التراث : 1/ 304.
(3) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 338-339، والتحديد : 165.
(4) ينظر : الكتاب : 4/ 448، والمقتضب : 1/ 208.
(5) ينظر : إتحاف فضلاء البشر :339.
(6) شرح المفصل : 5/ 527.
(7) المنهج الصوتي للبنية العربية : 208.
(8) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته : د. أحمد مختار عمر : 42.
(9) المصدر نفسه : 42.

نجد أنَّ نسيجها المقطعي، شكّل مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ج ـَـ ب/، /ج ـَـ ف/) من المقاطع الشائعة في العربية[1]، فلم تسقط حركة الأول، بل قُلبَ إلى جنس الصوت الثاني في الإدغام، فحصل تسهيلاً لحركة اللسان عند النطق بهما في موضع واحد[2]، فنوع المقطع المتشكل جراء تقطيعها، وافق بشيوعه النظام المقطعي العربي، جواز الإدغام؛ وذلك في حالة الإدغام فإنَّ "الوضعية الشفوية التي يستدعيها صوت الفاء سوف تفوّت الفرصة على الباء في تحقيق الانحباس، ومن ثمّ الانفجار، ولذا ذاب الباء لذوبان الكيفية الأدائية لِمَا يليه فانقلب فاءً ليدغم في الفاء"[3]، وهذا ما يجعل التفاعلات الصوتية واقعة، مما يبرر جواز الإدغام في المفردة المذكورة، وتأسيساً على الآلية المتبعة للمفردة القرآنية السابقة تتخذ المفردات القرآنية الأخرى الموقف نفسه عند دراستها في ضوء المقطع الصوتي.

خامساً: المتقاربان في كلمتين والأول ساكن لبناء :

أ _ ذال (إذ)

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف : (التاء-الجيم-الخاء-السين-الصاد-الزاي) نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ تَخْلُقُ﴾(سورة المائدة:110)، و﴿إِذْ جَعَلْنَا﴾(سورة البقرة:125)، و﴿إِذْ دَخَلْتَ﴾ (سورة الكهف:39)، و﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾(سورة النور:12)، و﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾(سورة الأحقاف:29)، و﴿إِذْ زَيَّنَ﴾(سورة الأنفال:48)[4]، ففي الشاهد القرآني الأول ﴿إِذْ تَخْلُقُ﴾، أدغم الذال من(إذ) في التاء؛ وعلّل مكي بن أبي طالب القيسي الإدغام فيها بقوله : "إنَّهما تواخيا في المخرج وفي إدغام لام التعريف فيهما، وأنَّهما قد تقاربا في القوة والضعف. فالذال فيها جهر يقوّيها، وفيها رخاوة تضعفها، وكذلك التاء فيها شدة تقويها، وفيها همس يضعفها، وقد تقاربا في القوة والضعف، فجاز الإدغام لذلك"[5]، ونتبع ذلك في ضوء الكتابة المقطعية، وما يجري عليها في الإظهار والإدغام، على وفق الآتي :

- في الإظهار : ء ـَـ ذ/ ت ـَـ خ/ ل ـُـ/ ق ـُـ/ ← **ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/**
- في الإدغام : ء ـَـ ت/ ت ـَـ خ/ ل ـُـ/ ق ـُـ/ ← **ص ح ص/ ص ح ص/ ص ح/ ص ح/**

تبيّن للبحث أنَّ النسيج المقطعي قد شكّل في كلتا حالتيه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ء ـَـ ذ/ ،/ء ـَـ ت/) من المقاطع العربية الشائعة في النظام المقطعي[6]، فوافق جواز الإدغام، الذي أدَّى وسيلته النطقية بعد أنْ قلبت الذال إلى تاء، فأصبح حرفاً واحداً وهو النطق بالتاء و"الغرض منه تحقيق أقصى درجة ممكنة من الخفة والسهولة في

(1) الأصوات اللغوية : 93-94.
(2) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 123.
(3) التعليل الصوتي : 419.
(4) ينظر : النشر : 2/2- 3.
(5) الكشف : 1/ 147.
(6) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302.

النطق"[1]. ومنه قوله تعالى:﴿ إِذْ صَرَفْنَا﴾(سورة الأحقاف:29) ، إذ إدغمت الذال من (إذ) في الصاد فأصبحت (إصّرفنا) لاشتراكهما في المخرج[2]؛ وقد علّل مكي بن أبي طالب القيسي إدغام الذال في الصاد بقوله : "إنّ الصاد أقوى من الذال بالصفير والإطباق والاستعلاء والتفخيم اللواتي فيها، فإذا أدغمت فيها الذال أبدلت من الذال حرفاً أقوى منها بكثير، فحسن الإدغام لذلك معها"[3]، فأصبحت (إصّرفنا) إذ عند إدغامها لم تسقط حركة، بل قلبت الذال من جنس الصاد؛ لتسهيل عملية النطق، فتشكّل المقطع الصوتي لها قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإدغام : **ء ـِ ـــ ذ/ ص ـــَ/ رـــَ ف/ ن ـــَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/**
- بعد الإدغام : **ء ـِ ـــ ص/ ص ـــَ/ رـــَ ف/ ن ـــَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/**

نلحظ أنّ تشكيلها المقطعي قد تكوّن من مقطعٍ متوسطٍ مغلقٍ (ص ح ص) في كلتا الحالتين (/ء ـــَ ذ/،/ ء ـــَ ص/) من المقاطع المحبذة الوجود في بداية النسيج المقطعي[4]، مما جاء موافقاً لجواز الإدغام؛ لتسهيل عملية النطق عن طريق قلب الصوت الأول (الذال) إلى الثاني (الصاد)، وتأسيساً على الآلية المتبعة في نسيج المفردتين القرآنيتين السابقتين تتخذ باقي المفردات القرآنية الموقف نفسه في ضوء المقطع الصوتي، وتشكيلها مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص).

ب _ دال (قد)

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند تسعة أحرف منها : (الذال-السين-الضاد-الظاء-الجيم-الشين-الصاد-الزاي-التاء)،نحو:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾(سورةالأعراف:179)، و﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ﴾(سورة الصافات:171)، و﴿وَلَقَدْ ضَلَّ﴾(سورة الصافات:71)، و﴿فَقَدْ ظَلَمَ﴾(سورة البقرة:231)، و﴿قَدْ جَادَلْتَنَا﴾ (سورة هود:32)، و﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾(سورة يوسف:30)، و﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ﴾(سورة آل عمران:152)،و ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾ (سورة الملك:5)، و ﴿قَدْ تَبَيَّنَ﴾(سورة البقرة:256)، فادغم فيهنَّ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وهشام[5]، فمن وجهة النظر الصوتية لهذه المفردات، يبدو أن النسيج المقطعي لها في الإظهار والإدغام، شكّلَ مقطعاً مستحسناً، ومنها المفردة القرآنية الأولى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾، فقد أدغم أبو عمرو بن العلاء، وابن ذكوان دال(قد) في الذال[6]؛ وذلك لِمَا بينهما من الاشتراك في المخرج والصفة، وقال مكي بن أبي طالب القيسي في إدغامهما : "المؤاخاة التي بينهما، ذلك أنهما من حروف الفم، وأنهما مجهوران، وأنهما شديدان، فحسن الإدغام لهذا الاشتراك... وتزيد قوة الإدغام فيهما؛ لأنَّ

(1) أثر القوانين الصوتية : 64.
(2) ينظر : النشر : 2/ 3.
(3) الكشف : 1/ 147.
(4) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.
(5) ينظر : النشر : 2/ 3، والتحديد : 138.
(6) ينظر : النشر : 2/ 3، والكشف : 1/ 144.

لام التعريف تدغم فيهما"[1]، فلما أدغمنا الحرفين المتقاربين حصل نوع من التسهيل النطقي فصارا "بمثابة الصوت الواحد؛ لأنَّ اللسان يعتمد لهما اعتماده واحدة بالوضع نفسه"[2]، وعند إجراء التقطيع الصوتي عليها، تكون على وفق الآتي:

• قبل الإدغام : **و ـَـ/ ل ـَـ/ ق ـَـ د/ ذ ـَـ/ ر ـَـ ء/ ن ـَـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/**

• بعد الإدغام : **و ـَـ/ ل ـَـ/ ق ـَـ ذ/ ذ ـَـ/ ر ـَـ ء/ ن ـَـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/**

نستنتج من هذا أن مقاطعها الصوتية في الحالتين جاءت على ستة مقاطع صوتية، بتشكيل مقطع متوسط مغلق من المقاطع المستساغة في العربية[3]، وما حصل للمفردة عند الإدغام هو الآتي :

1 _ قلب دال (قد) إلى ذال وهذا النوع مما قلب فيه الصوت الأول إلى نظيره الثاني، وهذا أصل الإدغام فيه[4].

2 _ التسهيل الذي حصل في النطق بالحرفين المتقاربين؛ وذلك عن طريق قلب الأول إلى جنس الثاني، مما "يسمع جرس صوت واحد، لكنّه مضعّف يمتدّ زمن النطق به أكثر من اعتماده للصوت لو نُطِقَ بمفرده"[5]، وإنَّ استساغة المقطع الصوتي في المفردة القرآنية عند تقطيعها، جاء موافقاً لجواز الإدغام فيها؛ وذلك لتوافر شروطه التي ذكرناها.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قدْ سَمِع﴾، إذ أدغمت دال (قد) بـ (السين)؛ وذلك لقرب مخرجهما[6]، وأنَّهما من الأصوات الأسنانية اللثوية[7]. فأدغمها حمزة، و أبو عمرو بن العلاء، وخلف، والكسائي في قراءتها[8]، وباعتماد المقطع الصوتي للمفردة القرآنية، تكون المفردة القرآنية في حال الإظهار والإدغام، على وفق الآتي :

• في الإظهار : **ق ـَـ د/ س ـَـ/ م ـِـ/ ع ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

• في الإدغام : **ق ـَـ س/ س ـِـ/ م ـَـ/ ع ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

نلحظ أنَّ النسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام وبعده، شكّل في الحالتين مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (ق ـَـ د/،/ ق ـَـ س)، من المقاطع المستساغة في بداية نسيج الكلمة[9]، فإدغام الصوتين في المقطع أدى إلى فناء (الدال) في (السين)

(1) الكشف : 1/ 144.
(2) ما ذكره الكوفيون من الإدغام : 33.
(3) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.
(4) ينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 129.
(5) ما ذكره الكوفيون من الإدغام : 33.
(6) ينظر : الكتاب : 4/ 433.
(7) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : د. تمام حسان : 79.
(8) ينظر: النشر :2/ 3-4.
(9) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.

فأصبحت سيناً "ونطقها قسّمع"[1]، وهنا يمكن للمؤدي أن يحقق الخفة المنشودة بتقليص الجهد العضلي في الأداء بوساطة الإدغام؛ ويعلّل ذلك مكي بن أبي طالب القيسي بقوله: "وأنَّ السين قوية بالصفير الذي فيها، فهي وإن كانت غير مجهورة، فالصفير الذي يوازي الهمس والرخاوة اللذين في السين، التي فيها قوة التفشي أو يقرب من ذلك، فجاز الإدغام في السين"[2].

ت _ تاء التأنيث :

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ستة أحرف منها : (التاء- الجيم- الظاء- السين- الصاد- الزاي)[3]، نحو قوله تعالى: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(سورة هود:95)، و﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾(سورة النساء:56)، و﴿حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾(سورةالأنعام: 123)، و﴿أَقَلَّتْ سَحَابًا﴾(سورة الأعراف :57)، و﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾(سورة النساء:90)، و﴿خَبَتْ زِدْنَاهُمْ﴾(سورة الإسراء:97)(4)، أُدغمت تاء التأنيث في هذه المفردات القرآنية مع مقاربها، فقد أجاز القرّاء حصول الإدغام في المفردات القرآنية المذكورة؛ لتوافر شروط التفاعلات الصوتية بآلية يتخذها لجعل الأصوات متقاربة بصفاتها؛ وذلك لتحقيق غرض الانسجام الصوتي، "فأدغمها في الستة أبو عمرو، وحمزة والكسائي"[5]، ففي قوله تعالى: ﴿بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(سورة هود:95)، اجازوا إدغام (التاء) و(الثاء)، قال سيبويه : "لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام؛ لأنَّهن من حيز واحد"[6]، وقرأ أبو عمرو بن العلاء والباقون، وكذلك روى الاخفش عن ابن شاكر، وابن ذكوان، وعن هشام بن عامر، والأعشى بإدغام التاء في الثاء حيث وقعت[7]؛ وذلك لتقارب مخرجيهما، لذا عمل الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك عمليتين إجرائيتين، تتمثل الأولى في "أن نسمح للهواء مع التاء بالمرور لتصبح رخوة كالثاء، والثانية أنّ مخرج الصوت الأول قد انتقل إلى الأمام متجهاً نحو مخرج الأصوات اللثوية، وبهذا ماثل الصوت الأول الصوت الثاني كل المماثلة"[8]، وبذلك فقد تم إجراء الإدغام بتماثل الصوت الأول لجنس الصوت الثاني وتوحيد صفاتهما، فالنسيج المقطعي للمفردة على وفق الآتي :

- **في الإظهار : ب ـَـ/ ع ـِـ/ د ـَـ ت/ ث ـَـ/ م ـُـ/ د ـُـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

- **في الإدغام : ب ـَـ/ ع ـِـ/ د ـَـ ث/ ث ـَـ/ م ـُـ/ د ـُـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

(1) دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته : 39، وينظر : القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 94.
(2) الكشف : 1/ 145.
(3) ينظر : الكشف : 1/ 150، والنشر : 4/2
(4) ينظر : النشر : 2/ 4.
(5) إتحاف فضلاء البشر : 41.
(6) الكتاب : 4/ 464.
(7) ينظر : جامع البيان : 280.
(8) الأصوات اللغوية : 119-120.

نرى أنّهُ قد شكّل نسيجها مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) في حالتيه (/د ـَـ ت/)، (/د ـَـ ث/) من المقاطع الشائعة الورود في وسط نسيج الكلمة[1]، وبشيوعه هذا جاء موافقاً لجواز الإدغام في المفردة؛ لتوافر شروطه لعملية النطق المتمثلة في إنَّ "التاء حرف فيه بعض الشدة، والرخاوة اغلب عليه، والتاء حرف مهموس، والهمس ضعف في الحرف، فكأنما تقاربا لاشتراكهما في الهمس والمخرج، ويجوز إدغام لام التعريف فيهما، فجاز لذلك الإدغام"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾(سورة النساء:56)، أدغم القرّاء ومنهم "أبو عمرو وحمزة والكسائي"[3]، تاء التأنيث بالجيم؛ وعلّة إجراءه تتمثل في اشتراك التاء والجيم في المخرج، إلا أنَّ التاء صوت مهموس[4]، والجيم صوت مجهور[5]، فاتصافه بصفة الجهر جعلته أقوى من التاء المهموسة، فجاز الإدغام فيها، وبهذا يقول مكي بن أبي طالب القيسي : "لأنَّك تبدل من التاء عند الإدغام حرفاً اقوى منها"[6]، وبتقطيعها في ضوء الكتابة المقطعية على وفق الآتي :

- في الإظهار : **ن ـَـ/ ض ـِـ/ ج ـَـ ت/ ج ـُـ/ ل ـُـ/ د ـُـ/ هـ ـُـ م/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

- في الإدغام : **ن ـَـ/ ض ـِـ/ ج ـَـ ج/ ج ـُـ/ ل ـُـ/ د ـُـ/ هـ ـُـ م/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

نلحظ أنَّ مقاطعها الصوتية في حالتي الإظهار والإدغام، شكّلت مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (ج ـَـ ت/،/ ج ـَـ ج)، مما جاء موافقاً بنوعهِ المقطعي المتشكل في الحالتين لجواز إدغامه؛ لتوافر شرطه هو مماثلة التاء لجنس الجيم، مما حقق الانسجام الصوتي عند النطق بها.

ث _ لام (هل) و(بل) :

اختلفوا في إدغامها وإظهارها عند ثمانية أحرف هي : (التاء- الثاء- النون- الزاي- السين- الضاد- الطاء- الظاء)[7]، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾(سورة مريم:65)، و﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ (سورة المطففين:36)، و﴿هَلْ نَحْنُ﴾(سورة الشعراء:203)، و﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾(سورة الفتح:15)، و﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾(سورة الكهف:48)، و﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾(سورة يوسف:18)، و﴿بَلْ ضَلُّوا﴾(سورة الأحقاف:28)، و﴿بَلْ طَبَعَ﴾(سورة النساء:155)، و﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾(سورة الفتح:12)، و﴿بَلْ نَتَّبِعُ﴾(سورة البقرة:170)(8)، "فأدغم اللام منهما في الأحرف الثمانية الكسائي، ووافقه حمزة في التاء والثاء

(1) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.
(2) الكشف : 1/ 150-151.
(3) النشر : 2/ 5.
(4) ينظر : علم الأصوات العام : 115.
(5) ينظر : المصدر نفسه : 124.
(6) الكشف :1/ 150.
(7) ينظر : النشر: 2/ 6.
(8) ينظر : جامع البيان : 282.

والسين"[1]، وقد اقتصرنا في تطبيقنا للمقطع الصوتي على نموذج واحد لكل من (هل وبل) لتشابه حالتهما للمفردات الأخرى.

فمن إدغام لام (هل)، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾(سورة مريم:65)، إذ أُدغمت اللام مع التاء، وفي إدغامها قالت الدكتورة مي الجبوري : "وتدغم لام المعرفة في التاء؛ لأنَّها من الأحرف الشمسية، ولكن اللام أقوى من التاء لجهرها وهي بين الشدة والرخاوة في حين التاء مهموسة شديدة، ومخرجاهما متباعدان نسبياً، والإدغام هنا لا يمكن انكاره للاتفاق على إدغام لام المعرفة في التاء"[2]، وبإدغام الحرفين ليصبح حرفاً واحداً "فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة"[3]، ونتتبع هذا الإجراء في ضوء النسيج المقطعي للمفردة القرآنية قبل إدغامها وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإدغام : **هـ ـَـ ل/ ت ـَـ ع/ ل ـَـ/ م ـُـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/**
- بعد الإدغام : **هـ ـَـ ت/ ت ـَـ ع/ ل ـَـ/ م ـُـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/**

نرى أنّهُ قد شكّل مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/هـ ـَـ ل/،/ هـ ـَـ ت/) في الحالتين، من المقاطع الشائعة الورود في بداية التركيب اللغوي[4]، مما وافق جواز الإدغام؛ وذلك لأنَّ "الصوت يكون أقوى عندما يكون مخرجه أدخل في الجهاز الصوتي البشري، والتاء مخرجها أدخل من اللام فهي أقوى ويجوز الإدغام على ذلك"[5] فسهّل من عملية النطق للمفردة.

أمّا إدغام لام (بل)، نحو قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ﴾(سورة النساء:155)، فأدغمت اللام من (بل) مع (الطاء) ، وفي إدغامها قال سيبويه : "وجواز الإدغام على أنَّ آخر مخرج اللام قريبٌ من مخرجها"[6]، فهما صوتان اسنانيان لثويان[7]، فالذي سوّغ فناء اللام في الطاء كون الأول أضعف في صفاته عن الطاء، إذ الطاء "أقوى من اللام بالجهر و الشدة والإطباق والاستعلاء اللواتي فيها"[8]، وهذا واضح في ضوء التحليل المقطعي للمفردة قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإدغام : **ب ـَـ ل/ ط ـَـ/ ب ـَـ/ ع ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**
- بعد الإدغام : **ب ـَـ ط/ ط ـَـ/ ب ـَـ/ ع ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

(1) النشر : 2/ 7.
(2) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 96.
(3) المفصل في علم العربية : 418.
(4) ينظر : الأصوات اللغوية : 94.
(5) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 96.
(6) الكتاب : 4/ 458.
(7) ينظر : علم الأصوات العام : 115-128، واللغة العربية معناها ومبناها : 79.
(8) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 97.

وبعد النظر إلى المقاطع الصوتية للمفردة القرآنية نجدها مطابقة لمميزات المقطع العربي، بتشكيل مقطع متوسط مغلق في الحالتين (ص ح ص) (/ب ـَـ ل/،/ ب ـَـ ط/)، فقد أجازوا الإدغام في المفردة القرآنية؛ لتوافر شروطه[1].

ج _ النون الساكنة والتنوين :

1 _ إدغام النون الساكنة والتنوين في الراء واللام :

قال سيبويه في إدغامها مع الراء واللام : "النون تدغم مع الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان، وهي مثلها في الشدة، وذلك قولك: من راشدٍ ومن رأيت، وتدغم بغنةٍ وبلا غنةٍ، وتدغم في اللام؛ لأنَّها قريبةٌ منها على طرف اللسان، وذلك قولك: من لك، فإن شئت كان إدغاماً بلا غنة فتكون بمنزلة حروف اللسان، وإن شئت أدغمت بغنةٍ؛ لأن لها صوتاً من الخياشيم فترك على حاله؛ لأن الصوت الذي بعده ليس له في الخياشيم نصيبٌ فيغلب عليه الاتفاق"[2]، فأدغمها القرّاء بغير غنة؛ وذلك لأنَّ من "عادة القرّاء أن لا يظهروا الغنة عند الراء واللام؛ لأنَّ في إظهارها كلفة لتداخل الحرفين"[3]، ومن الشواهد القرآنية لإدغام النون الساكنة في اللام قوله تعالى: ﴿مِنْ لَدُنْ﴾(هود:1)، إذ أُدغمت النون الساكنة في اللام لقرب مخرجهما على طرف اللسان[4].

والنون واللام متساويان في الجهر والشدة[5]، ولشدة التفاعل الصوتي بين الصوتين المقرون بتوافر الشروط والتي منها تقارب المخرج والصفات، انساق الإدغام فيها انسياقاً طبيعياً في النطق من غير تكلف فيه[6]، وما حصل للمفردة القرآنية يبدو واضحاً في ضوء الكتابة المقطعية، فجاءت بالإظهار على وفق الآتي :

- في الإظهار : **م ـِـ ن/ ل ـَـ/ د ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**
- في الإدغام : **م ـِـ ل/ ل ـَـ/ د ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

نلحظ من ذا أنَّ المقطع الصوتي هو مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) (/م ـِـ ن/،/ م ـِـ ل/) في الحالتين، فوافق النسيج المقطعي العربي جواز الإدغام؛ لتوافر الشروط التي أشرنا إليها ونتيجة قلب الأول وفنائه في الآخر وقع التسهيل لحركة اللسان، فعمد اللسان لهما اعتمادة واحدة[7].

أمّا إدغام النون الساكنة في الراء، فمنه قوله تعالى: ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾(سورة البقرة:5)؛ وذلك لقرب مخرجهما[8]، واتحاد صفاتهما[1]، أدغمت النون الساكنة في الراء بغير غنة[2]، لذا

(1) ينظر : الكشف : 1/ 153.
(2) الكتاب : 4/ 453، وينظر : المقتضب : 1/ 217، والنشر : 2/ 23.
(3) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 98.
(4) ينظر : الكتاب : 4/ 453.
(5) ينظر : علم الأصوات العام : 119-121
(6) ينظر : الأصوات اللغوية : 106.
(7) ينظر : المقتضب : 1/ 197.
(8) ينظر : الكتاب : 4/ 452.

مما جوّز إجراء الإدغام موافقته لأقيسة النحاة والقرّاء، إذ فنيت النون الساكنة في الراء القوية في تكرارها فناءً تاماً؛ "لأنَّ النون أضعف من الراء المكررة"[3]، ولتحقيق مقطع موافق لمميزات المقطع الصوتي العربي، فكانت المفردة قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

• قبل الإدغام : **م ـَـ ن/ ر ـَـ ب/ ب ـِـ/ هـ ـِـ م/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

• بعد الإدغام : **م ـَـ ر/ ر ـَـ ب/ ب ـِـ/ هـ ـِـ م/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

نلحظ أنَّهُ حقق الأداء الصوتي لنسيج المفردة المقطعي، مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/م ـَـ ن/، م ـَـ ر/)، فطابق جواز الإدغام في المفردة القرآنية، فالسياق الصوتي المقطعي (**/م ـَـ ر/**) وفّر ما يحبذ للمؤدي أداءً صوتياً معيناً منسجماً عند النطق بها.

2 _ **إدغام النون الساكنة والتنوين في الميم :**

من شواهد إدغام النون الساكنة والتنوين في الميم، قوله تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ﴾(سورة المرسلات:20)، وسوّغ الإدغام فيها؛ "لتجاور المخرجين؛ ولأنَّ النون والميم متساويان في الرخاوة والشدة"[4]، وفي ذلك يقول سيبويه : "وتدغم النون مع الميم؛ لأنَّ صوتهما واحد، وهما مجهوران قد خالفا سائر الحروف التي في الصوت، حتى إنَّك تسمع النون كالميم، والميم كالنون، حتى تتبين، فصارتا بمنزلة اللام والراء في القرب، وإنْ كان المخرجان متباعدين، إلا أنَّهما اشتبها لخروجهما جميعاً في الخياشيم"[5] ، فجاز الإدغام مع إظهار الغنة فيها[6]؛ "لأنَّ في النون قوة؛ لأنَّها ادخل في الجهاز الصوتي من الميم"[7]؛ و يعلّل مكي بن أبي طالب القيسي بقاء الغنة عند الإدغام بقوله : "وتبقى الغنة غير مدغمة، خارجة من الخياشم، فينقص حينئذ التشديدة"[8]، وللوقوف على الرسم المقطعي للمفردة القرآنية قبل الإدغام وبعده، على وفق الآتي :

• في الإظهار : **م ـِـ ن/ م ـَـ/ ء ـِـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/**

• في الإدغام : **م ـِـ م/ م ـَـ/ ء ـِـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/**

نلحظ من هذا أنّهُ قبل الإدغام وبعده جاء المقطع موافقاً لمميزات المقطع العربي بتشكيله مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) (/م ـِـ ن/، م ـِـ م/)، فتشكيل هذا النوع من

(1) ينظر : علم الأصوات العام : 119-128.
(2) ينظر : الكتاب : 4/ 452، والكشف :1/ 162.
(3) النشر : 2/ 24.
(4) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 98.
(5) الكتاب : 4/ 452-453.
(6) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 273، والكشف : 1/ 162.
(7) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 98.
(8) الكشف : 1/ 162.

المقطع توافق مع جواز الإدغام مع إظهار الغنة فيها[1]؛ "لأنَّ في النون قوة لأنها ادخل في الجهاز الصوتي من الميم"[2]؛ و يعلّل مكي بن أبي طالب القيسي بقاء الغنة عند الإدغام بقوله : "وتبقى الغنة غير مدغمة، خارجة من الخياشم، فينقص حينئذ التشديدة"[3]، فالمقطع الإدغامي سهّل عملية النطق؛ لأن النون والميم "تشاركن في الجهر والشدة فهما في القوة سواء"[4] .

3 _ إدغام النون الساكنة والتنوين في الياء والواو :

وتدغم النون الساكنة أو التنوين مع الياء والواو "بغنة وبدون غنة؛ لأنَّها من مخرج ما أدغمت فيه النون"[5]، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَقُلْ﴾(سورة الأنبياء:20)، إذ أدغمت النون الساكنة في الياء، قال أبو عمرو الداني : "وأدغما في الياء لمؤاخاتها الواو في المد واللين، ولقربها أيضاً من الراء؛ لأنَّهُ ليس يخرج من طرف اللسان أقرب إلى الراء من الياء ولذلك الألثغ الراء ياءً"[6]، وأدغم مذهب جماعة القرّاء غير حمزة النون الساكنة في الياء والواو، مع الابقاء على غنتهما[7]، فنسيجها المقطعي قبل الإدغام وبعده على وفق الآتي:

- قبل الإدغام : **م ـِـ ن/ ي ـَـ/ ق ـُـ ل/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**
- بعد الإدغام : **م ـِـ ي/ ي ـَـ/ ق ـُـ ل/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

فالنسيج المقطعي للمفردة قبل الإدغام وبعده، نجده يتوافق مع وجوب الإدغام الناشئ من تقارب الحرفين لتحقيق الانسجام الصوتي، على الرغم من أن النون الساكنة لم تفنِ فناءً تاماً في الياء، بل احتفظت بصفتها الأنفية وهي الغنة[8]، وما أدغمت فيه النون الساكنة في الواو، قوله تعالى : ﴿مِنْ وَالٍ﴾(سورة الرعد:11)، فمن وجهة النظر الحديثة، يعد الصوت الأنفي الذي يُسمع في قراءة ﴿من والٍ﴾ ليس نوناً، بل هو واو أنفمية، سُمح عند النطق بها بمرور الهواء من كل من الأنف والفم، فقلبت النون واواً، ولكن هذه الواو قد شابها شائبةً وهي النطق بها من الأنف والفم معاً[9]، مما صاحب الإدغام فيهما غنة[10].
فعند تقطيعها صوتياً يكون على وفق الآتي :

- في الإظهار : **م ـِـ ن/ و ـَـ/ ل ـِـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/**
- في الإدغام : **م ـِـ و/ و ـَـ/ ل ـِـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/**

(1) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 273، والكشف : 1/ 162.
(2) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 98.
(3) الكشف : 1/ 162.
(4) المصدر نفسه : 1/ 163.
(5) الكتاب : 4/ 453، وينظر : المقتضب : 1/ 220، والكشف : 1/ 164.
(6) التحديد : 113.
(7) المصدر نفسه : 113.
(8) ينظر : المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 134.
(9) ينظر : الأصوات اللغوية : 64.
(10) ينظر : الكشف : 1/ 163-164.

نلحظ أنَّ النسيج المقطعي لها شكّل في حالتيه مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/م ـِـ ن/،/ م ـِـ و/)، مقطعاً مطابقاً للتفاعلات الصوتية بين النون والواو في المفردة القرآنية التي جوّزت الإدغام بينهما؛ لما بين التنوين والواو من التشابه فحسن الإدغام[1].

وبعد دراستنا لهذه الظاهرة العميقة في القراءات القرآنية، دراسة في ضوء المقطع الصوتي، أرتأيت أنْ أجمل أبرز النتائج العامة التي توصلت إليها الدراسة وهي كالآتي :

يُعدُّ الإدغام ظاهرةٌ لغويةٌ صوتيةٌ عُنِي بها القُدماء، والقرّاء، والمحدثون، فهي تنتج عن التقاء صوتين أحدهما ساكن والثاني متحرك، ومن ثم دمجهما مع بعضهما البعض، بحيث يصبحان حرفاً واحداً مشدداً من دون مانع يمنعهما، اقتصاداً للمجهود النطقي الذي يبذل في نطقهما، إذ يقع في الأصوات (المتماثلة، والمتقاربة، والمتجانسة)، وهذا الاقتصاد يمثل الغاية التي ينشدها الإنسان العربي، الذي يميل إلى التخفيف، والسهولة في نطق الأصوات، تحقيقاً للانسجام الصوتي، فضلاً عن أنَّ العربية تلجأ إلى الإدغام طلباً للتخفيف؛ لأنَّها تفرّ من توالي المتحركات، وأنَّ النطق السليم للمقطع الصوتي العربي يفرّ من توالي المقاطع القصيرة، التي تجهد الناطق فتعمد العربية إلى أختزال تتابع الحركات (المقاطع القصيرة)، عن طريق التسكين؛ لتشكل نوعاً منسجماً من المقاطع الصوتية مسايرة لما عليه أحكام الإدغام. ففي حالة الإدغام تتقلص عدد المقاطع الصوتية وتقل، انسجاماً مع قانون السهولة والتيسير في الجهد.

هذا بالنسبة لتوالي المتحركات في حالة الإدغام، أمّا مجيء المقطع المرفوض في حال وقوع الحرف الساكن قبل الحرف المدغم الأول في درج الكلام، فقد ورد لبعض المفردات القرآنية، وتعاملت معه العربية، وعالجته بشكل يساير إرادتها، على الرغم من كونه مقطعاً ترفضه حال وجوده في حشو الكلمة، كما ترفض العربية التقاء الساكنين في درج الكلام، إلاّ أنَّ من القرّاء من استمر في الإدغام على نحو ما وجدناه عند أبي عمرو بن العلاء في إدغام بعض المفردات القرآنية، وكذا في إدغامه للكلمات التي يكون قبل الحرف المدغم الأول منها حرف مدّ، إذ جوّز النحاة القدماء، والقرّاء الإدغام في هذه الحالة؛ لأنهم جعلوا حرف المدّ بمنزلة متحرك في الإدغام.

هذا ما نَتَجَ عن إدغام المتماثلين، أمّا إدغام المتقاربين فيمر بمرحلتين هي قلب الصوت الثاني ليجانس الصوت الأول، ومن ثم إسكانه ليتم الإدغام، وبهذا يشكّل نوعاً مستساغاً من المقاطع الصوتية العربية.

(1) ينظر : المصدر نفسه : 1/ 164.

الفصل الثاني

ظاهرة الإبدال

توطئة

علاقة هذا المبحث بما سبقه تتضح عندما نفسّر الإبدال، بأنَّهُ تناسب الحروف لبعضها البعض نتيجة للتطور الصوتي، الذي أُجري عليها عبر الزمن، فهو شبيه بالإدغام في تقريب الصوت بعضه من بعض، إذ لَقِيت هذه الظاهرة، عناية بالغةً، من عُلماء العربية القُدماء[1]، فكانت نظرتهم لها على أنَّها من إرادة الإنسان، وهي عادة من عاداته، إذ أنّها "من سنن العرب"[2]، وتكلموا عنها في أشهر مؤلفاتهم، فأفردوا لها أبواباً خاصة، أو كتباً خاصة، منها كتاب القلب و الإبدال لابن السكيت (ت 244ه)، وكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي (ت 351ه) ، فضلاً عن تناولها في كتب القرّاءات عبرَ ورود المفردات القرآنية التي قرأ بها القرّاءُ بالإبدال[3]، ولا يقل شأنُ هذه الظاهرة أهمية عند المحدّثين، فقد عدّوها من جانب التطور اللغوي، لكنّهم اختلفوا عن أسلافهم في القول : بأنَّها ليست إرادية ولا دخل للإنسان بها[4]، وسنفصل القول بها لاحقاً في ضوء تناولنا لهذه الظاهرة في الأداء النطقي المُعَبَّر عنه في ضوء المقطع الصوتي، ومدى تناسبه للعمليات الإبدالية التي تضمنت إبدال الهمزة من أحرف المد واللِّين (الحركات الطويلة)، وإبدال تاء الأفتعال، فضلاً عن إبدال أصوات الصفير، وسنلاحظ مدى تساير مقتضيات البِنْية المقطعية العربية المتشكلة لعملية إبدال الأصوات مع جواز، أو وجوب الإبدال.

حدّ الإبدال

الإبدال لغةً :

يرى ابن فارس (ت 395ه) أنّ للإبدال أصلاً واحداً لا غير، إذ قال : "(بَدَلَ) الْبَاءُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ"[5].

وعند ابن منظور هو : " بِدْل الشَّيْءِ وبَدَله وبَدِيله الخَلَف مِنْهُ، والجمع أَبْدَال وتَبَدَّل الشيءَ وتَبَدَّلَ بِهِ واسْتَبْدَلَهُ واسْتَبْدَلَ بِهِ، كُلُّه: اتَّخَذَ مِنْهُ بَدَلًا.... والأَصل فِي التَّبْدِيل تَغْيِيرُ

(1) ينظر : الكتاب : 4/ 477-478، والمقتضب : 1/ 360، والأصول في النحو : 3/ 429.
(2) فقه اللغة وأسرار العربية : عبد الملك بن محمد الثعالبي : 1/ 263، و ينظر : المزهر : جلال الدين السيوطي : 1/ 355.
(3) ينظر : النشر : 1/ 129.
(4) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 15وما بعدها، والأصوات اللغوية : 160، واللهجات العربية في التراث : 438/1.
(5) معجم مقاييس اللغة : ابن جني : مادة (بدل): 210/1.

الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، والأَصل فِي الإِبْدَال جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ كإبدالك مِنَ الْوَاوِ تَاءً فِي تَالله"[1].

الإبدال اصطلاحاً: المعنى الاصطلاحي للإبدال لايبتعد كثيراً عن معناه اللغوي في جعل شيءٍ مكان شيءٍ آخر؛ يقول ابن يعيش : " البَدَل أن تقيم حرفًا مُقامَ حرف، إمّا ضرورةً، وإمّا صَنْعَةً واستحسانًا"[2].

أَمّا عند ابن الجزري : "فهو إبدال حرف بآخر وهو من المختلف فيه في أصل مطّرّد، وكلمات مخصوصة"[3].

وفي نظر عُلماء اللغة المحدثين : "هو إحلال حرف مكان آخر في الكلمة نتيجة لتطور صوتي حدث على مر العصور بشرط الاتحاد في المعنى"[4].

الفرق بين الإبدال والعوض والقلب :

فرّقَ القُدماء في مؤلفاتهم بين الإبدال، والعوض، والقلب[5] ، فابن يعيش تابع ما جاء عند النحاة[6]، في بيان الفرق بين الإبدال والعوض، إذ يقول : "البدلُ أشبهُ بالمبدل منه من العوض بالمعوَّض، ولذلك يقع موقعه، نحو تاء "تُخْمَةٍ"، و"تكَأَةٍ"، وهاء "هَرَقْتُ". فهذا ونحوه يقال له: "بدلٌ"، ولا يقال له : "عوضٌ"؛ لأنّ العوض أن تقيم حرفًا مقام حرف في غير موضعه، نحو تاء "عِدَةٍ" و"زنَةٍ" ، وهمزة "ابْنٍ" و"اسْم"، ولا يقال في ذلك: "بدلٌ" إلّا تجوّزًا مع قلّته"[7]، و نقل السيوطي (ت 911ه) عن أبي الطيب اللغوي، أنَّهُ يقول : "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتَعَمَّد تعويض حرف من حرف وإنَّما هي لغاتٌ مختلفة لمعانٍ متفقةٍ تتقارَبُ اللفظتان في لُغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرفٍ واحد"[8].

أمّا الإبدال والقلب، فالقلب "إنَّما يكون في حروف العلّة التي هي الواو والياء والألف، وفي الهمزة أيضًا لمقاربتها إيّاها، وكثرة تغيّرها"[9]، وعلى ما يبدو "أن البدل وضع شيء مكان غيره على تقدير إزالة الأول، والقلب هو تصيير الشيء على غير الصورة التي كان عليها من غير إزالة؛ ولذلك جعل مثل قال وباع قلباً؛ لأنَّ حروف العلة

(1) لسان العرب : مادة (بدل) : 11/ 48.
(2) شرح المفصل : 5/ 347، وينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 197.
(3) النشر :129/2.
(4) معجم المصطلحات العربية في اللغة الأدب : د. مجدي وهبة، ود. كامل المهندس : 10، وينظر : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : 265، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 113/1.
(5) ينظر : الخصائص:265/1، وشرح المفصل :347/5، وتوضيح المقاصد والمسالك : للمرادي : 1561/6.
(6) ينظر الخصائص : 265/1.
(7) شرح المفصل : 347/5، وينظر : شرح الملوكي : 214.
(8) المزهر :356/1.
(9) شرح المفصل : 347/5-348، وينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 1561/6، وشرح الأشموني لألفية ابن مالك : علي بن محمد الأشموني : 80/4.

تقارب بعضها بعضاً؛ إذ هي من جنس واحد فَسَهّل انقلاب بعضها إلى بعض، وجعل مثل أُتعَدَّ ونحوه إبدالا؛ لتباين حروف الصحيحة من حروف العلة، فتقول على هذا في أُتعَدَّ وأمثاله أنه كان في الأصل اوتعَدَّ، فحذفت الواو وأبدل منها التاء، إلا أنَّ الواو انقلبت تاء..."[1]، والفرق بينهما من ناحية العموم والخصوص فـ "القلب يختص بحروف العلّة، والإبدال يكون فيها وفي الحروف الصحيحة، فالإبدال أعم، والقلب أخصّ"[2].

الغاية من الإبدال :

إنَّ الإنسان العربي في كلِّ حالاته يميل إلى الأصوات المستحسنة والسهلة واليسيرة والأكثر وضوحاً في السمع[3]، فيحاول التخلص من الأصوات العسيرة النطق ويستبدل بها أصواتاً أخرى لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً[4].

ويضعّف الدكتور عادل نذير بيري العلّة الغائية للإبدال بقوله : " قيل : إنَّهُ ناجم عن الميل إلى التقريب بين الصوتين المتجاورين تيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي، والمفردة بوصفها سلسلة صوتية مسؤولة عن توفير المناخ الصوتي المناسب لعملية الإبدال، وإغراء المؤدي بإقامته صوتاً مكان صوتٍ آخر طالباً السهولة في النطق، مع الحفاظ على الرباط الصوتي بين الصوت المبدل، والصوت المبدل منه؛ ذلك أنَّ الرباط الصوتي يومئ إلى العلاقة الصوتية المتأتية في ضوء المخرج أو الصفة"[5]، بمعنى أنَّ التفاعل الصوتي المشروط بقرب المخرج، والاشتراك ببعض الصفات فرضَ إرادتهُ لتحقيق عملية الإبدال بين الأصوات.

أنواع الإبدال وحروفه :

يقسم الإبدال على نوعين:

أولاً : الإبدال الصرفي (القياسي) :

وفي هذا النوع من الإبدال يقول الدكتور محمد الأنطاكي، هو : "إبدال قياسي ناجم عن تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض، ويسمى هذا النوع بالإبدال الصرفي الشائع، أو الضروري، أو اللازم، واجدر من ذلك أن يسمى الإبدال الصوتي"[6]؛ ويعلّل تسميته بالإبدال الصوتي بقوله : "لأنَّهُ كما سترى، تبدلات صوتية لايترتب عليها تغيير في معنى الكلمة الصرفي، أو وظيفتها النحوية"[7]، وعلى الرغم من ذلك فهو يخضع لقواعد صرفية محكمة، لاسيّما ما يحذف للتاء في صيغتي (الافتعال، وافتعل) إذا ما

(1) توضيح المقاصد والمسالك :1561/6.
(2) المصدر نفسه :1561/6.
(3) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 75.
(4) ينظر : المصدر نفسه :75.
(5) التعليل الصوتي : 349.
(6) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها :1/ 113.
(7) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها :1/ 113.

جاورت أصواتاً من أصوات الأطباق، أو أصوات العلّة[1]، ويعد الإبدال فيه واجباً؛ لأنَّهُ ضروري مضطراً إليه في التصريف بحيث يوقع تركه في الخطأ[2]، وهو في تسعة أحرف جُمعتْ في "هدأت موطيا"[3]، أو"طويت دائما"[4]، وهي ثمانية أحرف بعد إزالة الهاء عنها، ومنهم من جعلها في أحد عشر حرفاً وجمعها في : "أجد طويت منها"[5]، و منهم من زاد عليها اللام وجعلها في اثني عشر حرفاً جمعوها في تراكيب كثيرة منها: "طال يوم أجدته"[6]، وعدّها بعضهم أربعة عشر حرفاً وجمعها في قوله : "استنجد يوم طال"[7]، ونقل ابن يعيش تصوّر الرُمّانيّ عن عدد حروف الإبدال بقوله : "وكان الرُمّانيّ يعدّها أربعة عشر حرفًا، ويضيف إليها الصاد والزاي"[8].

ثانياً : الإبدال اللغوي :

وفي هذا النوع ما يبدل من غيره إبدالاً شائعاً من غير اضطرار إليه في التصريف؛ لعلاقة صوتية بين الصوتين، إما في المخرج أو في الصفة، و تكون بإحلال صوت محل آخر في الألفاظ المتقاربة في أصواتها ذوات المعنى الواحد جوازاً[9]، ويعد هذا الإبدال أعمْ من الإبدال الصرفي لشموله معظم الحروف فهو يقع في اثنين وعشرين حرفاً تجمعها عبارة "لجد صُرف شَكِس آمن طيّ ثوب عزَّته"[10].

التفاعلات الصوتية في تبادل الأصوات :

انطلاقاً من كون اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنَّها تنمو في كنف المجتمع وتكتسب عاداته وتقاليده، وتتأثر بالتطورات التي تُصيبهُ، فإنَّها تتطور بتطور المجتمع وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه[11]، وبما إنَّ الإبدال من الظواهر اللغوية لابدّ لنا من أنْ نعرف هلْ العملية الإبدالية إرادية من محض المتكلم أم لا عند عُلماء اللغة؟

إنَّ عُلماء اللغة القُدماء وكما هو واضح في قول ابن فارس : "من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مكان بعض"[12]. عدوا عملية الإبدال من عادات العرب في بعض التراكيب اللغوية بمعنى أنَّ عملية الإبدال عندهم إرادية يقوم بها صاحب اللغة متى شاء، وفي هذا الصدد يقول الدكتور فوزي الشايب : "أنَّهم نادوا بما يمكن أنْ نسميه (تحكم

(1) ينظر : القلب والإبدال : ابن السكيت : 100، ومنهج الدرس الصوتي عند العرب : أطروحة دكتوراه : د. علي خليف حسين : 140.
(2) ينظر : حاشية الصبان على شرح الاشموني : أبو العرفان محمد بن علي الصبان : 4/ 280-273، وتوضيح المقاصد والمسالك : 3/ 1562.
(3) توضيح المقاصد والمسالك : 3/ 1563.
(4) المصدر نفسه : 3/ 1563.
(5) الكتاب : 4/ 237، وينظر : المقتضب : 1/ 61، والأصول في النحو : 3/ 244.
(6) الممتع في التصريف : 1/ 319، وينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 1562، والتحديد : 109.
(7) توضيح المقاصد والمسالك : 3/ 1562.
(8) شرح المفصل : 5/ 348.
(9) ينظر : الممتع في التصريف : 319/1 واللهجات العربية في التراث : 1/ 348، والتعليل الصوتي : 349.
(10) توضيح المقاصد والمسالك : 1562/6، وينظر : حاشية الصبان : 281/4-282.
(11) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 9، والأصوات اللغوية : 160، وعلم وظائف الأصوات الفونولوجيا : د. عصام نور الدين: 9.
(12) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها :173.

الفرد) في عملية التطور والتغير الصوتي، واعتباره المسؤول الأول، وإنَّ إرادته هي القانون الذي يسيّر مختلف أوجه التطورات والتغيرات الصوتية"[1]، ومن وجهة نظر عُلماء الصوت المحدثين، فإنَّ عملية الإبدال ليست إرادية، وغير متوقفة على إرادة المتكلم التي يقصد إليها، فعدّوها تطوراً تاريخياً في الأصوات[2]، بحيث يجد المتكلم نفسه أمام كلمات متعددة يدل تشابهها على أنَّها قد تعرضت لمثل هذه التطورات عبرَ السنين، فليس من حق أي أنسان أنْ يقوم هو بإحلال صوت محل آخر.

فضلاً عن عامل التطور التاريخي في العملية الإبدالية، يوجد عامل آخر هو إرجاعها إلى القوانين الصوتية، والذي قال به المحدثون[3]، إذ يقول الدكتور علي وافي : "ولا تبقى هذه الألفاظ جامدة على الحالة التي وضعت عليها، بل ينالها ماينال غيرها من المفردات، وتخضع في تطورها الصوتي والدلالي للقوانين العامة نفسها التي تخضع لها الألفاظ الأصلية. فبمجرد أن يقذف بها في التداول اللغوي وتتناقلها الألسنة تفلت من إرادة مخترعيها، وتخضع لنواميس التطور العامة المسيطرة على ظواهر الصوت والدلالة، فاللفظ الموضوع أشبه شيء بحجر يقذف به القاذف من جهة معينة بقوة خاصة، فإنَّهُ بمجرد أن يفارق يده يخضع في سيره لقوانين ثابتة صارمة لا يد للقاذف ولا لغيره على تعطيلها أو وقف آثارها"[4]، وقد اختلف المحدثون في موقفهم من القوانين الصوتية، وهذه الاختلافات أجملها الدكتور الشايب في كتابه (أثر القوانين الصوتية)، منها أنَّ من المحققين الباحثين الذين ذهبوا إلى أنَّ التغيرات والتطورات الصوتية تخضع لقوانين سموها القوانين الصوتية(phonetic laws)، ويرى بإنَّها مشابهة لقوانين الطبيعة، كما تفسّر بتفسير مضاد لهذا القانون، ينفي أي نفوذ للقوانين الصوتية ويُعدُّ (تحكم الفرد) العامل الأساس في التغير اللغوي، بالإضافة إلى أنَّ هناك من يتوسط بين هذا وذاك والقول : بفعل القوانين لكنهم حرصوا أشد الحرص على عدم مقارنة القوانين الصوتية بقوانين الطبيعة والكيمياء؛ ذلك أنَّ القوانين الصوتية عندهم من وضع البشر، فهي شبيهة بالقوانين السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وهناك من حكم على تلك القوانين والتطورات الصوتية بأنَّها مصادفة تاريخية[5].

المقطع الصوتي في إبدال الهمزة (حركة طويلة) :

إنَّ كُلّ ما يحصل من ظواهر لغوية في المفردات العربية تحكمه التفاعلات الصوتية المشروط لتحقيقها وجود القرابة المخرجية، والاتفاق في الصفات بين الأصوات، ويُعدّ تسهيل النطق مطلباً مرجواً من وراء تحقيق الظاهرة، وبعد استقصاء آراء اللغويين بحثاً عن العلاقة الصوتية بين صوت (الهمزة) والحركات الطويلة (الألف، والياء، والواو) من حيث قرب المخرج واتفاق الصفات، ومما وجدناه يؤكد عدم وجود علاقة رابطة بينهم، وهذا ما أكده المحدثون، ومنهم الدكتور عبد الصبور شاهين، بقوله : "إنَّ العلاقة بينهما

(1) أثر القوانين الصوتية: 21.
(2) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 15وما بعدها، و الأصوات اللغوية، 160، واللهجات العربية في التراث: 1/ 348.
(3) ينظر: التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 18، وعلم الأصوات العربية : 260، وأثر القوانين الصوتية :22.
(4) علم اللغة : د. علي عبد الواحد وافي : 282-283.
(5) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 26-29.

وبين الهمزة _على أية حال_ معدومة سواء لاحظنا ما يربطها بطبيعة الساكن، أم بطبيعة الحركة فبين الجانبين مفارقات من عدّة وجوه :

أولاً _ الهمزة من الحنجرة، والواو من أقصى اللسان، والياء من وسط اللسان وما يحاذي الموضعين من الحنك الأعلى.

ثانياً_ الهمزة صوت انفجاري (شديد)، وهما انطلاقيان (لينان).

ثالثاً_ الهمزة صوت ذو وجود صوتي وسياقي (فونتيكي وفونولوجي)، أما هما فوجودهما انتقالي سياقي (فونولوجي) فحسب، مهما تكن ظروف وجودهما في المادة اللغوية.

رابعاً_ الهمزة صوت مهموس، أو لا هو بالمهموس ولا بالمجهور، وهما مجهوران، إلا في حالة خاصة، هي حالة الوقف"[1].

وتأسيساً على العلاقة بين المبدل والمبدل منه نجد الدكتور عبد الصبور شاهين لا يُسَلِّم بالإبدال بين الهمزة وأصوات (الواو والياء) مفترضاً بعدم وجود علاقة رابطة بينهم، إذ يقول : " إنَّهُ لا علاقة صوتية مطلقاً بين الهمزة من ناحية وبين الواو والياء من ناحية أخرى ـ تعين على القول بإمكان حدوث تبادل بينها"[2]، بمعنى أنَّ اللسان العربي في معاملته لأصوات (الواو، والياء، والهمزة) ناشئ عن بعض الكراهات التي لم يألفها نتيجة للثقل أو التنافر، فيلجأ الناطق إلى مخالفة نظائرها، وهذه المخالفة إنَّما تحدث في أتجاه أصوات اللِّين والتصرف بها هرباً من هذا الذي يكرهه[3]، فالهمزة صوت منبور كما وصفه سيبويه، وعند خروجه فإنَّهُ يجهد عضلات النطق، فهو أبعد الحروف مخرجاً، فثقل عليهم ذلك؛ لأنَّهُ كالتهوع[4]، "فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيفُ، وهو لغةُ قريش، وأكثر أهل الحجاز، وهو نوع استحسان لثقل الهمزة، والتحقيقُ لغةُ تميم وقَيْس"[5] أمّا أصوات الواو، والياء، والألف، فوصفهنَّ بأنهنَّ أوسع مخرجاً من الهمزة[6].

فالإنسان العربي معروف عنه ميال بطبعه إلى السهولة وتجنب الأصوات المجهدة لعضلات النطق "فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة في لغته نظائرها السهلة"[7]، وفي العلاقة بين الهمزة والألف، قال ابن يعيش : "اعلم أنّ الهمزة والألف تتقاربان في المخرج، فالهمزة أدخلُ إلى الصدر، ثمّ تليها الألف، ولذلك إذا حرّكوا الألفَ، اعتمدوا بها على أقرب الحروف منها إلى أسفلَ، فقلبوها همزةً، فالهمزةُ نَبْرَةٌ شديدةٌ، والألفُ ليّنةٌ...؛

(1) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : عبد الصبور شاهين : 48.
(2) المصدر نفسه : 77.
(3) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : 78.
(4) ينظر : الكتاب : 3/ 548، وينظر : شرح المفصل : 265/5.
(5) شرح المفصل : 265/5.
(6) ينظر : الكتاب : 436/4، وشرح المفصل :265/5، والمدخل الى علم أصوات العربية :113.
(7) الأصوات اللغوية :140.

لأنَّك إذا خفّفتها فأنت تُزيل نبرتَها، وإذا زالت نبرتُها لانت وصارت إلى جنس الألف؛ لأنَّها أقربُ الحروف إليها من فَوْق"[1].

فالإبدال بأنْ تزيل نبرتها، فتلين، وحينئذ تصير إلى (الواو، والياء، والألف) على حسب حركة ما قبلها سواء أكانت ساكنة أم متحركة[2]، فمن إبدال الهمزة ما يأتي :

أولاً : إبدال الهمزة الساكنة المتحرك قبلها :

قال سيبويه : "فإنما تبدل مكان كلِّ همزة ساكنةٍ الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنَّهُ ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها"[3]، وجسّد مكي بن أبي طالب القيسي صورة الإبدال في الهمزة الساكنة عندما تجرى على حركة ما قبلها؛ معللاً ذلك بقوله : "لأنَّها لمّا كانت ساكنة ضعفت، فلم تدبر نفسها، إذ لا حركة فيها، ولا قوة، فدبرتها أقرب الحركات منها، وهي الحركة التي قبلها"[4]. والهمزة الساكنة باعتبار حركة ما قبلها تأتي على ثلاثة أقسام :

أ _ إبدال الهمزة الساكنة واواً :

تبدل الهمزة الساكنة واواً عندما تكون حركة ما قبلها ضمة، من ذلك قوله تعالى : ﴿يُؤْمِنُون﴾(سورة البقرة : 3)، و﴿الْمُؤْتَفِكَةَ﴾(سورة النجم : 53)، و﴿يُؤْتِي﴾(سورة البقرة : 269)(5)، إذ " أنّ أبا عمرو كان يترك الهمزة الساكنة سواء أكانت فاءً أو عيناً أو لاماً، ويخلفها بالحرف الذي عنه حركة ما قبلها"[6]، وهي الضمة، فأبدلت الهمزة في المفردات القرآنية واواً[7]، ونجد مكي بن أبي طالب القيسي يقول : "فهي تجري على ما قبلها، فما قبلها من الحركة يدبّرها؛ لأنَّها لمّا كانت ساكنة ضعّفت، فلم تدبر نفسها إذ لا حركة فيها، ولا قوة، فدبّرها أقرب الحركات منها، وهي الحركة التي قبلها"[8]، فتبدل إذا كان قبلها ضمة فلمّا كانت هذه الأشياء تكتنفها مع الضعف الذي فيها صارت بمنزلة الواو، وكان هذا اخفّ عليهم، وعلى هذا النحو نتصوّر ما يصيبها في سياق المفردات القرآنية المذكورة آنفاً، في ضوء الكتابة المقطعية قبل الإبدال، وبعده على وفق الآتي :

• يُؤْمِنُونَ : قبل الإبدال ← **ي ـُـ ء/ م ـِـ/ ن ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

• الْمُؤْتَفِكَةَ : قبل الإبدال ← **ء ـَـ ل/ م ـُـ ء/ ت ـَـ/ ف ـِـ/ ك ـَـ/ ت ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

---

(1) شرح المفصل : 266/5.
(2) ينظر: الكتاب : 436/4، وشرح المفصل :265/5، وشرح شافية ابن الحاجب : 203/3.
(3) الكتاب : 3/ 544.
(4) الكشف : 102/1.
(5) ينظر : النشر : 1/ 390.
(6) جامع البيان : 240.
(7) ينظر : الكتاب : 3/ 543، والمقتضب : 157/1، والأصول في النحو : 2/ 399.
(8) الكشف : 102/1.

• يُؤْتِي : قبل الإبدال ← **ي ـُـ ء/ ت ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/**

فالهمزة تضعف ضمن هذا النسق الصوتي مما يؤدي إلى إبدالها بما يماثل حركة ما قبلها، وتأسيساً على هذا يتوافر المناخ الصوتي المناسب للمؤدي من التسهيل لإجراء الإبدال على وفق الآتي :

• يُوْمِنُون : بعد الإبدال ← **ي ـُـ / م ـِـ/ ن ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

• الْمُوْتَفِكَة : بعد الإبدال ← **ء ـَـ ل/ م ـُـ / ت ـَـ/ ف ـِـ/ ك ـَـ/ ت ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/**

• يُوْتِي : بعد الإبدال ← **ي ـُـ / ت ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/**

فبعد الإبدال تبيّن للبحث أنَّهُ تمَّ إسقاط الهمزة الساكنة ومدّ الصائت القصير الضمة (ـُـ) الذي يسبقها ليصير صائتا طويلاً(واواً) "يعوض حذف الهمزة ونبر الشدة بنبر الطول"[1]، مشكلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح) (/ي ـُـ / ،/م ـُـ /،/ ي ـُـ/)، من المقاطع العربية المستساغة في التركيب اللغوي[2]، موافق لجواز إبدال الهمزة، وتخفيفها بعد تصييرها الى جنس حركة ما قبلها؛ لتوافر شروطه المذكورة آنفاً.

ب ـــ إبدال الهمزة الساكنة ياءً :

قال سيبويه : "وإنْ كان ما قبلها مكسوراً أبدلت مكانها ياءً"[3]، ومنه قوله تعالى : ﴿بِئْسَ﴾(سورة الحجرات:11)، و﴿جِئْتَ﴾(سورة الاعراف:106)، فقرأ أبو جعفر بإبدال الهمزة ياءً[4]، و﴿الذِّئْبُ﴾(سورة يوسف:13)، و﴿بِئْرٍ﴾(سورة الحج: 45)، إذ اختلف القرّاء في ﴿الذئب﴾ بين الإبدال وعدمه، "فوافقهم على إبداله ورش والكسائي وخلف"[5]، وقرأ "ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة بالهمز"[6]، إذ قال مكي بن أبي طالب القيسي في إبدالها: "وإذا انكسر ما قبلها ابدل منها ياء ساكنة كالهمزة"[7].

إنَّ الكتابة المقطعية للمفردات القرآنية السابقة الذكر قبل الإبدال وبعده، تكون على وفق الآتي :

(1) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 56.
(2) ينظر : الأصوات اللغوية :93، ودراسة الصوت اللغوي : 302، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : د. الطيب البكوش : 78.
(3) الكتاب : 3/ 544، والمقتضب : 157/1، والنشر : 1/ 390.
(4) ينظر : النشر : 390/1.
(5) النشر : 394/1، وينظر : السبعة في القراءات : 346.
(6) السبعة في القراءات : 346.
(7) الكشف : 1/ 102-103.

• بِئْسَ : قبل الإبدال ← **ب ـِـ ء/ س ـَـ/** وبعده ← **ب ـِـ / س ـَـ /**
ص ح ص/ص ح/ **ص ح ح/ص ح/**

• جِئْتَ : قبل الإبدال ← **ج ـِـ ء/ ت ـَـ/** وبعده ← **ج ـِـ / ت ـَـ /**
ص ح ص/ص ح/ **ص ح ح/ص ح/**

• الذِّئْبُ : قبل الإبدال ← **ء ـَـ ل/ ذ ـِـ ء/ ب ـُـ/** وبعده ← **ء ـَـ ل/ ذ ـِـ / ب ـُـ/**
ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ **ص ح ص/ص ح ح/ص ح/**

• بِئْرٍ : قبل الإبدال ← **ب ـِـ ء/ ر ـِـ ن/** وبعده ← **ب ـِـ / ر ـِـ ن /**
ص ح ص/ص ح ص/ **ص ح ح/ص ح ص/**

نرى أنَّهُ تمَّ إسقاط الهمزة ومدّ الصائت القصير(ـِـ) (الكسرة) الذي قبل الهمزة فتحول إلى صائت طويل (الياء)، بدلاً عن الهمزة؛ "لأنَّ الكسرة من الياء والياء تحدث من اشباع الكسرة"[1]، مشكلاً بذلك مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، (ب ـِـ /، / ج ـِـ /، / ذ ـِـ /،/ ب ـِـ/) في الأحوال كلّها، وهو من المقاطع العربية الشائعة[2]، فوافق جواز تخفيف الهمزة وإبدالها صوتاً من جنس الصائت الذي قبلها في ضوء عملية أدائها النطقي .

ج ــ إبدال الهمزة الساكنة ألفاً :

تُبدل الهمزة الساكنة ألفاً من جنس حركة ما قبلها، وفيها قال سيبويه : "وإذا كانت الهمزة ساكنةً وقبلها فتحة فأردت أنْ تخفِّف أبدلت مكانها ألفاً، وذلك قولك في رأسٍ وبأسٍ وقرأت: رأسٌ وبأسٌ وقرأتُ"[3]، نحو قوله تعالى:﴿فَأْتُوهُنَّ﴾(سورة البقرة: 222)، "فقرأ أبو جعفر... ذلك بإبدال الهمزة"[4]، و﴿يَأْكُلُونَ﴾(سورة البقرة: 174)، وهي قراءة أبي عمرو بإبدال الهمزة ألفاً[5].

ففي هاتين المفردتين تمَّ إبدال الهمزة ألفاً؛ وذلك لانفتاح ما قبلهما، ونبيّن ذلك في ضوء النسيج المقطعي لسياقهما قبل الإبدال، وبعده على وفق الآتي :

• فَأْتُوهُنَّ : قبل الإبدال ← **ف ـَـ ء/ ت ـُـ / هـ ـُـ ن/ ن ـَـ/** وبعده ← **ف ـَـ / ت ـُـ / هـ ـُـ ن/ ن ـَـ/** ← **ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/وبعده← ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/**

(1) المصدر نفسه : 103/1.
(2) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 164-165، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(3) الكتاب : 3/ 543، والمقتضب : 1/ 157.
(4) النشر : 1/ 390.
(5) ينظر: جامع البيان: 240.

• يَأْكُلُونَ : قبل الإبدال ← **ي ـَ ء/ ك ـُ/ ل ـُ / ن ـَ/** وبعده ← **ي ـَ / ك ـُ/ ل ـُ / ن ـَ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وبعده← **ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

نلحظ أنَّ النسيج المقطعي للمفردتين قبل الإبدال، وبعده قد تساوى في عدد المقاطع، إلاّ أنَّ في الإبدال قد صار مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح) (/ف ـَـ/، / ي ـَـ/)، بعد أنْ كان مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) (/ف ـَ ء/، / ي ـَ ء/)، في حالة قبل الإبدال؛ وذلك عند إسقاط الهمزة تم مدّ الصائت القصير الفتحة (ـَ) الذي سبقه ليُصْبِح صائتاً طويلاً (الألف)؛ "لأنَّ الفتحة من الألف، والألف من إشباع الفتحة"[1]، فجاز الإبدال فيها من أجل تخفيفها[2]، إذ حقق التسهيل النطقي للمؤدي؛ وذلك عندما أسقط الناطق (الهمزة)، وعُوِّضَ مكانها حركة قصيرة الفتحة (ـَ) مجانسة لمّا قبلها، فمدّ الصائت القصير (الفتحة) ليتحول إلى صائت طويل (الألف) حركة طويلة، وهذا التحول في التعويض إيقاعي، لا يؤثر على كمية المقطع، بل يحافظ على كميته دون نظر إلى نوعه، فهو في كلتا الحالتين متساوٍ في عدد مقاطعه، ولكنّه في الحالة الأصلية يشكل مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص)، وفي البديلة يشكّل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، مع بقاء كمية الأصوات واحدة، فلم يتغير إيقاع الكلمة، وإنَّما ثبت، فتحققت الصيغة المرادة[3].

ثانيا : إبدال الهمزة المتحركة وما قبلها متحرك :

يقول ابن يعيش : "وأمّا إذا كانت الهمزة متحرّكةً ومتحرّكاً ما قبلها، وأريد تخفيفها، فحكمُها أن تجعل بين بين، أي: بين مُخرج الهمزة، وبين مُخرج الحرف الذي منه حركةُ الهمزة...؛ لأنَّ فيه تخفيفًا للهمزة بإضعاف الصوت، وتليينه وتقريبه من الحرف الساكن مع بقيّةٍ من آثار الهمزة؛ ليكون ذلك دليلاً على أنّ أصله الهمزة...ولا تخلو الهمزة من ثلاثة أحوال: إمّا أنْ تكون مفتوحة، أو مكسورة، أو مضمومة"[4]، وأحوالها هي:

أ _ أنْ تكون مفتوحة وقبلها مضموم :

فتبدل مكانها واواً، من ذا قراءة أبي جعفر وورش في قوله تعالى: ﴿مُؤَجَّلًا﴾(سورة آل عمران: 145)، و﴿يُؤَاخِذُ﴾(سورة النحل: 61)، واختص الأصبهاني عن ورش بإبدال الهمزة واواً في قوله تعالى : ﴿الْفُؤَادَ﴾(سورة الأسراء: 36)[5]، ورواه الاشموني بالهمز[6]، وفي هذا النوع من الإبدال نَظَرَ القُدماء إلى الهمزة بإبدالها واواً خالصةً[7]، وفصّل القول في إبدالها مكي بن أبي طالب القيسي بقوله : "فأما المفتوحة إذا أنضم ما قبلها ... فأنَّها تبدل منها مع الضم واواً مفتوحة، نحو: (يواخذ)... وعلّة ذلك إنَّها لمّا لم يكن إلقاء حركتها على ما قبلها، إذ هو

(1) الكشف : 1/ 102.
(2) ينظر: المقتضب: 1/ 155،
(3) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 182-183.
(4) شرح المفصل : 5/ 273، وينظر : النشر : 1/ 395.
(5) ينظر : النشر: 395/1، و جامع البيان : 237، و إتحاف فضلاء البشر : 77.
(6) ينظر : جامع البيان : 239.
(7) ينظر : الأصول في النحو :401/2.

متحرك، ولا تلقى حركة على حركة، ولم يمكن فيها أنْ تُجعل بين بين؛ لأنَّها لو جُعلت بين بين لجُعلت بين الهمزة والألف، والألف لا يكون قبلها ضم ولا كسر، فامتنع ذلك أيضاً فيها، ولو جُعلت بين الهمزة المفتوحة والواو لكانت بين الهمزة وبين حرف ليس هو من حركتها"[1]، فالتوجيه الصوتي المقطعي في تخفِّيف الهمزة هو سقوطها والتعويض عنها بشبه حركة، أو ما يسمى(نصف صائت) من جنس الصائت القصير الذي قبلها الناشيء من عملية الانزلاق الحركي، وهذا واضح في المفردات القرآنية التي سنتناولها في ضوء المقطع الصوتي.

ففي﴿مُؤَجَّلًا﴾ بعد إبدال الهمزة تُصْبِح (موجلا)، و﴿يُؤَاخِذْ﴾ تُصْبِح (يواخذ)، و﴿الْفُؤَادَ﴾ تُصْبِح (الفواد)، وعلى هذا النحو نتصوّر ما يجري على هذه المفردات في ضوء الكتابة المقطعية قبل سقوط الهمزة وبعدها، على وفق الآتي :

• مُؤَجَّلًا : قبل سقوط الهمزة : **م ـُـ/ ء ـَـ ج/ ج ـَـ/ ل ـَـ ن/** ← وبعد سقوط الهمزة **م ـُـ/ ø ـَـ ج/ ج ـَـ/ ل ـَـ ن/** ← **ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/** وبعد سقوط الهمزة ← **ص ح/ ø ح ص/ص ح/ص ح ص/**

نلحظ هنا أنّهُ بدأ المقطع الثاني (/ø ـَـ ج/) بقمة وهذا مخالف لمقتضيات البِنْية المقطعية العربية[2]، فيحدث "انزلاق حركي بين حركة الصامت السابق للهمزة، وحركة الهمزة نفسها بعد سقوط الهمزة، ومن ثم يتشكل شبه حركة، واواً..."[3] ، وباعتبار ذلك تكون المفردة بعد التعويض، على وفق الآتي :

• بعد التعويض : **م ـُـ/ و ـَـ ج/ ج ـَـ/ ل ـَـ ن/** ← **ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

نجد أنّ النسيج المقطعي للمفردة القرآنية شكّل مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) من المقاطع الشائعة والمستساغة في العربية[4]، فوافق جواز الإبدال في الهمزة لأجل "تخفيفها"[5]، فعملَ المؤدي على سقوط الهمزة عند الإبدال؛ لغرض تخفيفها مما أدَّى إلى التقاء حركتين في السياق التقاءً مباشراً، هما الضمة(ـُـ) والفتحة(ـَـ)، "فإنَّ العربية تعمد في مثل هذه الحالة إلى تخليق أشباه الحركات كي تفصل بين الحركات المتتابعة"[6]، فحصل الانزلاق الحركي بينهما (م ـُـ/ ـَـ ج) ونشأ من التقاء الضمة+ الفتحة ← الواو.

فالهمزة قبل سقوطها كانت تمنع من التقاء الحركتين، وعندما سقطت عمدت العربية إلى وسيلة أخرى في النطق، وهي تخليق أشباه الحركات بدلاً عن الهمزة الساقطة[7].

---

(1) الكشف : 1/ 104.
(2) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 42.
(3) أثر القوانين الصوتية : 459. وينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 81.
(4) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(5) الكشف :1/ 102.
(6) أثر القوانين الصوتية : 113.
(7) ينظر : المصدر نفسه : 113-114

أمّا في قوله تعالى : ﴿يُؤَاخِذُ﴾، و﴿الْفُؤَادَ﴾ بعد إبدال الهمزة بحركة طويلة من جنس الحركة السابقة لها أُبدلت واواً فتُصْبحان ←(يواخذ) و(الفواد)، ونتابع هذا التصوّر وفق المقطع الصوتي لهما قبل سقوط الهمزة وبعدها، على وفق الآتي :

• يُؤَاخِذُ : قبل سقوط الهمزة : **ي ـُـ/ ء ـَـ/ خ ـِـ/ ذ ـُـ/** ← وبعد سقوط الهمزة : **ي ـُـ/ ø ـَـ/ ـَـ/ ح ـِـ/ ذ ـُـ/** ← **ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/** وبعد سقوط الهمزة← **ص ح/ ø ح/ح ح/ص ح/ص ح/**

• الْفُؤَادَ : قبل سقوط الهمزة : **ء ـَـ ل/ ف ـُـ/ ء ـَـ/ د ـَـ/** ← وبعد سقوط الهمزة : **ء ـَـ ل/ ف ـُـ/ ø ـَـ/ ـَـ/ د ـَـ/** ← **ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/** وبعد سقوط الهمزة← **ص ح ص/ص ح/ ø ح/ح ح/ص ح/**

نلحظ بعد إسقاط الهمزة في المفردتين بدأ المقطع الثاني للمفردة الأولى بقمة، والمقطع الثالث للمفردة الثانية بقمة أيضاً، وهذا يتنافى مع مقتضيات البِنْية المقطعية العربية؛ "أي إنَّ القمة لاتوجد مستقلةٌ في العربية إلا مع قاعدة تسبقها... ولا يمكن الإبتداءُ بقمةٍ في المقطع"[1]، فلابدّ هنا من التعويض ضرورة بدل الهمزة واواً، إذ وقع ذلك تفادياً لالتقاء حركتين(الضمة ـُـ، والفتحة ـَـ) عند سقوط الهمزة، فحدث انزلاق حركي بين الصائتين القصيرين (ـُـ ، ـَـ) فتنشأ عند ذلك (الواو) شبه الحركة؛ لأنَّ الهمزة الساقطة كانت تمنع من التقاء هاتين الحركتين عند الأداء، فلما سقطت عمدت العربية إلى التعويض عنها بشبه الحركة من جنس الحركة التي قبلها[2]، فوافق جواز الإبدال؛ لغرض التسهيل والتخفيف لنطق الهمزة[3]، وعلّل الدكتور فوزي الشايب سبب التعويض؛ نتيجة لتتابع الحركات بقوله : "فتتابع حركتان : الضمة والفتحة بعدها، فيحصل إنزلاق حركي بينهما فتنشأ الواو w ← a+u ... فالهمزة الساقطة كانت تمنع من التقاء الحركتين فلما سقطت عمدت العربية إلى تخليق وسيلة آخرى"[4]، ويقصد بتخليق وسيلة أخرى هو التعويض بدل الهمزة بصائت طويل من جنس الصائت القصير الذي قبلها أثر الانزلاق الحركي بين الضمة والفتحة فتنشأ الواو شبه الحركة.

ب _ إن تكون مفتوحة وقبلها مكسور

قال سيبويه في هذا النوع من الإبدال : "واعلم أنَّ كُلّ همزة كانت مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فإنَّك تبدل مكانها ياءً للتخفيف، وذلك قولك في المئر: ميرٌ، وفي يريد أن يقرئك يقريك"[5]، وعلّل عدم استطاعة المتكلم بأنْ ينحو بالهمزة نحو الألف، وقبلها مكسور؛ لأنَّ الألف لا يكون قبلها إلا مفتوح؛ لأنَّهُ لم يجئ ما يقرب منها في هذه الحال[6]، ومما أورده أصحاب القراءات من مفردات قرآنية في هذا الصدد من نحو قوله تعالى:

(1) المقطع الصوتي في العربية : 42.
(2) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 113-114.
(3) ينظر : الكشف : 102.
(4) أثر القوانين الصوتية :113-114.
(5) الكتاب : 3/ 543.
(6) ينظر : الكتاب : 3/ 543، والمقتضب : 1/ 156، والأصول في النحو : 2/ 401.

﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾، فقرأ أبو جعفر بالإبدال في ثلاثة مواضع :(البقرة:264)، و(النساء:38)، و(الأنفال:47)، وقوله تعالى:﴿خَاسِئًا﴾(الملك:4)(1)، "فأنَّ أبا جعفر يبدلها ياءً"(2)، كما أبدلت همزة شانئك ياءً في قوله تعالى : ﴿شَانِئَكَ﴾(الكوثر:3)، إذ "انفرد أبو العلاء الحافظ عن النهرواني بالإبدال في ﴿شانئك﴾"(3) ، وصوّر مكي بن أبي طالب القيسي الإبدال هنا عندما، قال : "ولم يكن بدّ فيها من البدل على حكم حركة ما قبلها منها... ياء مفتوحة إذا انكسر ما قبلها؛ لأنَّ الياء من الكسرة تتولد، وإنَّما فتحها على حكم فتحة الهمزة التي هما بدلان منها، والبدل أبداً تجري حركته على مثل حركة ما أبدل منه"(4). والتوجيه الصوتي المقطعي لهذا النوع من إبدال الهمزة في حال تخفيفها، هو سقوط الهمزة مع ضرورة التعويض عن سقوطها بنصف صائت يجانس حركة سابقها.

فالكتابة المقطعية لمفردتي القرآن : :﴿خَاسِئًا﴾ و﴿شَانِئَكَ﴾ قبل سقوط الهمزة وبعد سقوطها، على وفق الأتي :

- خَاسِئًا : قبل سقوط الهمزة ← **خ ـَـ/ س ـِـ/ ء ـَـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**
- شَانِئَكَ : قبل سقوط الهمزة ← **ش ـَـ/ ن ـِـ/ ء ـَـ/ ك ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/**

وبعد سقوط الهمزة دون التعويض عنها بنصف صائت ملائم لحركة سابقها يكونان على ما يأتي :

- خَاسِئًا : **خ ـَـ/ س ـِـ/ ø ـَـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ ø ح ص/**
- شَانِئَكَ : **ش ـَـ/ ن ـِـ/ ø ـَـ/ ك ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ ø ح/ص ح/**

نرى أنَّهُ عند سقوط الهمزة قد تشكلت قمة فقط في المقطع الثالث (ـَـ) للمفردتين دون قاعدة، وهذا غير مألوف في النظام المقطعي العربي، إذ لا توجد قمة مستقلة من دون قاعدة، فلابدّ من التعويض عن سقوطها، فيحدث عند ذلك انزلاقاً حركياً؛ لأنَّ عند إسقاط الهمزة التقت حركتان هما (الكسرة والفتحة)، وهذا مما يستثقل على اللسان حال النطق بها، فالكسرة أمامية "بين مقدم اللسان وبين ما يقابله من الحنك الأعلى وفتحته الخلفية أضيق"(5)، في حين أنَّ الفتحة خلفية، "في نهاية الحلق الفمي وفوق قمة لسان المزمار بقليل، وفتحة التضييق من جهة الفراغ الأمامي تكون أوسع نسبياً"(6)، وهذا التباين بين الصائتين (ـِـ)، (ـَـ)، أدّى إلى إبدال الهمزة ياء، فيكونان على النحو الآتي:

(1) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 78.
(2) النشر : 1/ 396، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 550.
(3) النشر : 1/ 396، وينظر : المستنير : لابن سوار البغدادي : 1/ 487.
(4) الكشف : 1/ 104-105.
(5) علم الصوتيات : 223.
(6) المصدر نفسه : 223.

• خَاسِئًا : **خ ـَـ/ س ـِـ/ ي ـَـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

• شَانِئَكَ : **ش ـَـ/ ن ـِـ/ ي ـَـ/ ك ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح/**

نلحظ أنَّهُ تكوّنت المفردة الأولى بعد الإبدال من مقطعٍ متوسطٍ مغلقٍ (ص ح ص) (/ي ـَـ ن/) من المقاطع المحبذة في النظام المقطعي الصوتي[1]، وفي المفردة الثانية تكوّن النسيج المقطعي لها بعد الإبدال من مقطعٍ قصيرٍ مفتوحٍ (ص ح) (/ي ـَـ/)، وهو من المقاطع الشائعة، والجائزة الوقوع في حشو التركيب اللغوي[2]، فالتشكيل الصوتي المقطعي للمفردتين جاء موافقاً بنوعيهِ لجواز تخفيف الهمزة بإبدالها ياءً[3] في ضوء عملية الإبدال النطقي في الأداء.

ج _ أنْ تكون مفتوحة ما قبلها مفتوح :

أُختلف في إبدال الهمزة ألفاً عن الإبدال في الواو والياء، فهي لا تبدل ألفاً خالصةً، وقد اتضح ذلك عند القدماء، وأصحاب القراءات، فنجد سيبويه يبيّن حكمها، في قوله : "اعلم أنَّ كل همزةٍ مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ فإنَّك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة"[4]، وبالمعنى نفسه قال المبرد (ت 285ه) : "إن أَردت التَّخْفِيف نحوت بهَا نَحْوَ الأَلف لأَنَّها مَفْتُوحَة والفتحة من مَخْرَج الأَلف فَقلت قرا يَا فَتى والمخفَّفة بوزنها مُحقَّقةً إلاَّ أَنَّك خفَّفت النبرة لأَنَّك نَحَوْت بهَا نَحْوَ الأَلف"[5].

أمّا عند أصحاب القراءات القرآنية فالأمر نفسه لم يخرج عن رأي القُدماء؛ ونجد ذلك في تعليل مكي بن أبي طالب القيسي لهذا النوع من الإبدال، عندما قال : "وعلّة ذلك أنَّها، لمّا لم يكن قبلها ساكن، تُلقى حركتها عليه، ولم يحسن فيها البدل كالساكنة لقوتها في الحركة... فلم يكن بدٌّ من جعل الهمزة المفتوحة، التي قبلها فتحة أو ألف، بين بين في التخفيف، وكان جعلها بين الهمزة المفتوحة، والألف أولى؛ لأنَّ حركتها الفتح، والفتح من الألف، والألف تحدث من إشباع الفتحة"[6]، وعدّ المحدثون ذلك "تعبير القدماء من القرّاء عن تلك الحالة الغامضة لنطق الهمزة"[7].

ومما أوردهُ أصحاب القراءات القرآنية عن إبدال الهمزة ألفاً (بين بين)، قراءة ورش وقالون عن طريق الأصبهاني وكذا أبو جعفر بالتسهيل بين بين، نحو قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ﴾(سورة العلق:11)، و﴿رَأَيْتَهُمْ﴾(سورة المنافقون:4)[8]، وقرأ نافع وابن عامر قوله تعالى :

(1) ينظر : علم الأصوات العربية :198.
(2) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 164-165، وعلم الأصوات العربية : 198.
(3) ينظر : الكشف : 1/ 102.
(4) الكتاب : 3/ 541، وينظر : والأصول في النحو : 2/ 401.
(5) المقتضب : 1/ 155-156، وينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 31.
(6) الكشف : 1/ 103-104.
(7) الأصوات اللغوية : 78.
(8) ينظر : النشر :1/ 399.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[سورة المعارج:1]، (سال) بغير همز بإبدالها ألفاً، وقرأ الباقون بالهمز[1]، فالتوجيه الصوتي في إبدال الهمزة ألفاً، مختلف فيه بين القُدماء والمحدثين أنفسهم، فالقُدماء خففوها عند تسهيلها، فالناطق يضعف الصوت ولا يتممه لإخفائها، قال سيبويه : "اعلم أنَّ كلّ همزةٍ مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ فإنَّك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققَّةً، غير أنَّك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي؛ لأنك تقربها من هذه الألف"[2]، فالقُدماء وأصحاب القراءات يتصوّرون أنَّ هناك صوتاً ينطق في مثل هذه الحالة، ويعلّق الدكتور فوزي الشايب على نظر القُدماء لتخفيف الهمزة، بقوله : "أنّ الهمزة سقطت من النطق ثم كانت هناك وقيفة فاصلة بين الحركتين القصيرتين اللتين تكتفانها"[3].

أمّا المحدثون فقد اختلفوا في الهمزة بين إسقاطها وإبقاء حركتها، وبين إبقائها[4]، وسنبيّن ما أُختلف فيه بين الإسقاط والإبقاء عليها، في ضوء الكتابة المقطعية للمفردات القرآنية، المذكورة آنفاً، ونعلّل ما إذا كان المقطع المتكون منها موافقاً لإبدالها وتخفيفها أم لا، على وفق الآتي :

فالكتابة المقطعية لـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾ عند تخفيفها (بين بين) قبل سقوط الهمزة الثانية وبعد سقوطها، تكون على وفق الآتي:

• أَرَأَيْتَ : قبل سقوط الهمزة ← **ء ـَـ/ ر ـَـ/ ء ـَـ ي/ ت ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح/**

• أَرَأَيْتَ : بعد سقوط الهمزة ← **ء ـَـ/ ر ـَـ/ ø ـَـ ي/ ت ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ ø ح ص/ص ح/**

نرى أنَّهُ قد بدأ المقطع الثالث بقمة(ـَـ ي) دون قاعدة أولى، وهذا لا يجوز في العربية[5]، مما أدَّى إلى التقاء قمتين (حركتين مماثلتين) في النسيج المقطعي للمفردة، فحدث من التقاء الصائتين القصيرين السابق واللاحق (ـَـ/ ـَـ)، أنَّهُ نشأ عنه صائت طويل(ـَـَ) (الألف)، فتكون المفردة بعد اتحاد الصائتين : **ء ـَـ/ رـَـَ ي/ ت ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح ص/ص ح/**

وتوجيهها مع إبقاء الهمزة يكون : **ء ـَـ/ رـَـ/ء ـَـَ ي/ ت ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ح ص/ص ح/**

وبما أنَّ دراستنا تتمحور حول معرفة انسجام الظواهر الصوتية المطروحة في النطق مع ما تقتضيه طبيعة المقطع الصوتي العربي نرى أنَّهُ عند اتحاد الصائتين شكّل مع المقطع الثاني مقطعاً طويلاً مغلقاً بصامت (ص ح ح ص) من المقاطع القليلة الشيوع

(1) ينظر : التيسير : 214.
(2) الكتاب : 3/ 542.
(3) أثر القوانين الصوتية : 458.
(4) ينظر : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : د. سمير شريف إستيتية 141.
(5) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 106.

في العربية واقتصارها على "حالة الوقف فقط"[1]، والأمر نفسه مع إبقاء الهمزة بتشكيل مقطع طويل مغلق على غير الطريقة المعهودة في العربية في حشو التركيب، وهذا مما لا تستسيغه العربية؛ لأنَّهُ يأتي متأخراً في حالة الوقف[2]، وهذا لا يعني وجوده في حشو التركيب مانع من جواز الإبدال والتخفيف في القراءة، إذ علّل الدكتور فوزي الشايب ذلك، في قراءة ورش بقوله : "وإنَّما نقول بأنَّ ورشا في قراءته هذه، قد سلك طريقاً غير مطروقة في العربية، ولكن العربية واقيستها شيء، والقراءة شيء آخر، فالقراءة سُنَّةٌ، وأي قراءة ثبتت روايتها وصحّ سندها وجب قبولها والأخذ بها"[3]، واستشهد على قوله هذا بقول الفارسي (ت 377ه) : "وليس كل ما جاز في قياس العربية تسوَّغ التلاوة به، حتى ينضم إلى ذلك الأثر المستفيض بقراءة السلف له، واخذهم به؛ لأنَّ القراءة سُنَّةٌ"[4]، والأمر نفسه ينطبق على مفردة ﴿رَأَيْتَهُم﴾.

أمّا التوجيه المقطعي لمفردة ﴿سَأَلَ﴾، فتكون قبل سقوط الهمزة وبعده، على وفق الآتي :

• سَأَلَ : قبل سقوط الهمزة ← **س ـَـ/ ء ـَـ/ ل ـَـ/** وبعد سقوطها يكون ← **س ـَـ/ ø ـَـ/ ل ـَـ/** ← **ص ح/ص ح/ص ح/** وبعد سقوطها يكون **ص ح/ ø ح ح/ص ح/**

نلحظ أنّ عند سقوط الهمزة أدَّى إلى بدأ المقطع الثاني بقمة (ـَـ) دون قاعدة، وهذا مما لا تسمح به العربية "أي أنّ القمة لا توجد مستقلة في العربية إلاّ مع قاعدة تسبقها"[5]، مما أدى إلى التقاء حركتين (فتحتين) فاتحدتا مكونةً صائتاً طويلاً عِوضاً عن تتابع الحركتين القصيرتين "كي تفصل بين الحركات المتتابعة"[6]، وعلى وفق الآتي :

• بعد التعويض : **س ـَـ/ ل ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/**

تبيّن للبحث أنَّ النسيج المقطعي للمفردة شكّل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح) (/س ـَـ/) في بداية التركيب اللغوي اللأداء النطقي من المقاطع المستساغة والشائعة الورود في النظام المقطعي الصوتي العربي[7]، وباستساغته هذه جاء موافقاً لجواز تخفيف الهمزة وإبدالها ألفاً[8].

نستنتج من كلِّ ما سبق أنّ الهمزة بحسب طبيعة نطقها من أصعب الأصوات إخراجاً؛ وذلك لمّا يتطلبه نطقها من جهد عضلي، وعند تخفيفها يتم بإسقاطها من النطق،

(1) أثر القوانين الصوتية : 102.
(2) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، و التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : 95، وعلم أصوات العربية دراسة في أصوات المد : 90-91.
(3) أثر القوانين الصوتية : 115-116.
(4) المصدر نفسه : 116
(5) المقطع الصوتي في العربية : 42.
(6) أثر القوانين الصوتية : 113.
(7) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(8) ينظر : الكشف : 1/ 102.

وإبدال مكانها صوتاً من أصوات المدِّ؛ وذلك لغاية طلب الخفة التي ينشدها المؤدي إيثاراً للسهولة في النطق ليس غير.

المقطع الصوتي في إبدال تاء الافتعال :

قال ابن يعيش : "قد أبدلت الطاء من التاء إبدالًا مطّرداً، وذلك إذا كانت فاء "افْتَعَلَ" أحدَ حروف الإطباق، وهي أربعةٌ: الصاد والضاد والطاء والظاء، نحو: "اصطبر يصطبر"... والعلّةُ في هذا الإبدال أنّ هذه الحروف مستعليةٌ فيها إطباقٌ، والتاء حرف مهموس غيرُ مستعلٍ، فكرهوا الإتيانَ بحرف بعد حرف يُضادّه وينافيه، فأبدلوا من التاء طاءً؛ لأنّهما من مَخْرج واحد...، ويكون العملُ من وجه واحد، فيكون أخفَّ عليهم"[1]، فإطباق تاء الافتعال من كلِّ ما فاؤه مطبق، ناشئٌ من صعوبة التتابع الصوتي في النطق، لمّا بين التاء والأصوات المطبقة من التنافر في الصفات[2]، كما إنها تتباين في صفاتها مع الزاي والدال والذال في جهرها[3]، وعلّل الدكتور عادل نذير بيري غاية الإبدال المرافق للسياق الصوتي الخاص بتاء الافتعال، عندما قال : "إن الإبدال... غايته تيسير مهمة الإدغام، وتمكين المؤدي من أنْ يتجاسر على الأصوات التي لا يمكن إدغامها في التاء، أو أدغام التاء فيها، ويمكن القول : إنَّ الإبدال المرافق لتاء الافتعال لا تكون غايته بالخفة مباشرة، ولكن المظهر الصوتي هو المسؤول عن توفير المناخ الصوتي لتعامل صوتي جديد يجنح إليه المؤدي وصولاً إلى الخفة المنشودة"[4]، ومما ورد من ذلك نتتبعه في ضوء توافقه مع المقطع الصوتي العربي، ومن أمثلته :

أولاً : إبدال تاء الافتعال طاءً :

منه قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ سورة فاطر: 37[5]، إذ قال ابن عطية الأندلسي (546ه) فيها : "ويَصْطَرِخُونَ يفتعلون من الصراخ أصله يصترخون فأبدلت التاء طاءً لقرب مخرج الطاء من الصاد"[5]، ويقول ابن الحاجب (ت 646ه) : "والطاء من التاء لازمةٌ"[6].

نلحظ أنَّهُ عند نطق الصاد بما فيها من الإطباق والاستعلاء[7]، والاسترخاء[8]، فـ "اللسان يعلو بها إلى جهة الحنكِ"[9]، أمّا عند نطق التاء فيتم "نطقه بإلصاق طرف اللسان بالأسنان العليا من داخلها، ومقدم اللسان بأصول الثنايا"[10]، وأنَّهُ صوت منفتح

(1) شرح المفصل : 5/ 406، وينظر : الممتع في التصريف :1/ 238، والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 121.
(2) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 20.
(3) ينظر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : 44-45، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 110، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 152.
(4) التعليل الصوتي : 353.
(5) المحرر الوجيز: ابن عطية الأندلسي : 4/ 441.
(6) الشافية في علمي التصريف والخط : ابن الحاجب : 388.
(7) ينظر: الباب الصرفي وصفات الأصوات: وفاء كامل فايد : 25.
(8) ينظر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث: 44-45، وعلم الأصوات: لبرتيل مالمبرج : 114.
(9) التحديد: 106، و ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية:131-132.
(10) مناهج البحث في اللغة: 94، وينظر : المدخل الى علم أصوات العربية: 108.

مُسْتَفِّل[1]، لذا نرى أنَّهُ من الصعوبة الانتقال من الصاد إلى التاء حال النطق بهما، وكان وقوع الاختيار على أقرب الأصوات مخرجاً للتاء وهو الطاء، فهو صوت قريب للتاء في المخرج، ومماثل للصاد في صفة الإطباق، وهنا إنْ صح القول حدث التوازن بين التاء والصاد والطاء في أشياء مشتركة بينهم، ويمكن تمثيله بالمخطط(1) الآتي :

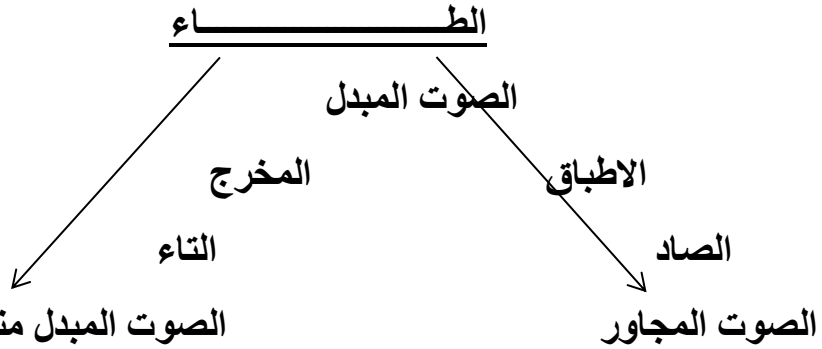

ففي ضوء المخطط (1) نلحظ حصول التقريب الصوتي بين الصاد (الصوت السابق)، والتاء (الصوت اللاحق)، وهو ما يسمى عند المحدثين بـ مماثلة تقدمية[2]، وفي ضوء الكتابة المقطعية نستعرض التفاعل الصوتي بين صوتي التاء والطاء؛ لغرض تحقق الإبدال مبينين ما يحصل للمفردة قبل الإبدال وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإبدال : **ي ـَـ ص/ ت ـَـ/ ر ـِـ/ خ ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**
- بعد الإبدال : **ي ـَـ ص/ ط ـَـ/ ر ـِـ/ خ ـُـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

نلحظ أنَّ في التركيب اللغوي للمفردة بعد إبدالها تشكّل مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح) من المقاطع العربية المستساغة والشائعة الورود[3]، والمتحقق من الإبدال تحسن جرس أصوات اللفظة، فالإبدال أدَّى ما عليه من التسهيل للنطق، والتخفِّيف من الجهد العضلي المبذول في حال النطق بالتاء؛ وذلك لأنَّ التاء اتصلت اتصالاً مباشراً بالصوت المطبق (الصاد) فالبون شاسع بينها وبين الصاد في الصفات، فهي مُسْتفّلة وتلك مستعلية، فوضع اللسان مناقض لوضعه معها، فضلاً عن أن تجاور الصاد المطبق مع التاء المنفتح، أمر مجهد غاية في الثقل، ولتسوية هذا الوضع الشاذ يتدخل قانون الجهد الأقل، فيحدث التفاعل بينهما، وهنا يتدخل قانون الأقوى فيحسم الصراع لصالح الأقوى، وهو الصوت المطبق، فاختير أقرب الأصوات مخرجاً للتاء، وأقرب الأصوات إلى الصاد في الإطباق وهو الطاء[4] فأصبحت(يصطرخون)، لذا فحصول المقطع القصير المفتوح المستساغ في

(1) ينظر : الباب الصرفي وصفات الأصوات : 25، وينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران :154-155.
(2) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 68، وينظر : الأصوات اللغوية : 106.
(3) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(4) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 65.

الكلمة جاء موافقاً لوجوب الإبدال؛ وذلك لأنَّ الإبدال فيها جاء قياسياً، مضطراً إليه، "بحيث يوقع تاركه في الخطأ"[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾(سورة النساء:128)، "قرأ الباقون... بتشديد الصاد"[2] في ﴿يُصْلِحا﴾، وأصلها "(يَصْطَلِحَا) بإبدال التاء طاء"[3]؛ وذلك للانسجام الصوتي، ولتجاور الصاد والطاء، والعلاقة المخرجية والوصفية بينهما، أُبدلت الطاء صاداً، قال سيبويه : "فلما امتنعت الصاد أن تدخل في الطاء قلبوا الطاء صاداً...حدثنا هارون أن بعضهم قرأ : (فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا)[4] "[5]، وهذا النوع يتبع الإدغام، مما حصل بما يسمى عند المحدثين مماثلة تقدمية[6]؛ لأنَّ عند إدغام الصاد في الطاء لا يجوز؛ لمّا في الصاد من صفة الاستطالة والصفير، قال المبرد : "فَمن ذَلِك حُرُوف الصفير وَهِي السِّين وَالصَّاد وَالزَّاي فإِنَّها لَا تُدْغَم فِيمَا جاورها من الطاءِ والتاءِ وَالدَّال"[7]، وعند الادغام تتلاشى هذه الصفة[8]، فنسبت هذه الظاهرة إلى أهل الحضر؛ لأنَّهم يميلون إلى رخاوة الأصوات الشديدة بوجه عام، بما ينسجم مع بيئتهم وطبيعتهم على عكس أهل البداوة الذين يميلون إلى الأصوات الشديدة[9]، فيقول الدكتور إبراهيم أنيس : "مالت القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة في نطقها، وهو أمر طبيعي يلتئم مع ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع؛ لأنَّ هذه الأصوات سريعة النطق بها، حاسمة، ثم إنَّ ما فيها من عنصر انفجاري ينسجم وسرعة الأداء عند الأعراب... في حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام"[10]، لذا "تجافت ألسنتهم عن الطاء... وغلب عليها صوت الصاد...، لما في الطاء من الشدة، فتحولوا إلى صوت رخوٍ، فكان أنْ جرى على ألسنتهم قلب الشديد إلى رخو يناسب الفاء فأبدلوه مع الصاد صاداً وأدغموا"[11].

فتمثيل ما أُجري على مفردة (يَصْطَلِحَا) في ضوء المقطع الصوتي قبل الإبدال وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإبدال : **ي ـَـ ص/ ط ـَـ/ ل ـِـ/ ح ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/**
- بعد الإبدال : **ي ـَـ ص/ ص ـَـ/ ل ـِـ/ ح ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ح/**

(1) اللهجات العربية في التراث : 1/ 347.
(2) جامع البيان : 479، و ينظر : المحتسب : ابن جني : 1/ 201.
(3) التبيان في إعراب القرآن : أبو البقاء العكبري : 1/ 395، وينظر : الدراسات الصوتية واللهجية : 173.
(4) الآية : 128 من سورة النساء.
(5) الكتاب : 4/ 467، و ينظر : شرح المفصل : 5/ 407.
(6) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 68، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 142.
(7) المقتضب : 1/ 173.
(8) ينظر : المصدر نفسه : 1/ 173، والمحتسب : 1/ 201.
(9) ينظر : في اللهجات العربية : 100.
(10) في اللهجات العربية : 100.
(11) الدراسات اللهجية والصوتية :173.

نرى أنَّ النسيج المقطعي لها في الحالتين شكّل مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح) (/ط ـَـ/، /ص ـَـ/) من المقاطع العربية المستساغة والشائعة في النظام المقطعي[1]، إذ ناسب في استساغته هذه لحكم وجوب الإبدال في (يَصْطَلِحَا)؛ لأنَّ الإبدال فيها قياسياً لازماً إذ إنَّ ترك الإبدال فيه يوقع المتكلم في الخطأ فيضطر إليه اضطراراً في التصريف[2].

نستنتج من كلِّ ما سبق، هو أنَّ ما جرى في عملية الإبدال بين صوتي التاء والطاء، في سياقات الافتعال، إذ تخللها صوت من أصوات الإطباق في موضع الفاء، فإنَّ الأداء النطقي جاء عن الرغبة لطلب التجانس الصوتي، ولا سيّما أنّ الفارق الأدائي بينهما يستدعي ذلك، فأصوات الإطباق مستعلية، أمّا صوت التاء مستفّل، لذا فالمؤدي يميل إلى أن يأتي بصوت يناسب أصوات الإطباق، وهو الطاء فهو صوت قريب للتاء في المخرج، ومماثل للصاد في صفة الإطباق.

ثانيا : إبدال تاء الافتعال دالاً :

تبدل تاء الافتعال دالاً، إذا كانت فاؤها أحد هذه الأحرف الثلاثة (الذال، الدال، الزاي)؛ لأنّ التاء مهموسة، والأحرف الثلاثة مجهورة، فقلبت التاء دالاً؛ لأنَّ الدال مناسبة للزاي والذال في الجهر، وللتاء في المخرج، فتوسط بين التاء وبينها تحقيقاً للانسجام الصوتي[3]، وقد علّل سيبويه الإبدال في هذا الموضع، بقوله : "والزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم : مزدانٌ في مزتان، لأنَّهُ ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة"[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾(سورة القمر:4)، إذ قرأ حمزة وابن ذكوان (مزّجر)[5]، وفيها يقول سيبويه : "وأما الدال فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر"[6] وَأَصْلُهُ مُزْتَجَرٌ، من (مزدجر) " قُلِبَتِ التَّاءُ دَالًا"[7] ، ومعناه "موضع زجر"[8]، إذن مزدجر على زنة مفتعل، وعند تصورنا للكلمة على وزنها لكل حرف بما يقابله كالآتي :

م ـ ف ـ ت ـ ع ـ ل

↓

م ـ ز ـ ت ـ ج ـ ر

(1) ينظر : الأصوات اللغوية: 93.
(2) ينظر : توضيح المقاصد والمسالك : 6/ 1563، واللهجات العربية في التراث : 1/ 347.
(3) ينظر : الكتاب: 4/ 467-468، والمقتضب : 1/ 65، والقراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث : 66.
(4) الكتاب : 4/ 467-468.
(5) ينظر: معجم القراءات القرآنية : د. أحمد مختار عمر : 7/ 29.
(6) المصدر نفسه : 4/ 239.
(7) معالم التنزيل في تفسير القرآن : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي : 4/ 322، وينظر : الكشاف : 4/ 432.
(8) المحرر الوجيز : 5/ 212.

نلحظ أنّ الزاي وقعت مقابلة لفاء الكلمة، تلتها التاء في الافتعال، فلابدّ هنا من إبدال التاء حرفاً من مخرجها يتناسب مع حرف الزاي السابق لها، على الرغم من تقارب الزاي والتاء في المخرج، عند النطق بالتاء يتم "بالتقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا"[1]. أمّا نطق الزاي فيتم بـ "التقاء أول اللسان بالثنايا السفلى أو العليا"[2]، واتصافهما بالانفتاح[3]، إلاّ أنَّهما متباينان من حيث الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، فالتاء صوت شديد مهموس[4]، والزاي صوت رخو مجهور[5]، فأبدلوا من صوت التاء صوتاً من مخرجها، وهو الدال والذي يوافق بجهره جهر الزاي مما حقق الانسجام الصوتي بين الصوتين؛ تسهيلاً لعملية النطق، ونتابع ما جرى على المفردة في ضوء الكتابة المقطعية قبل الإبدال وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإبدال : **م ـُـ ز/ ت ـَـ/ جـ ـَـ/ ر ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**
- بعد الإبدال : **م ـُـ ز/ د ـَـ/ جـ ـَـ/ ر ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

تبيّن للبحث في ضوء الكتابة المقطعية للمفردة أنَّها شكّلت في الحالتين مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح) (/ت ـَـ/،/د ـَـ/) في حشو التركيب اللغوي للكلمة، وهو من المقاطع العربية الشائعة الورود عند الناطق[6]، مما جاء موافقاً لحكم وجوب الإبدال بين التاء والدال؛ وذلك لقرب الصوتين في المخرج، واختلافهما في الصفة[7]، فعملية الإبدال اتمت ماعليها من التسهيل النطقي؛ وبتعليل ذلك صوتياً وفق المنظور الحديث، بمعنى أنّ أصل ازدجر(ازتجر) إذ اتصلت التاء مباشرة بصوت قريب منها مخرجاً بيد أنَّها تناقضه في الصفة، فالتاء صوت يتصف بالشدة والهمس، والزاي يتصف بأنَّهُ صوت رخو مجهور، فهما ضدان لا يجتمعان؛ لأنَّ صفتيهما على طرفي نقيض، فالبون بينهما كبير، وعند النطق بهما يسبب صعوبة بالغة بالنسبة لأعضاء النطق، نظراً لما يتطلبه النطق في مثل هذه الحالة من جهد عضلي، وهنا يتدخل قانون الجهد الأقل، أو الاقتصاد في الجهد للتخلص من هذا الثقل الناشئ عند النطق بهما، فيحدث التفاعل بين التاء والزاي فتتبادل فيما بينهما التأثير والتأثر، فيتدخل قانون الأقوى ليحسم الصراع لصالح الصوت الأقوى وهو الزاي؛ نظراً لكونها مجهورة مثلها فيسهل النطق، وبذلك تصبح الصيغة : ازتجر ← ازدجر[8].

وقرأ بعضهم (مذتكر) بالدال المشددة في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(سورة القمر:15)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾(سورة يوسف:45)، فقد قرأ (اذتكر) بالدال المشددة، و جاء أنَّ "مُدَّكِرٍ أصله :

(1) الأصوات اللغوية : 53، وينظر : مناهج البحث في اللغة : 94.
(2) المصدر نفسه : 68.
(3) ينظر : الكتاب : 4/ 436، والنشر : 1/ 203، والتصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : 44-45.
(4) ينظر : علم الأصوات العام : 115، و الباب الصرفي وصفات الأصوات : 36.
(5) ينظر : علم الأصوات العام : 123، و التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : 44-45.
(6) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(7) ينظر : القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث : 66.
(8) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 66و225.

مذتكر، أبدلوا من التاء ذالاً ليناسب الدال في النطق، ثم أدغموا الدال في الدال، وهي قراءة الناس، قال أبو حاتم: رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح، وقرأ قتادة: «مذكر» بالذال على إدغام الثاني في الأول، قال أبو حاتم: وذلك رديء ويلزمه أن يقرأ واذكر بعد أمة وتذخرون في بيوتكم"[1]، ويتضح من هذا النصّ أنَّ الذال صوت مجهور[2]، والتاء صوت مهموس[3] فأبدلت ذالاً لتشابه الدال الصوت الـ مجهور[4]، فأبدلوا من التاء الدال؛ لأنَّها من مخرجها، وهي مجهوره، لكي توافق بجهرها جهر الذال، وعند النطق بالذال فأنَّهُ "يتم من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا وكذلك التاء مخرجها من اللسان واصول الثنايا العليا مصعداً إلى جهة الحنك"[5]، فهما متقاربا المخرج، إلا أنَّهما متباينان في صفتي الجهر والهمس، فتأثرت أصوات الكلمة وتفاعلت بعضها مع بعض، هادفة إلى التخفيف من بعض القيود النطقية بتحقيق الانسجام بين الأصوات، فتأثر الصوت الثاني (المهموس) بالأول(المجهور)، "ولجأ المؤدي إلى صوت بديل (الذال) يحتفظ من المبدل منه (التاء) بصفة المخرج، ويراعي في الصفة (الجهر)"[6]، ما سبقه من صوت الذال، وهذا ما يسمى عند المحدثين بالمماثلة التقدمية[7]، وبهذا اجتمع صوتان مجهوران فأصبح : مذتكر ← مدّكر، واذتكر ←ادّكر فتحقق بهذا الإبدال، وعلى هذا النحو نتصوّر ما جرى بالكتابة المقطعية للمفردتين، على وفق الآتي:

- قبل الإبدال : **م ـُـ ذ/ ت ـَـ/ ك ـِـ/ ر ـِـ ن**، بعد الإبدال ← **م ـُـ د/ د ـَـ/ ك ـِـ/ ر ـِـ ن/** ← **ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/** وبعد الإبدال **ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**
- قبل الإبدال : **ء ـَـ ذ/ ت ـَـ/ ك ـَـ/ ر ـَـ**، بعد الإبدال ← **ء ـَـ د/ د ـَـ/ ك ـَـ/ ر ـَـ/ ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**، بعد الإبدال **ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

نلحظ أنّ النسيج المقطعي للمفردتين قبل الإبدال وبعده، تشكّل من مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) (/م ـُـ د/ ء ـَـ د/) من المقاطع المستساغة في النظام المقطعي العربي[8]، وقد وافق في استساغته لحكم الوجوب لتحقيق الإبدال[9]، الناتج من التفاعل الصوتي بين التاء والذال، ويحدث هذا التفاعل من جراء اتصال التاء مباشرة بصوت قريب منها مخرجاً، بيد أنَّهُ يناقضه صفةً، فالتاء شديدة مهموسة، والذال احتكاكية مجهورة، فحدث أنْ تبادلا فيما بينهما التأثير والتأثر، فيتدخل قانون الأقوى ليحسم الصراع

(1) المحرر الوجيز : 5/ 215.
(2) ينظر : علم الأصوات العام : 121، و مناهج البحث في اللغة: 99.
(3) ينظر : علم الأصوات العام : 115، و الأصوات اللغوية: 35.
(4) ينظر : علم الأصوات العام : 115.
(5) اللهجات العربية في التراث : 1/ 297.
(6) التعليل الصوتي : 359.
(7) ينظر : التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: 48، والأصوات اللغوية : 106.
(8) ينظر : الأصوات اللغوي : 93، وأثر القوانين الصوتية : 102، ودراسة الصوت اللغوي: 302.
(9) ينظر : شرح الملوكي : 317.

لصالح الصوت الأقوى، وهو الذال(المجهور)، فتجهر التاء بجهرها تصبح دالاً، والدال قريبة من الذال؛ وذلك لمّا فيها من صفة الجهر مثلها فيُسَهّل من ثم النطق[1].

الأداء النطقي المُعَبَّر عنه بالمقطع الصوتي وأثره في إبدال (أصوات الصفير):

أولاً : إبدال الصاد ← زاياً :

إذا كانت الصاد الساكنة وبعدها الدال في كلمة واحدة "أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت، فجعلوا الأول تابعاً للآخر، فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه وهي الزاي، لأنَّها مجهورة غير مطبقة، ولم يبدلوها زاياً خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق"[2]، وأوردَ سيبويه تفصيلاً لذلك مستعيناً بكلام العرب الفصحاء، قال : "وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة، كما جعلوا الإطباق ذاهباً في الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، وفي الفصد: الفزد، وفي أصدرت: أزدرت"[3]، ومن ثم أشار إلى العلّة المبتغاة من الإبدال مؤكداً سهولة النطق به، قائلاً : " وإنَّما دعاهم إلى أنَّ يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجهٍ واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضربٍ واحد، إذ لم يصلوا إلى الإدغام ولم يجسروا على إبدال الدال صاداً؛ لأنّها ليست بزيادة كالتاء في افتعل. والبيان عربيٌّ. فإن تحركت الصاد لم تبدل؛ لأنَّهُ قد وقع بينهما شيء فامتنع من الإبدال، إذ كان يترك الإبدال وهي ساكنة"[4]، ومن أمثلة ما أبدلت فيه الصاد زاياً قوله تعالى : ﴿حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(سورة القصص:23)، و﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾(سورة النساء:122)، فقرأ كلّ من حمزة والكسائي[5] "باشمام الصاد الزاي"[6]؛ وذلك كون ما بعدها "دال"[7]، فأبدلت الصاد زاياً بعد إنْ فقدت همسها لمجاورتها الدال المجهورة[8]، وعلى هذا النحو من إبدال الصاد زاياً نتابع ما أُجري عليها في ضوء الكتابة المقطعية قبل الإبدال وبعده، على وفق الآتي :

- قبل الإبدال : **ي ـُـ ص/ د ـِـ/ ر ـُـ/**، بعد الإبدال ← **ي ـُـ ز/ د ـِـ/ ر ـُـ/**
  ص ح ص/ص ح/ص ح/ بعد الإبدال **ص ح ص/ص ح/ص ح/**
- قبل الإبدال : **ء ـَـ ص/ د ـَـ/ ق ـُـ/**، بعد الإبدال ← **ء ـَـ ز/ د ـَـ/ ق ـُـ/**
  ص ح ص/ص ح/ص ح/ بعد الإبدال **ص ح ص/ص ح/ص ح/**

نرى أنَّ النسيج المقطعي للمفردتين، شكّل مقطعاً متوسطاً مغلقاً في الحالتين قبل الإبدال وبعده (ص ح ص) (/ي ـُـ ز/، /ء ـَـ ز/) من المقاطع الشائعة في بداية التركيب

(1) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 66.
(2) الكتاب : 4/ 477-478.
(3) المصدر نفسه : 4/ 478.
(4) الكتاب : 4/ 478.
(5) ينظر : السبعة في القراءات : 106.
(6) التيسير : 97/1.
(7) الممتع في التصريف : 1/ 274.
(8) ينظر : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 210.

اللغوي[1]، مما جاء موافقاً لحكم جواز إبدال الصاد زاياً؛ وذلك لوقوع الصاد ساكنة قبل الدال، فقلبوها زاياً صريحة واشرابها صوت الزاي[2]، وقد أدى الإبدال ما عليه من التخلص من ثقل النطق بالحرف المجهد، وإبداله بحرف أسهل نطقاً، ووضّح ذلك بشكل مقتضب الدكتور سمير شريف إستيتية بقوله : "والعملية من الناحية النطقية ليست توافقاً بين صوتين فحسب، إنها أكثر من ذلك بكثير، فهي عملية مرتبطة بميكانيكية النطق، فإنّ الوترين الصوتيين في حال نطق الأصوات المهموسة، والصاد منها، يبتعد أحدهما عن الآخر، حتى تكون المسافة بينهما كافية لمرور الهواء بحرية وطلاقة، فلا يتذبذب الوتران الصوتيان"[3]، ثم بين المعنى من حديثه هذا عندما قال: "ومعنى ذاك، أن تغير نطق الصاد ليصبح مجهورا عند مجاورته الدال في (يصدر وأصدق) إنَّما كان بسبب السرعة في عمل الوترين الصوتيين، وبسبب تغيير ديناميكية الهواء في الوضعين المختلفين الذين يتخذهما الوتران الصوتيان جهراً وهمساً"[4]، ومثَّل لهمس الصاد وجهر الدال بالمعادلة الآتية[5] :

ثانيا : إبدال السين ← صاداً :

+صفيري	+صفيري	+مجهور
+مفخم	+مفخم	+وقفي
+مهموس	+مهموس	

يسوَّغ إبدال السين صاداً، إذا وقعت قبل (غين، خاء، قاف، طاء)؛ وذلك من قبل أَنَّ السين حرف مهموس مُسْتَفِّل، وهذه الحروف مجهورة مستعلية، فكرهوا النطق من المُسْتَفِّل إلى المُسْتَعلي لثقله، فإبدلوا من السين صاداً، للتوافق الذي بينهما في صفتي الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء، فقُرِّبَ الصوت بعضه من بعض مما حقق التجانس الصوتي بينهما[6]. وهذا النوع من الإبدال ما جاء في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(سورة الفاتحة: 6) أُختلف القرّاء في قوله تعالى :﴿الصراط﴾، في السين والصاد، ففي رواية القواس وعبيد بن عقيل، عن شبل، أنَّ ابن كثير قرأ(السراط) بالسين في كل القرآن، وروى البزي وعبد الوهاب، عن ابن كثير بالصاد، وقرأ أبو عمرو بن العلاء بالسين والصاد، وقرأ الباقون(الصراط) بالصاد[7]، فالذي سوّغ الإبدال هنا، اتحادهما في المخرج "ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا"[8]. فهما صوتان

(1) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 302، وأثر القوانين الصوتية : 102.
(2) ينظر : شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 231.
(3) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية: 210-211.
(4) المصدر نفسه : 210-211.
(5) ينظر : المصدر نفسه : 259.
(6) ينظر : شرح المفصل : 5/ 414، وشرح شافية ابن الحاجب : 3/ 230.
(7) ينظر : السبعة في القراءات : 105-107، والكشف : 1/ 34، والتيسير : 18.
(8) الكتاب : 4/ 433، وينظر : المقتضب : 1/ 193.

اسنانيان لثويان[1]، بالإضافة إلى الصفة الصفيرية اللذان يتصفان بها[2]، فالوشائج الصوتية كبيرة بينهما، إذ يقول سيبويه في ذلك : "والسين كالصاد في الهمس والصفير والرخاوة، فإنما يخرج الصوت إلى مثله في كل شيء إلا الإطباق"[3]، وقد علّل مكي بن أبي طالب القيسي الإبدال بين السين والصاد بقوله : "السين حرف مهموس فيه تَسْفُّل، وبعدها حرف مُطبَق مجهور مُستعلٍ، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة، فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء في الإطباق والتصعيد ليكون عمل اللسان في الإطباق عملاً واحداً، فذلك أسهل وأخف، وعليه جمهور العرب وأكثر القرّاء. وكانت الصاد أولى بالبدل من غيرها لمؤاخاتها السين في الصفير والمخرج، فأبدل من السين حرف يؤاخيها في الصفير والمخرج، ويؤاخي الطاء في الإطباق والتصعد وهو الصاد"[4].

ومن وجهة نظر البحث يمكن القول : إنّ السين المُنْسَفّلة[5]، والطاء بعدها من حروف الاستعلاء[6]، فحروف الاستعلاء هنا تعمل على جذب السين عن انْسِفّالها إلى تعاليها، والصاد صوت مستعلٍ، وهي أُخت السين في المخرج، وعلّل ذلك ابن مجاهد (ت 324ه) بقوله : "والسين الأصل والكتاب بالصاد، وإنَّما كُتِبَتْ بالصاد ليقرّبوها من الطاء؛ لأنَّ الطاء لها تصعد في الحنك، وهي مطبقة، والسين مهموسة، وهي من حروف الصفير، فثقل عليهم أنْ يعمل اللسان منخفضاً ومستعلياً في كلمة واحدة، فقلبوا السين إلى الصاد، لأنَّها مؤاخية للطاء في الإطباق، ومناسبة للسين في الصفير، ليعمل اللسان فيها متصعداً في الحنك عملاً واحداً"[7] فالناطق لـ (السراط) يكون لسانه على النحو الآتي :

مُسْتَفّل (انحدار)+ مُسْتَعل (تصعد)

س ص

وبهذه الحالة يصعب على اللسان الانتقال من التَسَفّل إلى الاستعلاء، فيكون على هذه الشاكلة ثقيل كما بيّنا آنفاً، ونستطيع تمثيل حركة اللسان بواسطة المخطط (2) الآتي:

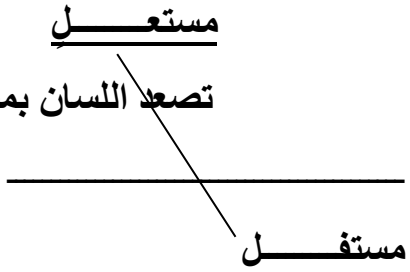

(1) ينظر : مناهج البحث في اللغة :87، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 111، والمدخل إلى علم أصوات العربية: 95، وعلم الصرف الصوتي : 87، وعلم وظائف الأصوات اللغوية الفونولوجيا : 67.
(2) ينظر: الكتاب :4/ 464، والنشر :1/ 302، والأصوات اللغوية :66.
(3) الكتاب : 4/ 481.
(4) الكشف : 1/ 34.
(5) ينظر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : 44-45، وعلم الأصوات : لبرتيل مالمبرج : 116.
(6) ينظر : المدخل إلى علم أصوات العربية : 131.
(7) السبعة في القراءات : 107، وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : 55.

انحدار اللسان لإداء السين

فلما كان يثقل النطق بالصوت المُسْتَفّل، ثم يصعد اللسان للنطق بالصوت المُسْتعل، فوقع الاختيار أنْ يكون في حال استعلاء، مطابقة لصوت الطاء المستعلٍ بعدها "ليكون تناولها من وجه واحد"[1]، ونوضح ذلك في ضوء الكتابة المقطعية لـ (الصراط)، وما جرى عليها من إبدال :

- قبل الإبدال : **ء ـَـ س/ ص ـِـ/ ر ـَـ/ ط ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**
- بعد الإبدال : **ء ـَـ ص/ ص ـِـ/ ر ـَـ/ ط ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/**

نلحظ أنَّ المفردة قبل الإبدال وبعده، لم يتغير بنسيجها المقطعي شيء، وجاءت مقاطعها الصوتية متناسبة مع الصورة المطلوبة لطبيعة المقطع الصوتي العربي، واكتسب الناطق بأدائه لحالة الإبدال الصوتي بين السين والصاد تقليلاً بالجهد العضلي المبذول في نطقهما، إذ نرى تساوى عدد المقاطع الصوتية في الحالتين(/ء ـَـ س/، /ء ـَـ ص/)، قبل الإبدال وبعده، بتشكيل مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) من المقاطع الشائعة الورود في النظام المقطعي العربي[2]، فوافق جواز الإبدال بين السين والصاد؛ وذلك لاجتماع السين والصاد في كلمة واحدة فقلبت السين صاداً وأنْ بُعدَت[3].

وبعد الوقوف على تفاصيل العمليات الإبدالية مُعززةً بالشواهد القرآنية لأصحاب القراءات، ودراستها في ضوء المقطع الصوتي العربي بالقدر الذي سُمِحَ به حجم البحث؛ نستخلص منه بعض النتائج العامة :

إنَّ العملية الإبدالية هي إحدى الظواهر اللغوية والصوتية، إذ هي إحلال صوت محل آخر بشرط وجود صلة صوتية بينهما متمثلة بالقرابة المخرجية والصفاتية، مع إبقاء الكلمة محتفظة بصوامتها، فلا فرق بين الكلمة الأصلية والكلمة الجديدة بعد الإبدال، إلا في الصامت المبدل، إلاّ أنَّها لا تعبّر عن قصد إرادي للمتكلم كما جاء به القدماء، إذ لا مجال للإرادة والقصدية هنا، وإنّما هي عملية غير إرادية مرتبطة بالتطور، والتغير اللذين يطرآن على أصوات الكلمة عبّر الزمن، فالتطور الصوتي عبر الزمن هو الكفيل لأحداث هذه العملية التي يميل إليها اللسان العربي أثناء ممارسته العملية الكلامية، وإنّ هذه العملية هدفها التقريب بين الأصوات تيسيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي، إذ إنَّ هذا التقريب الصوتي، يحدث مع توالي الزمن، وعبّر التاريخ اللغوي، نتيجة لعوامل ذاتية يمتلكها الصوت، ليؤثر في الصوت المجاور له، وبمعنى أدق أن صح التعبير هو هيمنة خصائص صوت على صوت آخر، حتى يزحزحه عن مخرجه الأصلي، ويحوله إلى صوت أقرب ما يكون منه، ليكون الجهد أقل بعمل اللسان في ضربٍ واحد، فضلاً عن عمل المقطع الصوتي العربي في عمليات الإبدال المختلفة، وما نتج عن التفاعلات الصوتية من مقاطع تسايرت مع مقتضيات البنى المقطعية العربية، تمثلت بضعف النطق

(1) المقتضب : 1/ 225.
(2) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(3) ينظر : المقتضب: 1/ 225، والأصول في النحو : 3/ 429، وشرح المفصل : 5/ 413، وشرح شافية ابن الحاجب : 3/ 230.

بمقطع الهمزة، وإبدالها بشبه حركة مماثلة لحركة ما قبلها، وبسقوطها يمد الصائت القصير الذي قبلها ليصير صائتاً طويلاً، مما يتوافر المناخ الصوتي المناسب للمؤدي من التسهيل لإجراء الإبدال، مشكّلاً بذلك مقطع موافق لجواز إبدالها وتخفيفها.

وبيّن البحث أنّهُ في حال تتابع حركتان مختلفتان، يحصل الانزلاق الحركي فتنشأ عنه شبه الحركة. إذ أنّ الهمزة تمنع من التقاء الحركتين وعند سقوطها تعمد العربية إلى تخليق وسيلة أخرى.

ولاحظ البحث أنّهُ في حال إبدال تاء الافتعال يميل المؤدي إلى أنْ يأتي بصوت مقطعي يناسب أصوات الإطباق، ليتأتى له الإبدال بسهولة ويسر بين مقاطعها الصوتية.

وتبيّن للبحث في إبدال صوت السين من صوت الصاد، أنَّهُ أدّى ما عليه من التخلص من ثقل النطق بالحرف المجهد، وإبداله بحرف أسهل نطقاً.

الباب الثاني

المقطع الصوتي وعلاقتهُ بأوجه التأثير في الصوائت دراسة في ضوء ظاهرتيّ (المدّ والقصر، والإمالة والفتح)

الفصل الأول : ظاهرة المدّ والقصر

الفصل الثاني : ظاهرة الإمالة والفتح

الفصل الأول
ظاهرة المدّ والقصر

توطئة

تُعدُّ ظاهرة المدّ والقصر من الظواهر اللغوية التي لَقِيت عناية فائقة، من قِبَل اللغويين العرب القُدماء، ولا سيّما القرّاء؛ وذلك لِمَا لهذه الظاهرة اللغوية من العلاقة بتلاوة القرآن الكريم.

إذ إنَّ مدّ الصائت الطويل (صوت المدّ) كما يرى الأصواتيون إنَّما يكون "في حروف المدّ واللين وهي الألف [التي قبلها فتحة]، والواو التي قبلها ضمة، والياء التي قبلها كسرة"[1]، وأُختلف في تسمية تلك الحروف، ما بين اللغويين القُدماء، وبين عُلماء الصوت المحدثين، فضلاً عن اتفاقهم في تحديد مصطلحها، ومدّ الصائت الطويل في هذه الأصوات، وما يتصل بها من الأصوات الصامتة اللاحقة لها جاء لأسباب، سواء أكان الصوت اللاحق همزة، أم سكون عندما يكون سببها الصوتي لفظياً، أو يمدّ الصوت لأغراض منها التعظيم، أو المبالغة للنفي، لعلل معنوية عندما يكون سببها معنوياً، فضلاً عن دراسة هذه الأسباب في ضوء المقطع الصوتي، وملاحظة تشكيلها المقطعي، ومدى تناسبه تماماً لأحكام مدّ الصائت الطويل في المفردات القرآنية التي أوردها البحث من القراءات القرآنية.

حدّ المدّ

المدّ لغةً : حدده ابن فارس بأصل واحد وهو (مَدَّ) فقال : "الْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ فِي طُولٍ، وَاتِّصَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ. تَقُولُ: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمُدُّه مَدًّا"[2].

أمّا عند ابن منظور : فالمَدُّ هو : "الجَذْب والمَطْلُ مَدَّه يَمُدُّه مَدّاً ومدَّ بِهِ فامتَدّ ومَدَّدَه فَتَمَدَّد، وتَمَدَّدناه بَيْنَنَا: مَدَدْناه. وَفُلَانٌ يُمادُّ فُلَانًا أَي يُماطِلُه ويُجاذِبه. والتَّمَدُّد: كَتَمَدُّدِ السِّقاء،

(1) الكشف : 1/ 45.
(2) معجم مقاييس اللغة : مادة (مَدَّ): 5/ 269.

وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ تَبْقَى فِيهِ سَعَةُ المَدِّ. والمادَّةُ: الزِّيَادَةُ الْمُتَّصِلَةُ. ومَدَّه فِي غَيِّه أَي أَمهلَه وطَوَّلَ لَهُ"[1]. نرى أنّ الحدّ اللغوي للمدّ جاء بمعنى الاستطالة والزيادة في الشيء.

المدّ اصطلاحاً: هو "زيادة مط في حرف المدّ على المدّ الطبيعي وهو الذي لا يقوم ذات حرف المدّ دونه"[2].

وعرّفهُ أحمد بن محمد البنّاء بقوله : "وحدّ المدّ مطلقاً طول زمان صوت الحرف فليس بحرف، ولا حركة، ولا سكون، بل هو شكل دال على صورة غيره كالغنة في الأغنِ، فهو صفة للحرف"[3].

حدّ القصر

القصر لغةً : جاء عند ابن منظور معنى القصر هو : "الحَبْسُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ، أَي مَحْبُوسَاتٌ فِي خِيَامٍ مِنَ الدُّرِّ مُخَدَّرات عَلَى أَزواجهن فِي الْجَنَّاتِ"[4]، و القصر "مصدر (قصرت) : بِمَعْنى منعت، وَمِنْه {قاصرات الطّرف} أَو بِمَعْنى حبست وَمِنْه : ﴿حور مقصورات فِي الْخيام﴾"[5].

القصر اصطلاحاً : هو "أثبات حرف المدّ من غير زيادة عليه"[6].

أحرف المدّ :

أولاً : مفهومها :

أولى القُدماء عنايتهم بهذه الأحرف (الحركات الطوال) "عناية أكبر وأعمق مما فعلوه مع الفتحة والكسرة والضمة (الحركات القصار)"[7]، وارجع المحدثون تلك العناية إلى سببين : يتمثل الأول في "أنَّ هذه الحروف لها رموز كتابية، تكون جزءاً من جسم الكلمة، ومن ثم يسهل تعرّفها والتعامل معها على وجه يعنى بحاجتها، من الاهتمام"[8]، بيّنما ارجعوا السبب الثاني لهذا الاهتمام هو "لما لاحظوه من خضوعها للتغير والتبدل من صيغة إلى أخرى"[9]، وأول من عُنِي بها الخليل بن أحمد الفراهيدي بعد إشارته إليها وتسميتها بأحرف اللين بقوله : "وأمّا الهَمْزة فَمَخْرَجُها من أقصَى الحَلْق مَهْتُوتة مضغوطَة

(1) لسان العرب : مادة (مدد) : 3/ 396، وينظر : الصحاح وتاج العربية : إسماعيل بن حماد الفارابي : مادة (مدد) 2/ 573.
(2) النشر : 1/ 313، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : 205.
(3) إتحاف فضلاء البشر : 53.
(4) لسان العرب : (قصر) : 5/ 99.
(5) الكليات : إيوب بن موسى الكفوي : 1/ 117، وينظر : التحديد : 98، وجامع البيان : 201.
(6) نهاية القول المفيد : محمد مكي نصر الجريسي 172.
(7) علم الأصوات : د. كمال بشر : 430.
(8) المصدر نفسه : 430-431.
(9) المصدر نفسه : 432.

فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحُروفِ الصَّحاح"[1]، وسماها بالأحرف الجوفية، وعلّل سبب تسميته لها بقوله : "وسُمِّيَتْ جوفاً لأنها؛ تَخْرُجُ من الجوف فلا تَقَعُ في مدرجة من مدارِج اللسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاوية في الهواء، فلم يكن لها حَيز تُنسب إليه إلا الجَوْفَ"[2]، وسار سيبويه على خطى أُستاذه الخليل في النظرة إليها متحدثاً عنها بقوله : "ومنها الهاوي وهو حرفٌ اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو؛ لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك، وهي الألف. وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها. وأخفاهن وأوسعهن مخرجاً : الألف، ثم الياء، ثم الواو"[3]، ولم يختلف أصحاب القراءات عن القُدماء في تسميتها ووصفها بالجوفية والهوائية[4].

من هنا نجد أنَّ القُدماء لم يرد عندهم مصطلح (الحركات الطويلة) بهذه التسمية الصوتية المحضة، وإنَّما وَرَدت بتسميات مختلقة مثلما تقدم عن الخليل وسيبويه، وقد عدّ ابن جني هذه الحركات أبعاض الحروف إلا أنّها أقصر منها؛ لأنَّها بعضٌ منها؛ بقوله : "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[5]، وسَمّاها في موضع آخر الحركات، إذ قال : "وإنَّما سميت هذه الأصوات الناقصة حركات؛ لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها"[6].

وقسّم الفارابي الحروف العربية على قسمين : مصوت وغير مصوت، مبيناً ذلك بقوله : "والحروف منها مصوت ومنها غير مصوت، والمصوتات منها قصيرة ومنها طويلة، والمصوتات القصيرة هي التي تسميها العرب ((الحركات))"[7].

وناقش الدكتور كمال بشر استعمال القدماء مصطلح "((المصوتات)) (أوالمصوتة) على حروف المدّ (الحركات الطويلة) وحدها، فإنَّ هذا لا ينفى سمة التأثير السمعي القوي عن الحركات القصار (الفتحة والكسرة والضمة) كما ينبئ عن ذلك بوضوح ما قرره الفارابي... واكده الدرس الصوتي الحديث"[8]، وارتضى لها تسمية الصوائت بقوله : "وأطلقنا عليها جميعاً مصطلح آخر يختلف في مبناه ويتفق في مدلوله ومعناه، هو الأصوات ((الصائتة أو الصوائت))"[9]

(1) العين : 1/ 37.
(2) المصدر نفسه : 1/ 41.
(3) الكتاب : 4/ 435-436.
(4) ينظر : النشر : 1/ 204.
(5) سر صناعة الإعراب : 1/ 33.
(6) المصدر نفسه : 1/ 42.
(7) الموسيقى الكبير : 1072.
(8) علم الأصوات : د. كمال بشر : 424.
(9) علم الأصوات : د. كمال بشر : 424.

من ذا نرى أنَّهُ لا يختلف التصوّر الصوتي الحديث عن التصوّر الصوتي القديم بالنظر إلى أحرف المدّ واللين (الحركات الطوال)، فقد أطلق عليها الدكتور إبراهيم أنيس تسمية (أصوات اللين) بقوله : "وأصوات اللين في اللغة العربية هي ما اصطلح القدماء على تسميته بالحركات من فتحة وكسرة وضمة، وكذلك ما سموه بالألف اللينة والياء اللينة والواو اللينة"[1]، وبعد أن بيّنا تسميتها قديماً وحديثاً نُعرّج على كيفية إنتاجها.

كيفية إنتاجها

عند الوقوف على آلية إنتاج هذه الحركات لابدّ لنا من تحديد مواضع النطق لها في ضوء عمل الوترين الصوتيين اللذين يمثلان المصدر الرئيس في إنتاج الحركات؛ لأنَّ "الأصوات الصائتة مجهورة"[2]، فهي "تكتسب تصويتها من اهتزاز الوترين الصوتيين معها فقط... إذ ليس معها انسداد أبداً، لا ناقص ولا كامل"[3]، إذ يرى الدكتور بسام بركة أنّها "أصوات تصدر دون إعاقةٍ لتيار النفس الخارج من الرئتين"[4]، ويرى الدكتور محمود السعران أنَّهُ عند النطق بها "يتضام الوتران الصوتيان بشكل يسمح للهواء المندفع خلالهما أن يفتحهما ويغلقهما بانتظام وبسرعة فائقة. وهذا يسمى تذبذب الوترين الصوتيين. هذه الذبذبة تحدث نغمة موسيقية تختلف ((درجة)) و((شدة)) باختلاف عدد الحركات الإيقاعية ومداها. هذه النغمة الصوتية تسمى في الاصطلاح الصوتي ((الجهر)) كما تسمى الأصوات التي تصحبها هذه النغمة ((الأصوات المجهورة)). والأصوات العربية المجهورة هي الصوائت (اي ما يسميه نحاة العربية ((الحركات))، و((حروف المدّ واللين)) مقصوداً بها الألف والواو والياء"[5].

ويعلّق الدكتور زيد خليل القرالة على قول السعران من وصفه لتضام الوترين بقوله : "وليس المقصود بتضام الأوتار الصوتية التصاقهما، بل المقصود بذلك توازي الوترين الصوتيين مع ضيق المسافة بينهما، فيعمل الهواء المندفع على ذبذبتهما حسب دفعات الهواء المنطلقة، وكيفية التحكم فيها"[6]، فهي "تنتج عن مرور الهواء في الآلة المصوَّتة مروراً حرّاً... تتميز بنطق مفتوح ولا يصادف الهواء المزفور لدى نطقها أيّ عائق يُحدث ضجة احتكاكٍ أو انفجار، والصوائت بطبيعتها مجهورة (أو مصوتة، بمعنى أنّ الوترين الصوتيين يتذبذبان لدى إخراجها)"[7]، من ذا نستشف بإنَّ هذه الأصوات تنطلق بمتسع من الهواء عند خروجها أشد اتساعاً من غيرها "ينطلق معه الهواء انطلاقاً تاماً بحيث لا يعوقه عائق في أي منطقة من مناطق النطق"[8].

(1) الأصوات اللغوية : 29، وينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : د. رمضان عبد التواب : 42.
(2) في الصوتيات العربية : د. سلوى محمد القباطي : 98.
(3) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 34.
(4) علم الأصوات العام : 77.
(5) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 137، وينظر : المدخل إلى علم الأصوات : 54.
(6) الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي) : د. زيد خليل القرالة : 12.
(7) علم الأصوات العام : 79.
(8) دروس في النظام الصوتي للغة العربية : د. عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان : 6.

وقد عرضَ ابن جني للمواضع النطقية للحركات عبرَ الأعضاء النطقية العاملة في إنتاجها، بقوله : "والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف، ثم الياء، ثم الواو... أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فنجد معها الأضراس سُفلاً وعُلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، وتفاجَّ الحنك عن ظهر اللسان، فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأما الواو فتضمّ لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج، ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت. فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر"[1]، ففي تفصيل ابن جني لأحرف المدّ واللِّين الثلاثة نجده يعلّل اختلاف أشكال الأصوات فيما بينها، تبعاً لاختلاف أشكال الفم والحلق والشفتين في إنتاج الصوائت الطويلة، ووافق المحدثون لمّا تقدم به ابن جني في عمل كلّ من اللسان، والشفتين لإنتاج هذه الصوائت بدليل قول الدكتور محمود السعران، مفصلاً دور هذه الأشكال المختلفة بقوله : "إن الصفة الأساسية المميزة للصوائت تقوم على شكل ممر الهواء المفتوح فيما فوق الحنجرة؛ فهذا الممر يكون صندوقاً رناناً يغيّر من طبيعة الصوت الناتج عن ذبذبة الوترين الصوتيين. فالأشكال المختلفة التي يتخذها هذا الممر تغيّر طبيعة الصوت على أشكال مختلفة... واللسان والشفتان هما العضوان الأساسيان اللذان لهما دخل في تغيير شكل الممر الهوائي في حالة الصوائت"[2]، وعنده فإنَّ نطق الألف، والواو "يكون الجزء الخلفي من اللسان هو صاحب الشأن الأكبر في تشكيل الممر الهوائي الخاص بكلا هذين الصوتين"[3]، أمّا في نطق الياء "فإنَّ الجزء((الأمامي)) من اللسان يرفع (في اتجاه الحنك الأعلى) إلى درجة كبيرة"[4]، و صوّر ما للشفتين من الدور الكبير الذي تلعبه في إنتاج هذه الصوائت بقوله : "وللشفتان ... دخل كبير في تكوين الأصوات الصائتة بالإضافة إلى اللسان. قد ((تنضم)) الشفتان، أو ((تكسران))، أو ((تتخذان وضعاً محايداً)). تنضم الشفتان كما يحدث في نطق ((الضمة))، والضمة الطويلة، وتكسران في نطق الكسرة، والكسرة الطويلة، وتفتحان بصورة محايدة في نطق الفتحتين"[5].

ويعلّق الدكتور غالب المطلبي على آلية إنتاج هذه الحركات ووضعها عند القُدماء والمحدثين، بقوله : "لا يمكننا أنْ نصف أصوات المدّ في العربية الموحدة وصفاً دقيقاً من قبل مواضعها التشريحية ذلك أنَّ اللغويين العرب القدامى ـ شأنهم في ذلك شأن لغوي الأمم الاخرى ـ ما كانوا ليستطيعوا أن يتبينوا المواضع الدقيقة التي يتخذها اللسان في اثناء نطق هذه الأصوات، وهو أمر ما كان للمحدثين من اللغويين والباحثين أن يتبينوه لولا التقدم العلمي التقني الذي مهد لهم أن يستعملوا تلك الأشعة التي تسمى اشعة (اكس) في تصوير حركة اللسان في أثناء نطق هذه الأصوات ومن ثم تحديد الموضع الذي يتخذه في أثناء نطق صوت مدّ بعينه"[6]، إذ جعل من حركة اللسان في أثناء نطق هذه الأصوات

(1) سر صناعة الإعراب : 1/ 21.
(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : 183.
(3) المصدر نفسه : 183.
(4) المصدر نفسه : 183.
(5) المصدر نفسه : 184.
(6) في الأصوات العربية (دراسة في أصوات المدّ) : 216.

هي "المقياس الذي تحدد بواسطته أصوات المدّ"[1]. مشيراً إلى مقياس آخر هو "حركة الشفتين"[2]، وقد قصر استعمال العربية على "درجتين من درجات الانفتاح وهما :

أ_ **درجة الضيق :** حين يكون أحد طرفي اللسان في أعلى ارتفاع يمكن أن يصل إليه في أثناء إحداث صوت المدّ من غير أنْ يحدث احتكاكاً مسموعاً، أو في ارتفاع قريب من ذلك، وهي الدرجة التي يحدث فيها صوتا الكسرة والضمة.

ب_ **درجة الاتساع :** حين يكون اللسان في حالة استواء داخل الفم في اثناء نطق صوت المدّ، وهي الدرجة التي يحدث فيها صوت الفتحة"[3].

وفضلاً عن عمل اللسان والشفتين في إنتاج هذه الأصوات فإنَّ من المحدثين من جعل لـ (اللهاة) عملاً مهماً في إنتاجها ممثلاً "بإقفال الفراغ الأنفي"[4] إذ يستمر "مرور الهواء من الفم حراً طليقاً في اثناء النطق بها، دون عائق أو مانع يقطعه أو ينحو به نحو منافذ أخرى كجانبي الفم أو الأنف"[5]، وأكدَ الدكتور بسام بركة إبعاد عمل الأنف في إنتاج هذه الصوائت (الحركات الطوال) بقوله : "هذا ويعمل التشفيه والمدّة وحدهما (دون التأنيف) كسمات مائزة في الصوائت العربية"[6].

ونتيجة لِمَا تقدم من الخصائص التي تنماز بها هذه الحركات فإنَّها تعد من "أقوى الأصوات وضوحاً في السمع most sonorious"[7]، وبين الدكتور سمير شريف إستيتية المعنى من الوضوح السمعي sonority، والذي يجعل الصوت واضحاً للسامع بقوله : "بأنَّهُ طاقة الصوت النطقية التي تجعل الصوت واضحاً للسامع، غير ملتبس بغيره من الأصوات. تتأثر هذه الطاقة إيجاباً أو سلباً بمجموعة أخرى من العوامل، منها احتكاك الهواء بجدران القنوات الصوتية، وتوقف تيار الهواء لبعض الوقت، وحجم حجرة الرنين، وتضييق هذه الحجرة أو توسيعها"[8].

فالوضوح السمعي هو : "تلك الصفة الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من طول أو نبرة"[9]، و نقلَ الدكتور رمضان عبد التواب عن دانيال جونز تعريفاً لها، بأنَّها "أصوات مجهورة يخرج الهواء عند النطق بها، على شكل مستمر من البلعوم والفم، دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية، تدخلاً يمنع خروجه، أو يسبب فيه احتكاكاً مسموعاً"[10].

(1) المصدر نفسه : 218، وينظر : علم الأصوات العام : 129.
(2) في الأصوات العربية (دراسة في أصوات المدّ) : 219
(3) المصدر نفسه : 219.
(4) أصوات اللغة : د. عبد الرحمن أيوب 158.
(5) علم الأصوات : د. كمال بشر : 217.
(6) علم الأصوات العام : 129.
(7) علم الأصوات : د. كمال بشر : 218.
(8) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 169.
(9) الأصوات اللغوية : 28.
(10) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : 91.

ثانياً : حرفا اللِّين (الواو والياء) :

أطلق سيبويه على هذين الحرفين صفة الليونة؛ وذلك "لأنّ مخرجها متسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها"[1]، وعلّل ابن دريد (ت 321ه) تسميتها بقوله : "وَإِنَّمَا سميت لينَة؛ لأنَّ الصَّوْت يَمْتَد فِيهَا"[2]، ومن القرّاء مكي القيسي من تحرى الدقة في تسميتها بحروف اللِّين عندما قال : "وإنّما سُمِّينَ بحروفِ اللّينِ؛ لأنَهنَّ يَخْرُجْنَ من اللَّفظِ في لينٍ من غيرِ كُلفةٍ على اللِّسانِ واللهواتِ... لكنَّهُما نَقَصتا عن مشابهة الألف؛ لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما؛ فنقصتا عن المدّ الذي في الألف، وبقي فيهما اللِّينُ؛ لسكونِهما؛ فَسُمِّيتا بحرفي اللِّين"[3]، ويدخل مكي القيسي المدّ في حروف اللين (الواو، والياء) "إذا أتت بعدهما همزة أو مشدد، وحرفا اللين الواو والياء الساكنتان، اللتان قبلهما فتحة نحو : ((شيء وسوء))"[4]، ويعلل إدخاله ظاهرة المدّ في حرفي اللِّين (الواو، والياء)، بقوله : "لنقص حرفي اللين، بانفتاح ما قبلهما عن حروف المدّ واللين، اللواتي حركة ما قبلهن منهن، فقوين في المدّ، لتسكنهن بكون حركة ما قبلهن منهن، وضعف حرف اللِّين في المد، لكون حركة ما قبله ليست منه"[5].

و اللغويون المُحْدثون يسمّون هذين الصوتين "أنصاف الحركات semi vowels"[6]، واشترط الدكتور سمير شريف إستيتية أنْ "يكون نصف الحركة* مسبوقاً بفتحة، ومن دون ذلك لا يوصف بأنه نصف حركة، بل يكون حركة خالصة، فالواو في (مَوْعد) نصف حركة لأنّها مسبوقة بالفتحة"[7].

وقد تقدم أنَّ صوتي اللِّين (الواو والياء) هما انصاف الحركات باعتقاد المحدثين، ومن هنا لابدّ من التعريج على ما يمكن أنْ يفرّق بين أحرف المدّ واللِّين، وأشباه أصوات اللِّين، إذ يقول الدكتور بسام بركة عند نطق الواو : "يكون اللسان تقريباً في موضع نطق الضمة /ـُـ/، أي أنَّ الجزء الخلفي من اللسان يكون لدى النطق به قريباً من الحنك اللِّين"[8]، ويرى الدكتور إبراهيم أنيس في أنَّ "الفرّق بين الواو وصوت اللين (الضمة)، هو أنَّ الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك مع الأولى ضيق، إذا مرَّ خلاله الهواء أحدث نوعاً من الحفيف"[9]، أمّا عند نطق الياء فيقول الدكتور بسام بركة متحدثاً عن موضع اللسان : "يكون اللسان تقريباً من موضع نطق الكسرة /ـِـ/، أي أنّ الجزء الأمامي

(1) الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى : د. عبد المعطي نمر موسى : 155.
(2) جمهرة اللغة : لأبي بكر بن دريد : 1/ 46.
(3) الرعاية : مكي بن أبي طالب القيسي : 65-66.
(4) الكشف : 1/ 45.
(5) المصدر نفسه : 1/ 46.
(6) علم الأصوات : كمال بشر : 168.
*نصف الحركة semivowel : ((مصطلح يطلق على الصوت الذي يكون الفرق بينه وبين الحركة فرقاً تقريبياً يتمثل برفع اللسان أو خفضه، برفع اللسان عند نطق نصف الحركة، وخفضه عند نطق الحركة)) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : د. سمير شريف إستيتية : 226.
(7) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 191.
(8) علم الأصوات العام : 138، وينظر : علم الأصوات : د. كمال بشر : 466-467.
(9) الأصوات اللغوية : 34, وينظر : الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 227.

من اللسان يكون قريباً من الحنك الصلب"[1]. فعند النطق بـ (الواو والياء) أشباه اللِّين يترتب عليه ضيق في الممر الهوائي محدثاً حفيفاً[2] من شأنه أن يؤدي إلى " قلة وضوحهما في السمع إذا قيسا بالحركات"[3].

وبعد أنْ بيّنا مواضع نطق أشباه الحركات (الواو، والياء)، وجدنا إنهما يشتركان مع الحركات المناظرة لهما بصفة الغائية أو التقريب approximation، ولدليل على ذلك، قول الدكتور سمير شريف إستيتية : "وليس غريباً بعد ذلك أنْ يوصف هذان الصوتان بأنَّهما نصفا حركتين، فإنَّ تحويل كل منهما إلى الحركة المناظرة أمر طبيعي جداً من الناحية النطقية. ولذلك فإنَّ تصوّره طبيعي جداً من الناحية المنطقية والنطقية"[4].

مما تقدم تبيّن للبحث أنَّ المواضع النطقية المستعملة في إنتاج أشباه أصوات اللين (الواو والياء)، هي نفسها المواضع المستعملة في إنتاج الحركات القصيرة (الضمة والكسرة) إلا أنَّ هناك اختلافاً طفيفاً بينهما فاللغويون المحدثون يرون أنَّ "الفرق بين حركة قصيرة وأخرى طويلة هو تقريباً مضاعفة القصيرة أو أكثر"[5].

أقسام المدّ :

المدّ قسمان : مدّ أصلي ، ومدّ فرعي.

أولاً : المدّ الأصلي : ويسمى بالمدِّ الطبيعي[6]، وهو "ما لا تقوم ذات الحرف بدونه وليس بعده همزة ولا سكون، ومقداره حركتان، ويسمى أصلياً: لأصالته بالنسبة إلى غيره من المدود... ويسمى طبيعياً... لأنَّ صاحب الطبيعة السليمة لا ينقصه عن مقداره ولا يزيده عليه"[7].

ثانياً : المدّ الفرعي : فهو " ما تقوم ذات الحرف بدونه، ويقع بعد همزة أو سكون، ويسمى فرعياً لتفرعه من الأصلي نظراً إلى تفاوت مقادير المدّ في أنواعه"[8].

أحكامه

يشتمل المدّ على ثلاثة أحكام، تتوزع على أنواعه، إذ لكل نوع منه حكم خاص به، وهذه الأحكام هي :

(1) علم الأصوات العام : 138، وينظر : علم الأصوات : د. كمال بشر : 466، وأصوات اللغة العربية : 110.
(2) ينظر : أصوات اللغة العربية : د. عبد الغفار حامد هلال : 119.
(3) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 227.
(4) المصدر نفسه : 230.
(5) التشكيل الصوتي في العربية : د. سلمان حسن العاني : 115.
(6) ينظر : التحديد : 98.
(7) العميد في علم التجويد : محمود بن علي المصري : 1/ 83، وينظر : غاية المريد في علم التجويد : عطية قابل نصر : 93.
(8) العميد في علم التجويد : 1/ 84.

الوجوب، والجواز، واللزوم[1]، "فأما الوجوب فهو خاص بالمتصل*...، وإنّما كان المتصل واجباً لوجوب مدّه زيادة عن الطبيعية"[2]، وأما الجواز فهو : "خاص بالمنفصل*، والعارض للسكون*، والبدل*،... وإنّما كان المنفصل، والعارض للسكون جائزين لجواز مدّهما وقصرهما، وإنّما كان البدل جائزاً لجواز مدّه وقصره عند ورش فقط"[3]، وأمّا اللزوم*، فهو "خاص بالمدِّ اللازم فقط...، وكان اللازم لازماً للزوم مدّه حالة واحدة وهو ست حركات"[4].

المقطع الصوتي في المدّ :

أولاً : الأسباب اللفظية :

وفيها يقوم توجهنا الصوتي المقطعي على بيان أحكام أصوات المدّ واللِّين عن طريق تحديد موقع الصوائت الطويلة (الألف، والواو، والياء) في ضوء المقطع الصوتي، فضلاً عن تحديد نوع الصامت الذي يلي أصوات المدّ واللِّين، ويستوجب في السبب اللفظي لتحقيق المدّ فيه أن يكون الصامت الذي يلي الصائت الطويل همزة، أو سكون[5]، وقد عرّج على ذلك النحاة قديماً، فضلاً عن أصحاب كتب القراءات القرآنية، فمن قول النحاة ما تحدّث عنه ابن جني، وهو أنَّ "الحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو. اعلم أنّ هذه الحروف أين وقعت وكيف وجدت بعد أن تكون سواكن يتبعن بعضهن غير مدغمات ففيها امتداد ولين؛ نحو : (قام، وسير به، وحوتٍ، وكوز، وكتاب، وسعيد، وعجوز)، إلاّ أنّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة، وهي أن تقع بعدها ـ وهي سواكن توابع لمّا هو منهن وهو الحركات من جنسهن الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أنْ يوقف عليها عند التذكر"[6]، ومن القرّاء ابن الباذش (ت 540ه) الذي رأى اتفاق القرّاء على "تمكين المدّ في حروف المدِّ واللِّين إذا أتى بعدها همزةٌ في كلمة، بأيِّ الحركات تحركت، كانت الهمزةُ متطرفةً أو متوسطة، أو

(1) ينظر : المصدر نفسه : 1/ 85.
* المتصل : ((فهو أن يقع الهمز بعد حرف المدّ في كلمة واحدة نحو جاء)) العميد في علم التجويد : 1/ 88.
(2) العميد في علم التجويد : 1/ 85.
* المنفصل : ((أن يكون حرف المدّ آخر كلمة والهمز أول كلمة أخرى)) النشر : 1/ 313.
* العارض للسكون : ((وهو أن يقع بعد حرف المدّ أو حرف اللين ساكن عارض لأجل الوقف)) غاية المريد في علم التجويد : 103.
* البدل : ((وهو أن يتقدم الهمز على حرف المدّ في كلمة وليس بعد حرف المدّ همز أو سكون)) غاية المريد في علم التجويد : 101.
(3) العميد في علم التجويد : 1/ 85.
* اللزوم : ((هو أن يأتي بعد حرف المدّ أو اللين ساكن لازم وصلاً ووقفاً)) غاية المريد في علم التجويد : 106.
(4) غاية المريد في علم التجويد : 96.
(5) ينظر : النشر : 1/ 313، والإتقان في علوم القرآن : 205، وحياة اللغة : د. حفنى ناصف : 30.
(6) الخصائص : 3/ 127.

ساكنٌ في كلمة، مشدَّداً أو غير مشدَّد"[1]، والمراد بقوله : في كلمة ما يطلق عليه بـ (المدّ المتصل)[2]. فالسبب اللفظي هو ما كان في المتصل والمنفصل، على وفق الآتي :

موقع الصائت الطويل قبل الهمزة

أولاً : المدّ المتصل :

قال أبو عمرو الداني : "فإذا أتصلنّ بهنّ في كلمة واحدة فلا خلاف بينهم في زيادة التمكين لهنّ على ما فيهنّ من المدّ الذي لا يوصل إليهنّ إلاّ به إذ هو صيغتهنّ لأجل اتصالهنّ بهنّ"[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿أُوْلَـئِكَ﴾(سورة البقرة : 5)، و﴿جَاءَ﴾(سورة النساء: 43)، و﴿شَاءَ﴾(سورة البقرة : 20)، و﴿خَائِفِينَ﴾(سورة البقرة : 114)، و﴿هَاؤُمُ﴾(سورة الحاقة :19)، و﴿السَّمَاءِ مَاءً﴾(سورة البقرة : 22)، و﴿الْقَائِمِينَ﴾(سورة الحج : 26)، و﴿بَرِيئُونَ﴾(سورة يونس:41)، و﴿نِدَاءً﴾(سورة البقرة:171)، و﴿بِالسُّوءِ﴾(سورة النساء: 14)[4]، "فقرأ ابن كثير، وإسماعيل، والمسيبي، وقالون في رواية الحلواني وإسماعيل القاضين و أبوعمرو في رواية السوسي*ويعقوب، بمدِّ حروف اللِّين هذه إذا كُنّ مع الهمزة المتوسطة، أو المتطرفة في كلمة واحدة، مدّاً وسطاً"[5]، لذا فإنَّ القرّاء قد اتفقوا على مدِّه؛ لأنَّ وجه المدّ لأجل الهمز عندهم هو: "أنَّ حرف المدّ ضعيف خفي، والهمز قوي صعب، فزيد في المدِّ، تقويتاً للضعيق، وقيل ليتمكن من النطق بالهمز على حقها"[6]، فمن الناحية الصوتية أَنَّهُ عند تحديد موقع الصائت الطويل، والصوت الصامت متمثلاً بالهمزة في المقطع الصوتي، لابدّ من معرفة طول الصائت الذي قبل الهمزة وارتباطه الوظيفي بالزمن، وبهذا يقول الدكتور سمير شريف إستيتية : "ترتبط الحركة بالزمن ارتباطاً وظيفياً، يؤدي إلى تحديد طولها"[7].

فطول الحركة هو : "المُدّة الزمنية التي يستمر فيها شكل الفراغات العليا (فراغات فوق الحنجرة) ثابتاً على حاله عند النطق بالحركة؛ ذلك أنَّ أعضاء النطق، عند النطق بالحركة، تبقى ثابتة على وضع معين، مدّة من الزمن، وبالقدر الذي يستمر فيه هذا الوضع، مع استمرار تدفق الهواء المنتج للحركة يكّون طول الحركة"[8]، ونقل الدكتور

(1) الأقناع : 285.
(2) ينظر : النشر : 313، و جامع البيان : 185، و الإتقان في علوم القرآن : 205.
(3) جامع البيان : 185.
(4) ينظر : النشر : 1/ 313، وإتحاف فضلاء البشر : 53، والإقناع : 285.
*السوسي : هو ((صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود، بن مسرح الرستبي الرقي المقرئ)) معرفة القرّاء الكبار : شمس الدين أبو عبد الله الذهبي : 1/ 115.
(5) التذكرة : 67.
(6) إتحاف فضلاء البشر : 53.
(7) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 241.
(8) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 241.

سمير شريف إستيتية ما جاء به ستيتسون Stetson إلى "أنَّ إنتاج الحركة القصيرة والطويلة، مرتبط بتوظيف كل منهما في مقطع، لا من حيث إنهما مجرد حركتين"[1].

إذ نرى موقع الهمزة في المتصل من المدِّ مع أصوات المدّ واللِّين، في قاعدة أولى لمقطع بعد مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) بصوت طويل، وبذا يتحكم نوع المقطع بطول الصائت (أصوات المدّ واللين)، فيكون طويلاً عندما يقع ضمن المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) الذي يتكون منها، ونلاحظ ما يجري على الصائت الطويل، فضلاً عن صوت الهمزة، في ضوء الكتابة المقطعية لبعض المفردات القرآنية التي أوردها البحث، ومدى تجاوب نوع المقطع المحبذ في العربية لوجوب المدّ المتصل، على وفق الآتي :

- أُوْلَـئِكَ ← **ء ـُـ / ل ـَـ/ ء ـِـ/ ك ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/**
- جَاءَ ← **ج ـَـ/ ء ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/**
- شَاءَ ← **ش ـَـ/ ء ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/**
- خَائِفِينَ ← **خ ـَـ/ ء ـِـ/ ف ـِـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ ص ح/**
- هَاؤُمْ ← **هـ ـَـ/ ء ـُـ/ م ـْـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/**

نلحظ أنّ الصائت الطويل المتمثل بالألف في المفردات القرآنية التي تم تقطيعها، تكوّن ضمن مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) مما ينبئ بطول صوت المدِّ، قبل الهمزة، في نهاية مقطع، فيهيئ للنطق بصوت الهمزة الذي يتطلب جهداً عضلياً كبيراً ضمن قاعدة لمقطع جديد لاحق لصوت المدّ في كلمة واحدة، ممثلاً مقطعاً قصيراً مفتوحاً بصامت وصائت قصير(ص ح) من المقاطع الشائعة الورود في المقاطع الصوتية العربية[2]، موافقاً لِمَا عليه المدّ من الوجوب، وعلّل الدكتور عبد الغفار هلال الإطالة هنا لصوت المدّ قبل الهمزة للمحافظة عليه؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة؛ "لأنَّ الجمع بين صوت اللِّين، والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أنْ يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً، وأنْ تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أنَّ النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللِّين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللِّين"[3].

ثانيا : المدّ المنفصل :

(1) المصدر نفسه :241.
(2) ينظر الأصوات اللغوية : 93.
(3) المصدر نفسه : 95-96.

أُختلفَ القرّاء في هذا النوع من المدِّ في زيادة التمكين لأحرف المدّ، وفي ترك الزيادة[1]، "وهو أنْ يكون حرف المدّ آخرَ كلمة، والهمزةُ أول كلمة أخرى"[2]، نحو قوله تعالى : ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾(سورة إبراهيم : 44)، و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾(سورة البقرة : 21)، و﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾(سورة الذاريات : 21)، و﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾(سورة إبراهيم : 12)، و﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(سورة البقرة : 4)، و﴿لَا إِلَى﴾(سورة النساء : 143)، و﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ﴾(سورة الأحقاف : 26)، و﴿تَرَى أَعْيُنَهُمْ﴾(سورة المائدة : 83)، و﴿يَا أُخْتَ﴾(سورة مريم : 28)، و﴿لَا يَسْتَحْيِي أَنْ﴾(سورة البقرة : 26)[3]، وقد ذكر ابن الباذش أنّهُ كان "ابن كثير وأبو عمرو وقالون يَقْصِرون حرف المدّ فلا يَزيدونه تمكيناً على ما فيه المدّ الذي لا يُوصل إليه إلا به. واختلف عن كل واحد منهم، فقال الأهوازي : المدُّ مذهب ابن مجاهد، وابن شنبوذ وابن المنادي، وقراءةُ البغداديين، واختيارُهم في قراءة أبي عمرو وغيره، والقصرُ مذهب ابن حرب المعدّل ومردويه، والحريري، والمعدَّل*، والعطَّار، وقراءةُ البصريين، واختيارُهم في قراءة أبي عمرو وغيره"[4]، ففي المفردات القرآنية التي أوردها أصحاب القراءات يمكن تحديد موقع الصائت الطويل فيها قبل الهمزة في كلمتين في ضوء الكتابة المقطعية لبعض المفردات التي احتواها البحث من القراءات القرآنية، إذ يقع صوت المدّ في نهاية مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) من الكلمة الأولى، بيّنما يقع صوت الهمز في بداية مقطع جديد من الكلمة الثانية، وعلى وفق الآتي :

• رَبَّنَا أَخِّرْنَا ← **ر ـَ ب/ ب ـَ/ ن ـَـ/ ء ـَ خ/ خ ـِ ر/ ن ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/** صائت الألف جاء في نهاية المقطع من الكلمة الأولى /ن ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد بداية الكلمة الثانية /ء ـَ خ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص).

• يَا أَيُّهَا ← **ي ـَـ/ ء ـَ ي/ ي ـُ/ هـ ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/** صائت الألف جاء في نهاية المقطع من الكلمة الأولى /ي ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد من الكلمة الثانية /ءـَ ي/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) .

---

(1) ينظر : جامع البيان : 186.
(2) الأقناع : 287.
(3) ينظر : النشر : 1/ 313، وإتحاف فضلاء البشر : 54، وجامع البيان : 66.
*المعدّل: ((أحمد بن حرب بن غيلان أبو جعفر المعدل البصري مقري معروف، روى القراءة عرضًا عن الدوري وأبي أيوب الخياط وأبي حاتم، روى القراءة عنه عرضًا مدين بن شعيب وأبو العباس المطوعي وابن خليع، قال الخزاعي أن المطعي قرأ عليه سنة ثلاثمائة... وقال الحافظ ابن زبر في وفياته توفي أحمد بن حرب سنة إحدى وثلاثمائة)) غاية النهاية : شمس الدين ابن الجزري : 1/ 45.
(4) الأقناع : 287، وينظر : جامع البيان : 186.

• وَمَا لَنَا أَلَّا ← **ل ـَـ/ ن ـَـ/ ء ـَـ ل/ ل ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/** صائت الألف جاء في نهاية المقطع من الكلمة الأولى /ن ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد من الكلمة الثانية /ء ـَـ ل/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص).

• بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ← **ب ـِـ/ م ـَـ/ ء ـُـ ن/ ز ـِـ/ ل ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/** صائت الألف جاء في نهاية المقطع من الكلمة الأولى /م ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد من الكلمة الثانية /ءـَـ ن/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص).

• لَا إِلَى ← **ل ـَـ/ ء ـِـ/ ل ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ح/** صائت الألف جاء في نهاية المقطع من الكلمة الأولى /ل ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد من الكلمة الثانية /ء ـِـ/ مشكّلاً مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ ← **ف ـِـ/ م ـَـ/ ء ـِـ ن/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح ص/** صائت الألف جاء في المقطع الثاني من الكلمة الأولى /م ـَـ/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، والهمز في مقطع جديد من الكلمة الثانية /ءـِـ ن/ مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص).

نلحظ أنَّ موقع الصائت الطويل (الألف) في نهاية مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) من الكلمة الأولى، في حين أستهل الهمز في بداية مقطع جديد من الكلمة الثانية، وقد غلب على الهمز المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) فيما قطّع من المفردات القرآنية، إلاّ مفردة واحدة قد جاءت في مقطع قصير مفتوح (ص ح) بصامت وصائت قصير، وقد توافقت هذه المقاطع القصيرة المحبذة الوجود في التركيب اللغوي[1] مع جواز المدّ؛ ذلك لاختلاف القرّاء فيه[2]، وقد اختلفت وجهات النظر الصوتية قديماً عند النحاة، وأصحاب القراءات، فضلاً عن عُلماء الأصوات المحدثين، حول بيان ازدياد طول الحركة الطويلة المتمثلة بأصوات المدّ (الألف، والواو، والياء) المتبوعة بهمزة، في كلمة واحدة، أو في كلمتين، ومن النحاة ابن جني الذي أشار إلى تمادي كمية الحركات الطويلة عندما تكون متبوعة بهمزة، بقوله : "إلاّ أنَّ الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة. وهي أن تقع بعدها - وهي سواكن توابع لما هو منهن وهو الحركات من جنسهن- الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذكر. فالهمزة نحو : كساء ورداء، وخطيئة ورزيئة، ومقروءة، ومخبوءة. وإنما تمكن المدّ فيهن مع الهمز أن الهمزة حرف نأى نشؤه

(1) ينظر : الأصوات اللغوية : 93
(2) ينظر : تنبيه الغافلين وارشاد الجاهلين : أبو الحسن علي بن محمد الصفاقسي : 108، وغاية المريد في علم التجويد: 98.

وتراخى مخرجه فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت فوفين له، وزدن في بيانه"[1].

نجد أنَّ رأي ابن جني هنا تضمن الكلام عن مخرج الهمزة ومنطقة إنتاج الحركات، فعند النطق بالحركات الطويلة متبوعة بهمزة داخل بنية الكلمة إذ هي أصوات مجهورة "بمعنى أنَّ الوترين الصوتيين يتذبذبان لدى إخراجها"[2]، أما صوت الهمزة فهي "صوت حنجري...لا هو بالمهموس ولا بالمجهور"[3]، ووافقه الرأي نفسه أبو عمرو الداني[4].

وجعل مكي القيسي الإطالة من أجل أصوات المدّ حفاظاً عليها من الخفاء بقوله : "إنَّ هذه الحروف حروف خفية، والهمزة حرف جلد بعيد المخرج، صعب في اللفظ، فلما لاصقت حرفاً خفياً، خيف عليه أن يزداد، بملاصقة الهمزة له، خفاءً، فبين بالمدِّ ليظهر وكان بيانه بالمدِّ أولى؛ لأنه يخرج من مخرجه بمدِّ، فبيّن بما هو منه"[5]، في حين نجد عبد الوهاب القرطبي قد جمع الإطالة للصائت المتقدم (صوت المدّ) والصامت اللاحق (صوت الهمز)، بقوله : "إنّ حروف المدّ في غاية الخفاء والخفة، والهمزة في غاية الظهور والثقل، فهما ضدان، فجاء المدّ مقرباً لهذه الحروف ومظهراً لخفائها، ليحصل هناك مناسبة ما تحصَّن الهمزة وتحرسها، ولولا ذلك لم يؤمن من أن يغلب خفاؤها على الهمزة فتضعف وتتلاشى"[6]؛ ويعلّل مظهر كلامه بقول : "إنَّ هذه الحروف إنّما مدّت لئلا يكون اللسان منتقلاً من الأخف إلى الأثقل دفعة فلا يتحقق مخرج الهمزة فقويت بالمدِّ إرادة لبيان الهمزة وقصداً لتحقيق مخرجها وتوخي تمكن النطق بها"[7].

أمّا في المنظور الصوتي الحديث، فإنَّ علماء الأصوات أيضاً قد اختلفت عندهم الرؤى، فبعضٌ منهم جاء موافقاً لرأي القدماء، ومنهم الدكتور سمير شريف إستيتية عندما قال : "ويزيد طول الحركة إذا كان الصامت الذي يليها مما يحتاج إلى جهد عضلي متميز tense عند إنتاجه"[8]، فطابق قوله لما جاء عليه بعض القدماء من أنَّ الإطالة لأجل صوت المدّ، والبعض الأخر يتفق في أنَّ الإطالة لأجل الهمزة ، وهذا واضح في رؤية الدكتورة مي الجبوري[9]، وأشار الدكتور إبراهيم أنيس إلى تلك الإطالة جامعاً بين أنَّ تكون الإطالة لصوت المدّ وصوت الهمزة التابع لها بقوله : "أما السر في هذه الإطالة فهو ــ كما يبدو لي ــ الحرص على صوت اللِّين وطوله؛ لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام؛ لأنَّ الجمع بين صوت اللِّين والهمزة كالجمع بين متناقضين، إذ الأول يستلزم أنْ يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً وأنْ تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه

(1) الخصائص : 3/ 127.
(2) علم الأصوات العام : 79.
(3) علم الأصوات : د. كمال بشر : 288.
(4) ينظر : جامع البيان : 186.
(5) الكشف : 1/ 46، وينظر : النشر : 1/ 313-314.
(6) الموضح في التجويد : عبد الوهاب القرطبي : 128.
(7) المصدر نفسه : 129.
(8) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 260.
(9) ينظر : القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 140-141.

انفراجها فجأة. فإطالة صوت اللِّين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير، وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين"[1].

وعدّ الدكتور زيد خليل القرالة هذه الإشارة التفاتة علمية دقيقة معلّقاً بقوله : "بما أنَّ منطقة الحركات تقع في الفم، ومصدرها من الأوتار الصوتية، فإنَّ إنهاء نطقها يحتاج لوقف الأوتار الصوتية عن الذبذبة، والأوتار الصوتية في هذه الحالة تتهيأ لإنهاء نطق الحركة والانتقال إلى وضعية معاكسة تماماً لوضعيتها الحالية؛ حيث تنتقل من انفراج يؤدي إلى الجهر في نطق الحركات إلى إغلاق كلي يمنع مرور الهواء والعضو النطقي هنا لا يعمل عملين في وقت واحد، بل لابدّ من إنهاء مرحلة لتبدأ الأخرى، ولطبيعة هذا التباين بين أصوات الحركات والهمزة من حيث منطقة كل منها، والجهر والهمس، ووضعية الأوتار الصوتية عند إنتاج الحركات، ووضعيتها عند إنتاج الهمزة، كان لابدّ من زيادة كمية الحركات، وتماديها عند التحول لنطق الهمزة؛ وذلك لما للهمزة من خصوصية صوتية"[2].

موقع الصائت الطويل قبل السكون

أولاً : قبل الصوت المدغم اللازم :

عند التقاء الصائت الطويل مع الصوت المدغم الساكن بعده فإنهما يشكلان مقطعاً طويلاً مغلقاً، في حشو التركيب اللغوي (صامت + صائت طويل + صامت)، وهو من المقاطع التي تفرّ منها العربية[3]، ولذا نجد ابن جني يعلّل سبب التقاء أصوات المدّ واللين مع الصوت المشدد المدغم بعدها، والذي ينشأ عنه التقاء الساكنين في حشو الكلام، قائلاً: "وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن -كما ترى- سواكن وأول المثلين مع التشديد ساكن فيجفو عليهم أن يتلقى الساكنان حشوا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها إذا لم يجدوا عليه تطرقاً، ولا بالاستراحة إليه تعلقًا، وذلك نحو شابة، ودابة"[4]، وكذا علّل ابن يعيش التقاء الساكنين في مقطع واحد في حشو الكلمة بقوله : "والشرطان المرعيّان في اجتماع ساكنين أن يكون الساكن الأوّل حرفَ مدّ ولين، والثاني مدّغمًا"[5].

ووجه المدّ للصوت المدغم الساكن عند مكي بن أبي طالب القيسي، فكأنه "ليقوم المدّ مقام الحركة"[6].

(1) الأصوات اللغوية : 85-86.
(2) الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي) : 58-57.
(3) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 106.
(4) الخصائص : 3/ 128.
(5) شرح المفصل : 5/ 287.
(6) الكشف : 1/ 55.

ومن الشواهد القرآنية التي أوردها أصحاب القراءات في كتبهم، نحو قوله تعالى : ﴿الضَّالِّين﴾(سورة الفاتحة : 7)، و﴿حَافِّينَ﴾(سورة الزمر : 75)، و﴿دَابَّةٍ﴾(سورة البقرة : 164)، و﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾(سورة الأنعام : 8)، و﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾(سورة الحشر : 4)، و﴿الطَّامَّةُ﴾(سورة النازعات : 34)، و﴿الْحَاقَّةُ﴾(سورة الحاقة : 1)(1)، ولزيادة تمكين المدّ فيه يقول أبو عمرو الداني : "إذا وقع بعد حروف المدِّ واللِّين الثلاثة حرف ساكن يدغم في كلمة، فلا خلاف في تمكينهن زيادة على ما فيهن من المدِّ الذي لا يوصل إليهن إلا به من غير إفراط التمييز الساكنان بذلك يلتقيان، إذ المدِّ عوض من الحركة"(2).

إذ يرى عبد الوهاب القرطبي وجوب المدّ فيه للفرق بين الساكنين لمّا التقيا؛ "لأنَّ الممدود نظير المتحرك، من حيث إنَّ زمان النطق بالحرف الممدود أطول من زمان النطق بغيره، كما أنَّ زمان النطق بالحرف المتحرك أطول من زمان النطق بالحرف الساكن، فصار المدّ في كونهِ فاصلاً كالحركة"(3)، ولهذا "أجمع القرّاء على مدِّه قدراً واحداً مشبعاً من غير إفراط"(4).

وعلّل الدكتور إبراهيم أنيس سبب إطالة صوت المدّ(الألف، والواو، والياء) قبل الصوت المدغم، ونشوء النوع الرابع والخامس من المقاطع الصوتية العربية (ص ح ح ص)، و(ص ح ص ص) حال النطق بهما، وحرصاً على أصوات المدِّ والإبقاء على ما فيه من طول لئلا يميلوا إلى تقصيره، إذ يقول : "إنَّ طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللِّين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان. فحرصاً على صوت اللِّين، وإبقاء على ما فيه من طول، بولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديماً وحديثاً، من ميل صوت اللِّين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان"(5)، ولذا جاز وقوع المقطع المديد في الدرج من الكلام؛ وذلك "إذا أُدغمت قاعدته الثانية في قاعدة المقطع التالي"(6). فالكتابة المقطعية لبعض المفردات القرآنية التي استشهد بها أصحاب القراءات في كتبهم تُبيّن ذلك بوضوح، على وفق الآتي :

• الضَّالِّين ← **ء ـَـ ض/ ض ـَـ ل/ ل ـِـ ن/** ← **ص ح ص/ص ح ح ص/ص ح ص/ /ض ـَـ ل/** ← مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) وقاعدته الغالقة (اللام) مدغمة بقاعدة المقطع الذي يليه (اللام) الثانية.

• حَافِّينَ ← **ح ـَـ ف/ ف ـِـ/ ن ـَـ/** ← **ص ح ح ص/ص ح ح/ص ح/ /ح ـَـ ف/** ← مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) وقاعدته الغالقة (الفاء) مدغمة بقاعدة المقطع الذي يليه (الفاء) الثانية.

(1) ينظر : جامع البيان : 203، والنشر : 1/ 313، والأقناع : 285.
(2) جامع البيان : 203، وينظر : الأقناع : 285.
(3) الموضح في التجويد : 129.
(4) إتحاف فضلاء البشر : 58.
(5) الأصوات اللغوية : 86، وينظر : أصوات اللغة العربية : 96 .
(6) المقطع الصوتي في العربية : 96.

• دَابَّةٍ ← **د ـَـ ب/ ب ـَـ/ ت ـِـ ن/ ← ص ح ح ص/ص ح/ص ح ص/ /د ـَـ ب/ ←** مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) وقاعدته الغالقة (الباء) مدغمة بقاعدة المقطع الذي يليه (الباء) الثانية.

• أَتُحَاجُّونِّي ← **ء ـَـ/ ت ـُـ/ ح ـَـ ج/ ج ـُـ ن/ ن ـِـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ح ص/ص ح ح ص/ص ح ح/ /ح ـَـ ج/** ← مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) وقاعدته الغالقة (الجيم) مدغمة بقاعدة المقطع الذي يليه (الجيم) الثانية.

• يُشَاقِّ ← **ي ـُـ/ ش ـَـ ق/ ق ـِـ/ ← ص ح/ص ح ح ص/ص ح/ /ش ـَـ ق/ ←** مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) وقاعدته الغالقة (القاف) مدغمة بقاعدة المقطع الذي يليه (القاف) الثانية.

في ضوء الكتابة المقطعية للمفردات القرآنية تبيّن للبحث أنَّهُ وقع الصائت المطول في بعض المفردات القرآنية وسطاً والبعض الأخر في بداية التركيب اللغوي، وكلاً منها انتهى مقطعه بصامت مدغم، شكّلت قاعدته الأولى صوتاً ساكناً، مكوّنةً مع الصائت الطويل مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص)، و كل ما ذكرناه من المقاطع الصوتية التي شكّل فيها الصائت الطويل المتبوع بصامت مدغم مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص)، قد جوّز وقوعه في الدّرج من الكلام، وقد عززَ جواز وقوعه هذا هو أنَّ القاعدة الأولى من المقطع الصامت المدغم الذي يتميز بتشديد الصوت تماثلت مع القاعدة النهائية لمقطع الصائت الطويل مكّوناً مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص) ، فالتشديد الذي في الصوت المدغم هو الذي سوّغ وجود هذا المقطع في الدرج من الكلام، وبيَّن سيبويه معنى التشديد عندما عبّر عنه بإدخال الجزأين الأول في الثاني، إذ يقول : "اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه"[1]، وابن جني يقول : "الحرف لما كان مدغمًا خفى, فنبا اللسان عنه وعن الآخر بعده نبوة واحدة, فجريا لذلك مجرى الحرف الواحد"[2]، و نرى أنَّهُ لا شكَّ أنَّ إدغام الحرفين الأول في الثاني يستلزم عند النطق بهما وقتاً يكون بمثابة وقيفة عند الناطق، فكأنَّها استراحة للسان ومن ثمّ التهيؤ للنطق بالمقطع التالي، مع احتمال ثقل النطق بالمقطع المديد، وجعل الدكتور رمضان عبد التواب زمن النطق بالصوت المشدد أطول من زمن النطق بالصوت الواحد[3].

والحقيقة أنَّ إطالة صوت المدّ مع الصوت المدغم في مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص)، يكون على عكس حالته التي يكون فيها وهو بتقصير الطويل إلى نصفه[4]، وهو الذي يشكّل القاعدة النهائية مع القاعدة التالية له، وهذا من شأنه أنَّ يؤكد ثقل هذا المقطع ونفور العربية منه عندما يأتي في درج الكلام، وعنه يقول الدكتور سمير شريف إستيتية : "نجد الحركة (الصائت) التي عقب الصامت، والتي ليست متبوعة بصامت في نفس

(1) الكتاب : 4/ 437.
(2) الخصائص : 1/ 93.
(3) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : 99.
(4) ينظر : الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المدّ) : 223.

المقطع، أطول من الحركة التي بعدها صامت في مقطع واحد"[1]، فإنَّ العُلماء القُدماء، وأصحاب القراءات، وعُلماء الصوت المحدثين، سوّغوا إطالتها في داخل المقطع درجاً لتماديها، وهذا من شأنه أنَّ يعزز قبولها في درج الكلام، يقول سيبويه : "وإذا التقى الحرفان المثلان اللذان هما سواءٌ متحركين، وقبل الأول حرف مدٍ، فإن الإدغام حسنٌ؛ لأنَّ حرف المدّ بمنزلة متحركٍ في الإدغام"[2]، وأكد ابن الجزري على ذلك عندما جعل الصائت الطويل المتبوع بمدغم كالمتحرك بقوله : "ووجه المدّ الساكن المتمكن من الجمع بينهما فكأنه قام مقام حركة"[3].

ومن منظور التصوّر الصوتي الحديث، عزا الدكتور زيد خليل القرالة زيادة كمية الحركات إلى الوضعية التي تأخذها أعضاء النطق عند نطق المضعّف من الأصوات، بقوله : "وقد تعود العلّة في زيادة كمية الحركات في هذه الحالة إلى الوضعية التي تأخذها أعضاء النطق عند نطق المضعّف، حيث تتريث الأعضاء النطقية في إنتاجها للمضعّف، ومن هنا تتأثر الحركة السابقة بهذا التريث فتزداد كميتها مماثلة للصوت اللاحق من حيث الكمية"[4]، ومن ذا تبين للبحث أنَّ موقع الصائت الطويل والصوت المدغم اللازم، شكّلا مقطعاً طويلاً مغلقاً من المقاطع التي تنفرّ منها العربية إلاّ أنَّ تأتي في الوقف[5]، غير أنَّهُ جاء موافقاً لوجوب المدّ فيه ؛ لما قدمه العُلماء القُدماء وأصحاب القراءات من العلل التي توجبه المذكورة آنفاً.

ثانيا : قبل الصوت الساكن العارض :

وحالة المدّ عند الساكن العارض، هي أمّا أنْ تكون للساكن المدغم، أو الساكن غير المدغم[6]، وبهذه الحالة فإنَّ الموقع الذي تتخذه إطالة أصوات المدّ (الألف، والواو، والياء)، هو مقطعٌ طويلٌ مغلقٌ (ص ح ح ص) من المقاطع التي تنفر منها العربية إلاّ في حالة الوقف[7]، فإنَّ هناك ما يسوّغ جواز وقوعها عند إطالة هذه الصوائت التي يميل العربي إلى التخلص منها بتقصير الصائت الطويل[8]، إلاّ أنَّ القرّاء وضعوا مسوّغات لإطالتها حتى لا يلجؤوا إلى التخلص منها بالتقصير، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

أ _ **الساكن المدغم :** عرضَ أصحاب القراءات لهذا النوع من إطالة أصوات المدّ واللِّين بعض الشواهد القرآنية منها قوله تعالى : ﴿قَالَ لَهُمْ﴾(سورة آل عمران : 173)، و﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾(سورة غافر : 60)، و﴿يَقُولَ لَهُ﴾(سورة يس : 82)، و﴿فِيهِ هُدًى﴾(سورة البقرة : 2)، و﴿يُرِيدُ

(1) الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : 306.
(2) الكتاب : 4/ 437.
(3) النشر : 1/ 314.
(4) الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي) : 55.
(5) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، وأثر القوانين الصوتية : 114.
(6) ينظر : النشر : 1/ 314، وإتحاف فضلاء البشر : 58.
(7) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.
(8) ينظر : الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المدّ) : 223.

ظُلْمًا﴾(سورة آل عمران :108)، و﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾(سورة المؤمنون : 101)(1)، وما أشبهه، ففي هذه المفردات القرآنية يمكن الإشارة إلى تشكيل صوت المدِّ واللِّين في حالة الإطالة مع الصوت المدغم اللاحق له مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص)، من المقاطع التي يفترض أنْ تقصّر(2)، لكن هناك مسوّغات صوتية افترضها القرّاء بإطالة صوت المدّ فيها لئلا يميلوا إلى تقصيرها، ولبيان مدّ الصائت الطويل المتبوع بمدغم في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية، على وفق الآتي:

- قَالَ لَهُمْ ← **ق ـَـ ل/ ل ـَـ/ هـ ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**
- قَالَ رَبُّكُمْ ← **ق ـَـ ل/ ر ـَـ ب/ ب ـُـ/ ك ـُـ/ م ـُـ/ ← ص ح ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح/**
- يَقُولَ لَهُ ← **ي ـَـ/ ق ـُـ ل/ ل ـَـ/ هـ ـُـ/ ← ص ح/ص ح ح ص/ص ح/ص ح/**
- فِيهِ هُدًى ← **ف ـِـ هـ/ هـ ـُـ/ د ـَـ ن/ ← ص ح ح ص/ص ح/ص ح ص/**
- يُرِيدُ ظُلْمًا ← **ي ـُـ/ رِـ د/ ظ ـُـ ل/ م ـَـ ن/ ← ص ح/ص ح ح ص/ص ح ص/ص ح ص/**

نلحظ أنّهُ وقع الصائت الطويل مع الصوت الساكن المدغم في مقطع طويل مغلق (ص ح ح ص) موافقاً لِمَا عليه المدِّ من الجواز في المقاطع جميعها التي وقعت وسطاً، أو في بداية التركيب اللغوي. إذ إنَّ السكون الذي في الإدغام قد وضع الصائت الطويل في مقطع طويل مغلق، وهو من المقاطع المستكرهة في العربية؛ لأنَّ "السكون بعد مصوت طويل يندفع فيه الهواء المؤدي إلى إطالة الصوت يستلزم جهداً أكبر لإيقافه ليظهر السكون في النطق. فيميل الناطق إلى تقليل اندفاع الهواء فيخفى صوت المدِّ عند الإدغام"(3)، وهذا يعد من المسوّغات الصوتية التي مَدَّ القُرّاء فيها صوت المدّ المتبوع بمدغم؛ لأنَّ في الإدغام يرتفع الصوت عند النطق بالمقطع المدغم لأجل السكون وإبراز هذا المقطع بالنسبة للمقاطع المجاورة الأخرى؛ لأنَّ الإدغام شكّل هنا مقطعاً منبوراً*(4)، "فعند النطق بمقطع منبور، نلحظ أنَّ جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط، إذ تنشط عضلات الرئتين نشاطاً كبيراً، كما تقوى حركات الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء، فتعظم لذلك سعة الذبذبات"(5)، ففي المقطع المنبور يتم "تغير في قوة المقطع المعنيّ و/أو ارتفاعه، و/ أو مدّته...، بحيث يصبح عالياً

(1) ينظر : النشر : 1/ 314، وإتحاف فضلاء البشر : 58.
(2) ينظر : في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المدّ) : 223.
(3) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 141.
*النبر : هو ((الضغط على أحد المقاطع وإبرازه بالنسبة للمقاطع الأخرى المجاورة له والتي يكون معها ما يسمى ((الوحدة النبرية)) (stress. accent)) علم الأصوات العام : 181.
(4) ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : 212، وعلم الأصوات العام : 101.
(5) الأصوات اللغوية : 97.

واضحاً في السمع"[1]، ولهذا عَمَدَ القرّاء مدّ الصائت الطويل المتبوع بمدغم، حتى لا يميلوا إلى تقصيره ؛ لأنَّ وجه المدّ عندهم كأنَّه "قام مقام حركة"[2].

ب _ الساكن غير المدغم (ما سكّن للوقف*) :

وحالة المدّ فيه هي إنْ تقع "حروف المدِّ واللِّين الثلاثة قبل أواخر الكلم الموقوف عليهنَّ"[3]، نحو قوله تعالى : ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾(سورة الرعد : 30)، و﴿مَتَابِ﴾(سورة الرعد : 30)، و﴿الْعِبَادِ﴾(سورة يس : 30)، و﴿الْحِسَابِ﴾(سورة البقرة : 202)، و﴿نَسْتَعِينُ﴾(سورة الفاتحة : 5)، و﴿يُوقِنُونَ﴾(سورة البقرة : 4)، و﴿يَعْلَمُونَ﴾(سورة البقرة : 13)، و﴿الْغَاوُونَ﴾(سورة الشعراء : 94)، و﴿مُرِيبٍ﴾(سورة هود : 62)، و﴿صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾(سورة النمل: 19)(4)، وما أشبهه، إذ أختلف القرّاء في مدِّ الصائت الطويل قبل الصوت الموقوف عليه، قال أبو عمرو الداني : "فأهل الأداء مختلفون في زيادة التمكين لحرف المدّ في ذلك، فمنهم من يزيد في تمكينه وإشباعه من أجل الساكنين، ليتميز بذلك، وكون ما سكّن للوقف كاللازم، وهم الآخذون بالتحقيق، ومنهم من لا يبالغ في إشباعه، وهم الآخذون بالتوسط وتدوير القراءة، وعلى ذلك ابن مجاهد وعامة أصحابه، ومنهم من يُمكّنْ مدَّهُ ولا يُشبعهُ زيادةً على الصيغة؛ لأنَّ سكون مابعده للوقف عارض؛ ولأنَّ الوقف مما يختصُّ بالجمع بين الساكنين، وهم الآخذون بالحدر"[5]، فيمدّ الناطق الصائت الطويل قبل تسكينه للصوت الموقوف عليه، فوقع صوت المدّ مع الصوت المسكّن سكوناً عارضاً للوقف في مقطع طويل مغلق، ولبيان ذلك نوضحه في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض المفردات القرآنية التي احتواها البحث بشأن هذا النوع من المدِّ في حالة الوصل، وفي حالة القراءة بالوقف، على وفق الآتي :

• بِالرَّحْمَنِ : في حالة الوصل ← **ب ـَـ ر/ ر ـَـ ح/ م ـَـ/ ن ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وفي حالة الوقف ← **ب ـَـ ر/ ر ـَـ ح/ م ـَـ ن/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح ص/**

• مَتَابِ : في حالة الوصل ← **م ـَـ/ ت ـَـ/ ب ـِـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/** وفي حالة الوقف ← **م ـَـ/ ت ـَـ ب/ ← ص ح/ص ح ح ص/**

• الْعِبَادِ : في حالة الوصل ← **ء ـَـ ل/ ع ـِـ/ ب ـَـ/ د ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/** وفي حالة الوقف ← **ء ـَـ ل/ ع ـِـ/ ب ـَـ د/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/**

(1) علم الأصوات العام : 101.
(2) النشر : 1/ 314.
*الوقف : هو ((انقطاع في السلسلة الكلاميّة أو صمتٌ، يقع في نهاية المجموعة النفسية ويسبقه انخفاضٌ وتغيرٌ هابط في التنغيم الصوتي PAUSE)) علم الأصوات العام : 182.
(3) جامع البيان : 204.
(4) ينظر : المصدر نفسه : 204، والنشر : 1/ 314، والإتقان في علوم القرآن : 205.
(5) التحديد : 172، وينظر : جامع البيان : 204.

• الْحِسَابِ : في حالة الوصل ← **ء ـَـ ل/ ح ـِـ/ س ـَـ/ ب ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/** وفي حالة الوقف ← **ء ـَـ ل/ ح ـِـ/ س ـَـ ب/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/**

• نَسْتَعِينُ : في حالة الوصل ← **ن ـَـ س/ ت ـَـ/ ع ـِـ/ ن ـُـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/** وفي حالة الوقف ← **ن ـَـ س/ ت ـَـ/ ع ـِـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح ص/**

تبيّن للبحث في الشواهد المذكورة آنفاً إنَّهُ عند إطالة صوت المدّ ذي المقطع المفتوح (ص ح ح)، والذي يتميز بالوضوح السمعي[1]، حدث الوقف على الصوت اللاحق له أنْ شكّل معه قاعدة مغلقة فتكّون مع المقطع السابق مقطعاً طويلاً مغلقاً بصامت في العربية (ص ح ح ص)، وهو من مستكرهات العربية إلاّ أنْ يأتي في حالة الوقف[2]، مما جاء موافقاً لجواز إطالة صوت المدّ قبل أواخر الكلم الموقوف عليهنّ[3]، ومن ذا نرى أنَّ النطق بالصائت الطويل يمتدّ الهواء المزفور دون عائق يعترضه، فيتذبذب الوتران الصوتيان لدى النطق بها فيرتفع الصوت بها لما تتصف به من الجهر[4]، بعدها ينخفض النطق بالصائت الطويل لما تتميز به أصوات المدّ واللين من صفة الخفاء[5]؛ وذلك بتقليل الهواء المزفور لنطقه تمهيداً للوقف على الصوت الصامت.

ثانياً : الأسباب المعنوية :

فيما تقدم قد فصّل البحث القول في السبب اللفظي وكيفية إطالة صوت المدّ فيه، وموقعه المقطعي بالنسبة للصوت اللاحق له. أمّا السبب المعنوي والذي يعبّر عن علة معنوية، فوردت له إشارات عند القُدماء من النحاة، إذ نجد سيبويه يتحدث عن أحد أغراضه وهو التذكر قائلاً : "ويقول الرجل إذا تذكر ولم يرد أن يقطع كلامه: (قالا): فيمدّ قال؛ (ويقولوا)، فيمدّ يقول"[6]، فقوله يعبّر عن مدِّ الصائت الطويل لغرض التذكر، ويؤكد على هذا الغرض في معرض حديثه عن الحروف الممطولة، إذ يقول : "والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة. وهي الألف والياء والواو... يوقف عليها عند التذكر"[7]، وإضافة إلى غرض التذكر تحدّث عن غرضٍ آخر هو غرض الندبة إذ جمع هذين الغرضين بمعنى، "قوة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضعين"[8]. أمّا أصحاب كتب القراءات فقد ورد عندهم بشكل واضح، لكنْ بنسبة تقل عن السبب اللفظي إذ جاء عندهم لأغراض منها : المبالغة للنفي والتبرئة، ولغرض التعظيم، قال ابن الجزري

(1) ينظر : علم الأصوات : د. كمال بشر : 218.
(2) ينظر : الأصوات اللغوية : 93، ودراسة الصوت اللغوي : 302.
(3) ينظر : نهاية القول المفيد : 174.
(4) ينظر : علم الأصوات العام : 79.
(5) ينظر : شرح المفصل : 5/ 315.
(6) الكتاب : 4/ 216
(7) الخصائص : 3/ 127.
(8) المصدر نفسه : 3/ 131.

عنه : "فهو قصد المبالغة في النفي وهو سبب قوي مقصور عند العرب وإنْ كان أضعف من السبب اللفظي عند القرّاء"[1].

أغراضه :

إنَّ في إطالة أصوات المدّ في المفردات القرآنية لسبب معنوي، ينتج عنه عدة أغراض، ولابدّ من هذه الإطالة لمعرفة موقع الصائت الطويل للمفردة، فإنه في الغالب يقع في مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح)، والذي يتماز بالجهر والوضوح السمعي، ونُبيّن ذلك في ضوء الكتابة المقطعية للمفردات القرآنية الناتجة عن الأغراض المعنوية على وفق الآتي :

أ _ **مدّ التعظيم :** وفيه إطالة صوت المدّ (الألف) في كلمة (لا) النافية للجنس في قوله تعالى : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾(سورة البقرة : 163)، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(سورة الصافات : 35)، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾(سورة الأنبياء : 87)[2]، ويدخل هذا الغرض ضمن المدّ المنفصل، قال ابن الجزري : "قد ورد عن أصحاب القصر في المنفصل لهذا المعنى. نص على ذلك أبو معشر الطبري وأبو القاسم الهذلي وابن مهران والجاجاني وغيرهم، وقرأت به من طريقهم واختاره"[3]. ويطلق على مدِّ الصائت الطويل لهذا المدّ بمدّ المبالغة لكلمة (لا) النافية للجنس ، والتي تحمل دلالة التعظيم لشأن الله عزّ وجل، إذ ورد في كتب القراءات قولٌ لابن مهران*، نقلاً عن كتابه المسمى بـ (رِسالةُ المَدَّاتْ) يقول فيه : "إنَّما سمي مدّ المبالغة؛ لأنه طلب للمبالغة في نفي إلهيّة سوى الله تعالى. قال : وهذا معروف عند العرب؛ لأنَّها تمدّ عند الدعاء وعند الاستغاثة، وعند المبالغة في نفي شيء، ويمدّون ما لا أصل له بهذه العلة"[4]، فالتحليل المقطعي لمدّ الصائت الطويل في المفردات القرآنية لكلمة (لا) يبيّن موقعها في مقطع مفتوح، على وفق الآتي :

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾، و ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ فمقطع كلمة (لا) في هذه الآيات الثلاثة هو :

• لا ← /**ل ـَـا**/ ← شكّل مدّ الصائت الطويل (الألف) مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، فقد أوحى مدّ الصائت الطويل (الألف) بالمبالغة في النفي.

ب _ مدّ المبالغة للنفي :

(1) النشر : 1/ 344، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 59.
(2) ينظر : النشر : 1/ 344، والإتقان في علوم القرآن : 207.
(3) النشر : 1/ 344.
*ابن مهران : ((أبو سعد بن أبي شمس النيسابوري، أحمد بن إبراهيم بن موسى، المقرئ المجوّد، الرئيس الكامل. توفي في شعبان وهو في عشر التسعين)) العبر في خبر من غبر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748هـ) : 2/ 301.
(4) النشر : 1/ 344-345، وينظر : الإتقان في علوم القرآن : 207.

تطول مدّة نطق الصائت الطويل (الألف) عن مدّها الطبيعي في الغرض المعنوي للمبالغة في النفي، في كلمة (لا) التي للتبرئة، نحو قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(سورةالبقرة : 2)، و﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾(سورة البقرة : 71)، و﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾(سورة الروم : 43)، و﴿لَا جَرَمَ﴾(سورة هود : 22)(1)، وقد ورد هذا المدّ للصائت الطويل في كلمة (لا) التي للتبرئة عن حمزة(2)، ويقول السيوطي (ت 911ه) : "وقدره في ذلك وسط، لا يبلغ الإشباع لضعف سببه. نص عليه ابن القَصَّاع*"(3)، وعليه فإنَّ المدّ فيه قد يكون للتوكيد(4)، فصُورتهُ المقطعية لمدّ الصوت بـ (الألف) تشكّل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، عند نطق (لا) النافية التي للتبرئة، في ضوء الكتابة المقطعية لكلمة (لا) الواردة في الآيات القرآنية على وفق الآتي :

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، و﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾، و﴿لَا مَرَدَّ لَهُ﴾، و﴿لَا جَرَمَ﴾ فمقطع (لا) في هذه الآيات هو :

• لا ← /**ل ـــَـ**/ شكل مدّ الصائت الطويل (الألف) مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، مدّ النطق بالألف للمبالغة في النفي والتبرئة.

وعلى الرغم من تأكيدات القرّاء على مدِّ الصائت الطويل في السبب اللفظي، إلا أنّهُ "قد يجتمع السببان : اللفظي والمعنوي، في ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾(سورة الصافات : 35). و﴿لَاإِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾(سورة البقرة : 256). و﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾(سورة البقرة : 173). فيمدّ لحمزة مدّاً مشبعاً على أصله في المدِّ لأجل الهمزة، ويُلغى المعنوي، إعمالاً للأقوى وإلغاءً للأضعف"(5).

موقع الصائت الطويل في مدّود القرآن :

ذكرَ بعض القرّاء في كتبهم أنواعاً للمدود القرآنية، فما جاء في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ت 911ه)، من قول أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، بأنَّ "مدّات القرآن على عشرة أوجه"(6) وهي :

أولاً : مدّ الحَجْز : سُمي بهذه التسمية لأنَّهُ "أدخل بين الهمزتين حاجزاً خففهما، لاستثقال العرب جمعهما، وقدره ألف تامة بالإجماع، فحصول الحجز بذلك"(7)، منه قوله تعالى : ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾(سورة البقرة : 6)، و﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾(سورة المؤمنون : 82)، و﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾(سورة المائدة : 116)، وما أشبهه. فالتحليل المقطعي للمفردتين الأولى والثانية قد بيّن معه مدّ الألف التامة

(1) ينظر : النشر : 1/ 345.
(2) ينظر : المصدر نفسه: 1/ 345، وإتحاف فضلاء البشر : 59.
*ابن القَصَّاع هو ((محمد بن إسرائيل الدمشقي، الإمام المقرئ(ت: 671هـ))) معرفة القرّاء الكبار : 2 /668.
(3) الإتقان في علوم القرآن : 207.
(4) ينظر : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 133.
(5) الإتقان في علوم القرآن : 207، وينظر : نهاية القول المفيد : 174.
(6) الإتقان في علوم القرآن : 208.
(7) المصدر نفسه : 208، وينظر : نهاية القول المفيد : 192.

بين الهمزتين مما حصل الحجز بينهما، وذلك واضح في ضوء النسيج المقطعي للمفردات القرآنية، وعلى وفق الآتي :

• أَأَنْذَرْتَهُمْ ← **ء ـَـ/ ء ـَـ ن/ ذ ـَـ ر/ ت ـَـ/ هـ ـُـ م/ ← ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

• **أَإِذَا مِتْنَا ← ء ـَـ/ ء ـِـ / ذ ـَـ / م ـِـ ت / ن ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ح/**

ثانياً : مدّ العدل : سُمي بذلك "لأنَّهُ يعدل حركةً؛ أي يقوم مقامها في الحجز بين الساكنين"[1]، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾(سورة الفاتحة : 7). فُمدّ الصائت الطويل هنا مقطعياً على وفق الآتي : **ض ـَـ ل/ ل ـَـ ن/ ← ص ح ح ص/ص ح ح ص/** ، إذ أُدغمت قاعدته الثانية في قاعدة المقطع التالي له. وأكثر ما يأتي هذا المقطع / ض ـَـ ل/ سائغاً لأن قاعدته مدغمة في القاعدة التالية، والمقطع الثاني **/ ل ـِـ ن/** موقوف عليه.

ثالثا : مدّ التمكين : سمي بذلك؛ "لأنَّ القارئ لا يتمكن من تحقيق الهمزة وإخراجها من مخرجها إلا به"[2]، ومنه قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ﴾(سورة البقرة : 5)، و﴿الْمَلَائِكَةِ﴾(سورة البقرة : 31)، وما أشبهه، في سائر المدّات التي تليها همزة. إذ يُمدّ الصائت الطويل (الألف) قبل صوت الهمزة مقطعياً، على وفق الآتي :

• أُولَئِكَ ← **ء ـُـ/ ل ـَـ/ ء ـِـ/ ك ـَـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/**

• الْمَلَائِكَةِ ← **ء ـَـ ل/ م ـَـ/ ل ـَـ/ ء ـِـ/ ك ـَـ/ ت ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ ص ح/**

مُدّ الصائت الطويل (الألف) في نهاية مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) قبل مقطع الهمزة في كلمة واحدة.

رابعا : مدّ البسط : سُمي بذلك؛ "لأنَّهُ يبسط بين كلمتين، ويفصل بين كلمتين متصلتين"[3]، منه قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾(سورة النساء : 163)، وما أشبهه، جاء صوت المدّ في الكلمة الأولى قبل صوت الهمزة في بداية الكلمة التالية، فَمَدّ الصائت الطويل (الألف) قبل الهمزة مقطعياً، على وفق الآتي :

• إِنَّا أَوْحَيْنَا ← **ء ـِـ ن/ ن ـَـ/ ء ـَـ و/ ح ـَـ ي/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/**

(1) الإتقان في علوم القرآن : 208.
(2) نهاية القول المفيد : 191.
(3) الإتقان في علوم القرآن : 208.

مُدّ الصائت الطويل (الألف) في نهاية مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) (/ ن ـَـ/) من الكلمة الأولى، قبل المقطع المتوسط المغاق / ء ـَـ و/ لصوت الهمزة في الكلمة التالية.

خامسا : مدّ الروم : سُمي بذلك؛ "لأنَّهم يرومون الهمزة ...، ولا يحققونها ولا يتركونها أصلاً، ولكن يليّنونها، ويشرون إليها"[1]، منه قوله تعالى : ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾(سورة النساء : 109)، و﴿هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ﴾(سورة آل عمران : 119)، ويجري ذلك في وقف حمزة من نحو قوله تعالى : ﴿إِسْرَائِيلَ﴾(سورة البقرة : 40)، فالكتابة الصوتية المقطعية لهذه المفردات، على وفق الآتي :

• هَاأَنْتُمْ ← **هـ ـَـ/ ء ـَـ ن/ ت ـُـ م/ ← ص ح ح/ص ح ص/ص ح ص/**

• إِسْرَائِيلَ ← **ء ـِـ س/ ر ـَـ/ ء ـِـ / ل ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/**

سادساً : مدّ الفرق :

سُمي بذلك؛ لأنّهُ "يفرّق به بين الاستفهام والخبر، وقدره ألف تامة بالإجماع"[2]، ومنه قوله تعالى : ﴿الذَّاكِرِينَ اللَّهَ﴾(سورة الأحزاب : 35)، وما أشبهه. فالكتابة الصوتية المقطعية لمفردة المدّ هذه، على وفق الآتي :

• الذاكرينَ اللّهَ ← **ء ـَـ ذ / ذ ـَـ / ك ـِـ / ر ـِـ / ن ـَـ/ ← ص ح ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/**

• آلذاكرينَ اللّهَ ← **ء ـَـ ذ / ل ـَـ ذ / ذ ـَـ / ك ـِـ / ر ـِـ / ن ـَـ/← ص ح ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/**

سابعاً : مدّ البنية :

سُمي بذلك؛ لأنّ "الاسم بنى على المدِّ، فرقاً بينه وبين المقصور"[3]، منه قوله تعالى: ﴿زَكَرِيَّا﴾(سورة آل عمران : 37)، و﴿مَاءً﴾(سورة البقرة : 22)، وما أشبهه. فالكتابة الصوتية لمفردتي المدّ، على وفق الآتي :

• زَكَرِيَّا ← **ز ـَـ/ ك ـَـ/ ر ـِـ ي/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ص/ص ح ح/**

• مَاءً ← **م ـَـ/ ء ـَـ ن/ ← ص ح ح/ص ح ص/**

(1) الإتقان في علوم القرآن : 208.
(2) المصدر نفسه : 208.
(3) الإتقان في علوم القرآن : 208.

ثامناً : مدّ المبالغة :

سُمي بذلك لأنّ؛ لا النافية للجنس تمدّ فيه بمقدار ألفين، عند حمزة فقط[1]، منه قوله تعالى : ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(سورة البقرة : 2)، و﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾(سورة البقرة : 71)، فمدّ الصائت الطويل في كلمة لا النافية للجنس مقطعياً على وفق الآتي : لا ← **/ل ـَـ/** شكل صوت الألف مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، وهذا التشكيل للنسيج المقطعي تناسب تماماً مع إطالة صوت المدّ.

تاسعاً : مدّ البدل :

سُمي بذلك؛ لأنّ المدّ بدل من الهمزة الساكنة وقدره ألف تامة بالإجماع، منه قوله تعالى : ﴿آدَمُ﴾(سورة البقرة : 33)، و﴿أُوتُوا﴾(سورة آل عمران : 23)، وما أشبهه، "فأصل ﴿آدم﴾ ﴿أأدم﴾ بهمزة مفتوحة فساكنة، أُبدلت الهمزة الساكنة ألفاً، وأصل ﴿أُتوا﴾ ﴿أأتوا﴾ بهمزة مضمومة بعدها همزة ساكنة أُبدلت الهمزة الساكنة واواً"[2]، فالتحليل المقطعي للمفردتين المذكورتين قد بين مدّ الألف التامة، وعلى وفق الآتي :

- آدَمُ ← **ء ـَـ/ د ـَـ/ م ـُـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/**
- أُوتُوا ← **ء ـُـ/ ت ـُـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/**

عاشراً : مدّ الأصل :

سُمي بذلك؛ لأنَّ حرف المدّ والهمزة من أصل واحد في الأفعال الممدودة، منه قوله تعالى : ﴿جَاءَ﴾(سورة النساء : 43)، و﴿شَاءَ﴾(سورة البقرة : 20), أنَّ الأصل (جيأ) و(شيأ) بوزن (فَعَلَ) بفتح الفاء والعين، فالياء من أصل الكلمة؛ لأنّها في مقابلة العين من (فَعَلَ)، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وكذا الهمز فيما همز من هاتين اللفظتين، فإنه من أصل الكلمة أيضاً؛ لأنّهُ في مقابلة اللام من الفعل[3]، يقول السيوطي : " والفرق بينه وبين مدّ البنية أنَّ تلك الأسماء بُنيت على المدِّ، فرقاً بينها وبين المقصور، وهذه مدَّات في أصول أفعال أُحدِثت لمعانٍ"[4]. فالتحليل المقطعي لمفردة (جاء) على وفق الرؤية الحديثة والتي تدحض رؤية القُدماء القائلة بالقلب وتبني رؤيتها تأسيساً على سقوط شبه الحركة الياء يبين مدّ الصائت الطويل الألف، على وفق الآتي :

- جَيَأَ ← **ج ـَـ/ ي ـَـ/ ء ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/**

(1) ينظر : نهاية القول المفيد : 192.
(2) نهاية القول المفيد : 193.
(3) ينظر : المصدر نفسه : 191.
(4) الإتقان في علوم القرآن : 208.

وبعد حذف الياء لوقوعها بين حركتين متماثلتين (فتحتين) تكون ← **ج ـَـ/ ø ـَـ/ ء ـَـ/** فتصبح على وفق الآتي : **ج ـَـَ/ ء ـَـ/** حذفت الياء؛ لأنّها وقعت بين حركتين متماثلتين[1]، مما أدى إلى ضعفها وخفائها ثم اتحدت الفتحتان فتكونت ألف طويلة من جنسها فمدّ الألف فيها[2]، وتقع مفردة (شاء) على شاكلتها.

فإنَّ ما ذكرناه آنفاً هو دراسة لظاهرة لغوية صوتية، اوضحنا فيها مدّ الصائت الطويل دراسة في ضوء المقطع الصوتي العربي.

وبعد فقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج العامة هي :

إنَّ المدّ ظاهرةٌ لغوية صوتية برزت لدى القرّاء بشكل كبير، لِمَا فيها من إطالة صوت المدّ المتمثل بأحرفه الثلاثة (الألف، والواو، والياء)، فالمدّ عندهم زيادة مط في حرف المدّ على المدّ الطبيعي، والقصر نقيضه يُعنى بترك تلك الزيادة وإبقاء المدّ الطبيعي على حاله، بقسميه الأصلي والفرعي، وما يتفرع عنه من المدّ المتصل، والمنفصل، واللازم، وإنْ أُختلف اللغويون القُدماء، وعُلماء الأصوات المحدثين في تسمية تلك الحروف، إلا أنَّهم اتفقوا على تحديد مصطلحها، إذ أنَّ مصطلح الصوائت عند المحدثين يرادف مصطلح حروف اللين والحركات عند القدماء، فالحركات الطويلة (الألف، والواو، والياء)، هي أصوات مجهورة تتماز بالوضوح السمعي، إذ عند النطق بها يمر الهواء حراً طليقاً عبرَ الحلق والفم دون أنْ يقف في طريقها أيُّ عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أنْ يحدث احتكاكاً مسموعاً.

فالأصوات المدّية العربية هي من تؤلف قمم المقاطع الصوتية في العربية، والتي تعد أصواتاً منبورة، فيؤلف صوت المدّ مع الصوت الصامت اللاحق له نوعاً من المقاطع الصوتية، كما في إطالة صوت المدّ قبل الهمزة والذي يقع في نهاية مقطع مشكّلاً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، تهيؤاً للنطق بصوت الهمزة الذي يتطلب جهداً عضلياً كبيراً والذي يشكّل مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح)، يتناسب مع وجوب المدّ المتصل، بينما يقع صوت المدّ في مقطع متوسط مفتوح (ص ح ح) في نهاية كلمة أولى فيمدّ الصوت تهيؤاً للنطق بمقطع الهمزة في بداية الكلمة الثانية، والذي يشكل مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح)، فموقع كل من إطالة صوت المدّ بالمقطع المفتوح وصوت الهمزة تناسبا مع جواز إطالة صوت المدّ في المنفصل لاختلاف القرّاء فيه، في حين شكّلَ موقع الصائت الطويل قبل الصوت الساكن ـــ سواء مدغماً مشدداً أو غير مشدد، أو في حال الساكن سكوناً عارضاً، مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص)، فجاء في حالة الإدغام في درج الكلام، وأجاز ذلك القدماء، لا سيّما القرّاء لوجود المسوّغ الصوتي فيها، وهو أنَّ القاعدة الأولى من المقطع الصامت المدغم تماثلت مع القاعدة النهائية لمقطع الصائت الطويل مكوناً مقطعاً طويلاً مغلقاً (ص ح ح ص) في الدرج من الكلام.

(1) ينظر : العربية الفصحى : د. هنري فليش : 55.
(2) الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي : 38.

وفي حال وقوع الصائت الطويل قبل الساكن سكوناً عرضياً، فإنَّهُ يشكّل معه مقطعاً طويلاً مغلقاً للوقف (ص ح ح ص) تناسباً للزوم المدّ هذا فيما كان في السبب اللفظي.

أمّا السبب المعنوي فقد جاء لأغراض منها التعظيم والمبالغة للنفي بـ (لا) التي للتبرئة. إذ شكّل موقع الصائت الطويل فيها مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح).

الفصل الثاني

الإمالة و الفتح

توطئة

تناول العُلماء قديماً وحديثاً ظاهرة الإمالة، وظهرت بشكل واسع عند أصحاب القراءات لعلاقتها بالقراءات القرآنية، لِمَا فيها من تسهيل لعملية الأداء النطقي؛ وذلك تبعاً لحركة اللسان الذي "يرتفع بالفتح، وينحدر بالإمالة والانحدارُ أخفُّ على اللسان من الارتفاع، فلهذا أمال مَنْ أمال"[1]، والمعروف أنَّ اللغة العربية في حالة تطور مستمر، وأنَّ أصواتها تتأثر بعضها ببعض حين تتقارب في صفاتها أو مخارجها، وحينما تتجاور، فيحدث لذلك الانسجام الصوتي المتأتي من تطور أصواتها، ففي الإمالة تعمل العربية على تقريب الحركات المتشكلة لتركيب الكلمات، بما تضفي عليها نوعاً من الانسجام الصوتي بين مقاطع التركيب اللغوي، بتشكيل مقاطع مسايرة في نوعها لأحكام هذه الظاهرة بمعاينة موقع الكسرة بالنسبة إلى الألف، وما تتخذه العربية من إجراءات عند سقوط شبه الحركة منها فضلاً عن إمالة الفتحة التي قبل الهاء في حال الوقف، وليس إمالة الهاء نفسها، بل العمل على إخفائها، ومدّ النطق بالفتحة قبلها فيخيل للسامع أنَّهُ تمَّ الوقف على الهاء، وهذا ما سنتناوله في طيات مبحثنا القادم.

حدّ الإمالة :

الإمالة لغةً :

قال ابن فارس في الأصل اللغوي لـ "(مَيَلَ) الْمِيمُ وَالْيَاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْحِرَافٍ فِي الشَّيْءِ إِلَى جَانِبٍ مِنْهُا"[2].

والمَيْلُ: "العُدول إلى الشَّيْءِ والإقبالُ عَلَيْهِ"[3].

الإمالة اصطلاحاً :

(1) الإتقان في علوم القرآن : 196.
(2) معجم مقاييس اللغة : 5/ 290.
(3) لسان العرب : مادة (ميل) : 11/ 636.

عند تلمس معنى الإمالة عند ابن يعيش نجده يربط بين المعنى اللغوي لها والاصطلاحي، بقوله : "إعلم أنّ الإمالة مصدرُ "أَمَلتُهُ أمِيلُه إمالَة". والمَيلُ : الانحراف عن القصد، يقال منه : "مال الشيءُ"، ومنه "مال الحاكمُ" إذا عدل عن الاستواء. وكذلك الإمالةُ في العربية عدولٌ بالألف عن استوائه، وجنوحٌ به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخَّمة، وبين مخرج الياء. وبحسب قُرْب ذلك الموضع من الياء تكون شدّةُ الإمالة، وبحسب بُعده تكون خفّتُها"[1].

إنّ ما جاء به ابن يعيش هو تفصيل لملاحظة سيبويه بشأن الإمالة وهذا ما يراه الدكتور علي خليف حسين، "بأنّ اللسان سوف تتجاذبه عمليتان هما :عملية الصعود إلى الأعلى وذلك في حالة الألف، وعملية النزول إلى الأسفل في حالة الياء والكسرة، فحاول الناطقون بهذه الطريقة أنْ يوحدوا عملية النطق، وذلك بجعل اللسان يستقر على عملية واحدة، فلجأوا إلى إمالة الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة"[2]. فالإمالة هي : إن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء[3].

وفي اصطلاح المحدثين هي : "نطق الفتحة (ـَـ) نطقاً أمامياً"[4]، قصيرة كانت أو طويلة؛ وذلك للتقريب الصوتي بين الصوتين (الفتحة والكسرة) و(الألف والياء) الطويلتين طلباً للتخفيف والسهولة، لبيان فيما كان "أصل الألف الياء، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها، أو للياء"[5]، وتسمى بالبطح والاضجاع، والكسر، والتقليل، والتلطيف، وبين بين[6]، وتكون "الإمالة في الفعل أقوى منها في الاسم لتمكنها في التصريف"[7].

حدُّ الفتح :

الفتح لغةً : " الفَتْحُ: نَقِيضُ الإغلاقِ"[8].

الفتح اصطلاحاً :

وهو "عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضاً التفخيم وربما قيل له النصب"[9]، وينقسم الفتح على قسمين : شديد، ومتوسط، فالشديد هو: "نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف"[10]. أمّا المتوسط من الفتح فهو : "ما بين الفتح الشديد، والإمالة المتوسطة، وهذا الذي يستعمله أصحاب الفتح من القرّاء"[11].

---

(1) شرح المفصل : 5/ 188.
(2) منهج الدرس الصوتي عند العرب : أطروحة دكتوراه : 184.
(3) ينظر : الكشف : 1/ 168.
(4) دروس في علم أصوات العربية : 156.
(5) النشر: 2/ 30.
(6) ينظر : المصدر نفسه : 2/ 30، وإتحاف فضلاء البشر : 102.
(7) إتحاف فضلاء البشر : 102.
(8) لسان العرب : مادة (فتح) : 2/ 536.
(9) النشر : 2/ 29، وينظر: الإقناع : 167، وسراج القارئ : للقاصح 102.
(10) النشر : 2/ 30، وينظر : الفتح والإمالة : أبو عمرو الداني : 13.
(11) الفتح والإمالة : 13.

الأصل بين الإمالة والفتح :

تباينت آراء العُلماء القُدماء من النحاة والقرّاء، فضلاً عن آراء المحدثين في أصالة الإمالة والفتح.

إذ يرى البعض أن الفتح أصلٌ والإمالة فرعٌ عليه، والبعض الآخر يرى أنَّ كلاً منهما أصلٌ برأسه، وليس منهم من "قال بفرعية الفتح وأصالة الإمالة"(1)، وعلى الرأي الأول نجد ابن يعيش يقول بأصالة التفخيم (الفتح)، بقوله : "والتفخيمُ هو الأصل، والإمالةُ طارئةٌ، والذي يدلّ أنَّ التفخيم هو الأصل أنَّهُ يجوز تفخيم كل مُمال، ولا يجوز إمالةُ كلّ مفخَّم. وأيضاً فإنَّ التفخيم لا يحتاج إلى سبب، والإمالةُ تحتاج إلى سبب"(2)، ومن أصحاب كتب القراءات مكي بن أبي طالب القيسي ذهب إلى مثل هذا بقوله : "إعلم أنّ أصل الكلام كلّه الفتح، والإمالة تدخل في بعضه، في بعض اللغات لعلّة، والدليل على ذلك أنَّ جميع الكلام، الفتح فيه سائغ جائز، وليست الإمالة بداخلة إلا في بعضه، في بعض اللغات، لعلّة فالأصل ما عمَّ، وهو الفتحة"(3).

أمّا الرأي الثاني القائل بأصالة كلٍّ منهما والذي ذهب إليه ابن الجزري "مع اتفاقهم على أَنَّهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن"(4)، إذ ذهب أنَّ "لكل من الرأيين وجه"(5)، على أنَّ نظرة المحدثين إلى هذه المسألة تبيّن لنا، أصالة الإمالة في حالات، وفرعية الفتح في بعض الحالات، و تبيّن لنا أصالة الفتح في حالات ، وفرعية الإمالة في حالات آخر.

قال الدكتور إبراهيم أنيس : "ولذلك نستطيع أنْ نرجح أن بعض الكلمات العربية التي اشتملت على ياء أصلية قد تطورت أولاً إلى الإمالة ثم إلى الفتح، فالأصل إذن في مثل هذه الكلمات هو الإمالة، وقد تفرع الفتح عنها... أمّا حين تعرض الإمالة لغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة، أو إمالة ألف المدّ غير المنقلبة عن أصل، فليس هذا إلا نوعاً من الانسجام بين أصوات اللِّين. لذلك جعل القدماء من أسباب هذه الإمالة وجود كسرة، سواء كانت سابقة أو لاحقة، ولا شكَّ أنَّ الانتقال من الكسر إلى الفتح أو بالعكس يتطلب مجهوداً عضلياً أكبر مما لو انسجمت أصوات اللِّين بعضها مع بعض، بأنْ تصبح متشابهة؛ لأنَّ حركة الإمالة أقرب إلى الكسرة منها إلى الفتحة. ومتى اسلمنا بنظرية السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي؛ استطعنا أنْ نتصوّر أنَّ الكلمة التي تشتمل على أصوات لين منسجمة، أحدث من نظريتها التي خلت أصوات لينها من الانسجام"(6).

العلّة من الإمالة :

(1) الإمالة في القراءات واللهجات : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي : 97.
(2) شرح المفصل : 118/5.
(3) الكشف : 1/ 168.
(4) النشر : 2/ 32.
(5) المصدر نفسه : 2/ 32.
(6) في اللهجات العربية : 66-68.

إنَّ نزوع الإنسان العربي إلى مثل هذه الظاهرة، هو بما ينشدهُ من السهولة واليسر في تلفظه للأصوات، وللتقريب بين بعضها البعض، تحقيقاً للانسجام الصوتي بما فيه الاقتصاد في الجهد العضلي، وهذا الاقتصاد يميل إليه الإنسان من غير تعمد، ليماثل بين الأصوات؛ لأنَّ الحرف يتأثر بما يجاوره فيصبح قريباً منه في النطق، مما يدفع الثقل ويسهل على المتكلم عملية النطق الصوتي، وقد علَّله سيبويه عندما قرّب الألف من الياء، والفتحة من الكسرة، مما يهيئ المناخ الصوتي للمؤدي؛ لأنَّ يرفع لسانه من موضع واحد بقوله : "فالألف قد تشابه الياء، فأرادوا أن يقربوها منها"[1]، ونلمح من ذلك تحقق الانسجام الصوتي بين صوتي الألف والياء، وغاية الإمالة منه هو "ليكون عمل اللسان من وجه واحد"[2]، فترتب عليه انسجاماً صوتياً واقتصاداً في الجهد العضلي، نتيجة لتأثر الحروف على بعضها، وما الإمالة إلا ضربٌ من الانسجام والتقريب الصوتي، والذي قال به ابن جني عندما عرض للإدغام الصغير، بقوله : "فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك. وهو ضروب. فمن ذلك الإمالة، وإنّما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت. وذلك نحو: عالم وكتاب وسعَى وقَضى واستقضى, ألا تراك قرَّبت فتحة العين من عالِم إلى كسرة اللام منه, بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء"[3]، فالغرض من عندها جاء "لضرب من التجانس الصوتي"[4]، وعلّل ابن يعيش الغرض من تقريب الأصوات بعضها من بعض "لضرب من التشاكل"[5]، ففي الإمالة قربت الألف من الياء؛ "لأنّ الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفلَه وأدناه، فتنافرا. ولمّا تنافرا، أُجنحت الفتحةُ نحو الكسرة، والألفُ نحو الياء، فصار الصوتُ بين بين، فاعتدل الأمرُ بينهما، وزال الاستثقالُ الحاصل بالتنافر"[6]، نلحظ أنَّهُ عندما اعتدلت حركة اللسان في النطق، وزال ثقل تنافرها، توافر للمؤدي المناخ الصوتي المناسب من "سهولة اللفظ؛ وذلك أنَّ اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخفّ على اللسان من الارتفاع"[7]، والذي قال به أصحاب كتب القراءات، فلم يختلفوا عن عُلماء اللغة القُدماء في تعليل الغاية منها في طيات مؤلفاتهم، ومنهم أبو علي الفارسي إذ علّلها تعليلاً واضحاً عندما عرض لعلّة الألف وإزالة خفائها بقوله : "وفي الألف خفاء شديد من حيث لم تعتمد في اخراجها على موضع، فصارت لذلك بمنزلة النفس من أنَّهُ لا يُعتمد له على موضع، فبيّنها بأن نحا بها نحو الياء وقرّبها منها. ويدلك على حسن هذا أن قوماً يبدلون منها الياء المحضة في الوقف، فيقولون أَفْعَيْ، وحُبْلَيْ، وآخرون يبدلون منها الهمزة، فيقولون: هذه حُبْلأ، ورأيت رجلأ فكذا نحا بالألف بإمالتها نحو الياء ليكون أبين لها..."[8] ، ومن وجهة النظر الحديثة، فالغاية من الإمالة هو لتحقيق الجهد الأقل في النطق، للابتعاد عن الثقل المصاحب للصوت، إذ عند النطق بالألف فإنَّ "اللسان يكاد يكون مستوياً في قاع الفم، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ

(1) الكتاب : 4/ 117.
(2) المصدر نفسه : 4/ 117.
(3) الخصائص : 2/ 143.
(4) سر صناعة الإعراب : 1/ 67.
(5) شرح المفصل : 5/ 188
(6) شرح المفصل : 5/ 189.
(7) النشر : 2/ 35، وينظر : المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية : د. محمد سالم محيسن : 77.
(8) الحجة للقرّاء السبعة : لأبي علي الفارسي : 5/ 364-365.

ذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة. واقصى ما يصل إليه أول اللسان في صعوده نحو الحنك الأعلى، هو ذلك المقياس الذي يسمى عادة بالكسرة، طويلة كانت أو قصيرة"[1]، ففي الإمالة يكون وضع اللسان عند النطق بالفتحة مرتفعاً باتجاه منطقة الغار ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة، ويقل عن إرتفاعه مع الكسرة "ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج، إلا أنّهُ دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة"[2]، فيتم اختزال زمن الأداء عند النطق بصائتي (الفتحة والكسرة)، فيقل الجهد المبذول معه عن الجهد المبذول لنطق الفتحة، وفضلاً عن تقليل الجهد باختصار جهد الجهاز الصوتي، فإنَّ التصوّر الحديث لها هو أنَّ "الكسرة صائت أمامي أي أنَّ الجزء الأماميّ من اللسان يكون لدى النطق به أقرب ما يمكن من الجزء الأمامي من الحنك الصلب، وتكون حجرة الرنين الفميّة في أصغر حجم لها. كما يكون الفم مفتوحاً بالكاد وتكون الشفتان مشدودتين أقصى ما يمكن لهما من الشدّ. والواقع أنَّ فتحة الفم تكون لدى النطق بهذا الصائت أصغر فتحة يمكن أنْ تحصل في إنتاج الصوائت أي أنَّ الفتحة الأصغر منها لا تحدث صوتاً سمعياً مجهوراً أي (صائتاً) بل تولِّد احتكاكاً أقرب إلى الصامت منه إلى الصائت"[3].

وعند تسليطنا الضوء على غاية الإمالة، نرى أنَّ حيثيات هذه الظاهرة، لا تختلف في قوانينها عما سبقها من ظاهرة الإبدال في الباب الأول، فكذا انتخب لها قانوناً ينسجم وطبيعتها مع مسوغات إمالتها، فقانون الجهد الأقل يُسلط الضوء على العلّة الغائية لإمالة الألف المسبوق بالكسر، ويتدخل قانون الأقوى في غاية إمالة الألف عند منازعته على إمالته للراء مع الأصوات الصاعدة المستعلية، فالإمالة تحاول تقريب الحركات المختلفة فيها، وهذا من دواعي التناسب والتقريب والانسجام الصوتي الذي يحبذه العربي.

الإمالة والفتح في اللهجات العربية :

الإمالة والفتح من الظواهر اللغوية اللهجية التي اشتهرت بها القبائل العربية القديمة، لاسيّما البدوية منها، وإنَّ الإمالة ليست مقصورة على قبيلة دون أخرى، وقد نصّ سيبويه على ذلك بقوله : "وإعلم أنه ليس كل من أمال الألفات وافق غيره من العرب ممن يميل، ولكنه قد يخالف كل واحد من الفريقين صاحبه، فينصب بعضٌ ما يميل صاحبه ويميل بعضٌ ما ينصب صاحبه، وكذلك من كان النصب من لغته لا يوافق غيره ممن ينصب، ولكن أمره وأمر صاحبه كأمر الأولين في الكسر. فإذا رأيت عربيا كذلك فلا ترينه خلط في لغته، ولكن هذا من أمرهم"[4]، وفي موضع آخر نصّ على أنَّ الإمالة استعملت في مواضعٍ، لبعض أهل الحجاز إذ قال : "ومما يميلون ألفه كُلّ شيءٍ كان من بنات الياء والواو مما هما فيه عينٌ، إذا كان أول فعلت مكسوراً نحوا نحو الكسر كما نحوا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء، وهي لغة لبعض أهل الحجاز"[5]، وصوّر أبو عمرو الداني أنتشار القراءة بالفتح أو الإمالة ناسباً كل نوع منها إلى قبائلها بقوله : "أنَّ الفتح

(1) في اللهجات العربية : 64.
(2) المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها : 1/ 42، ودراسة الصوت اللغوي : 318.
(3) علم الأصوات العام : 131.
(4) الكتاب : 4/ 125.
(5) الكتاب : 4/ 120.

والإمالة فيما اختلفت القرّاءة فيه لغتان مشهورتان مستعملتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم، وأسد، وقيس"[1]، ويستغرب الدكتور صبحي الصالح جنوح التميميين إلى الإمالة، واحتفاظ الحجازيين بالفتح دون أنْ يفصح عن سبب استغرابه بقوله : "ويبدو غريباً لأول وهلة أنْ يجنح التميميون إلى الإمالة- وهي صوت مائل إلى الكسرة- بينما يحتفظ الحجازيون بالفتح"[2].

وعلى ما يبدو إنَّ الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها القُدماء، من قبائل نجد وغيرها، وإنَّما كانت ظاهرة أكثر شيوعاً مما ذكروه، فقد كانت تظُم معظم القبائل العربية، وأنْ تفاوتت قلّة وكثرة[3]، ونلتمس لسيبويه تحديداً لبعض القبائل المميلة ومن شواهد ما جاء فيه "وبلغنا عن ابن أبي إسحاق أنَّهُ سمع كُثَيِّر عزة* يقول : صار بمكان كذا وكذا. وقرأها بعضهم: خاف"[4]، فإنَّ هذه الظاهرة ليست لازمة لقبيلة دون أُخرى، بل هي متفشية في جميع اللهجات للقبائل العربية، قال ابن يعيش : "والمُمال كثيرٌ في كلام العرب"[5]، ونظرة في كتب القرّاء ترينا أنّ من القرّاء من جعلها من طباع العربية، والدليل على ذلك الكسائي عندما قيل له "إنَّك تميل ما قبل هاء التأنيث، فقال: هذا من طباع العربية"[6]، وكانت اللهجة هي الضرب الذي كان مسوّغاً لوجود هذه الظاهرة عند القُدماء من اللغويين وأصحاب القراءات فمن اللغويين الاستراباذي الذي ذهب إلى أنَّ الإمالة ليست بواجبة، بل هي مجوّزة عند من هي لغته، بقوله : "أعلم أن أسباب الإمالة ليست موجبة لها، بل هي المجوّزة لها عند من هي لغته، وكُلّ موضع يحصل فيه سبب الإمالة جاز لك الفتحة"[7]، وكُلّ ما نسب إلى القبائل العربية من الإمالة والفتح ينبئ من أنَّ الناطق العربي كان يميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي للجهاز الصوتي عَبرَ تحقيق الانسجام بين الحركات المجاورة المختلفة[8].

الإمالة في تصوّر المحدثين :

تَحدّثَ عُلماء الصوت المحدثون عن ظاهرتي الإمالة والفتح ولا يكاد حديثهم يختلف في أصوله العامة عما جاء في كلام القُدماء من النحاة والقرّاء.

فعُلماء الأصوات المحدثون انطلقوا بدراستهم لمفهومي الإمالة والفتح، في ضوء دراستهم لأصوات اللِّين، فهم "حين يتحدثون عن الإمالة يقسمون الأصوات إلى (consonants وvowels) ويسمون الأولى ساكنة_ والأخرى لينة"[9]، وأصوات اللِّين

(1) الفتح والإمالة : 12.
(2) دراسات في فقه اللغة : د. صبحي الصالح : 101.
(3) ينظر : الإمالة في القراءات واللهجات : 133.
* كثير عزة من قبيلة خزاعة وهي ((قبيلة من الأزد من القحطانية)) اللهجات العربية في التراث :1/ 282.
(4) الكتاب : 4/ 121.
(5) شرح المفصل : 5/ 188.
(6) النشر : 2/ 82.
(7) شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 5.
(8) ينظر : في اللهجات العربية : 97.
(9) الإمالة في القراءات واللهجات :63.

في اللغة العربية هي الحركات سواء أكانت قصيرة أو طويلة، من ضمة وفتحة وكسرة، وكذلك الألف اللِّينة، والواو اللينة، والياء اللِّينة[1]، والفرق بين الأصوات اللِّينة القصيرة، والطويلة هو "أنَّ الأصوات اللِّينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها وفي العادة يستمر الصوت اللين الطويل ضعف الصوت القصير"[2]، فقد ساعدهم في ذلك الفحص المخبري، مع الإفادة ممن سبقهم، فبنو عليه نظرياتهم.

ومن المحدثين من جعل الفارق بين الحركات (القصيرة والطويلة) فقط في الكمية[3]، ومنهم من جعله في الكمية والكيفية، معتمداً في ذلك على ما اثبته علم التشريح والذي اثبت، "إنَّ الخلاف بين العلّل الطويلة والعلّل القصيرة (منعزلة) ليس خلافاً في الكمية فقط، وإنَّما في الكيفية كذلك. فموقع اللسان مع إحدى العلتين المتقابلتين مختلف قليلاً"[4]، ومن وجهة النظر الصوتي المعاصر "حركة واقعية بين أعلى حركة وأدنى حركة (سواء أكانت الحركة أمامية، أم خلفية). فأعلى حركة أمامية هي الكسرة (والكسرة الطويلة، وهي ياء المد)، وأدنى حركة أمامية، هي الفتحة المرققة (والفتحة الطويلة، وهي الألف)، وأي حركة واقعية بين الكسرة، والفتحة المرققة، أو بين ياء المد والألف المرققة هي حركة ممالة"[5]. ممثلاً لها بالشكل (1) الآتي[6] :

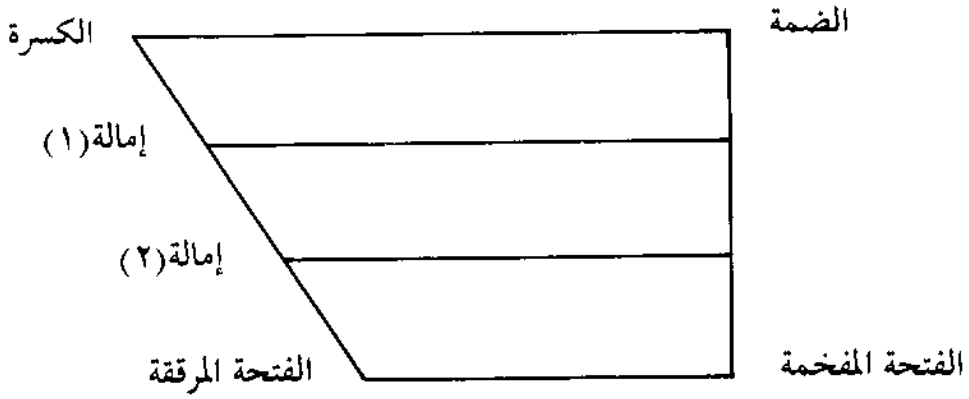

وفي ضوء ما مثَّله الدكتور سمير شريف إستيتية في الشكل(1) للحركات تبيّن أنَّ الإمالة ليست مقصورةً على الفتحة والألف، وإنَّما تكون بين الضمة والفتحة[7]، أو بين واو المد والألف المفخمة[8]، إلا إنَّنا نجدها تتمحور عند عُلماء العربية، و أصحاب

(1) ينظر : المصدر نفسه : 63.
(2) المصدر نفسه : 64.
(3) ينظر : في اللهجات العربية : 64.
(4) دراسة الصوت اللغوي : 329، وينظر: دراسة السمع والكلام : د. سعد عبد العزيز مصلوح : 309-310، والتشكيل الصوتي في اللغة العربية : 39.
(5) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 223.
(6) ينظر : تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي : بحث : د. سمير شريف إستيتية : 108.
(7) ينظر : سر صناعة الإعراب : 1/ 64
(8) ينظر : تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي : 108.

القراءات بين "ما كان بين أعلى حركة أمامية وأدنى حركة أمامية"[1]، أي تقريب الفتحة من الكسرة، أو الألف من الياء، وتأسيساً على ما توصل إليه البحث العلمي، وعلم الصوت الحديث، استطاع الباحثون المحدثين في دراستهم الصوتية، إلى وضع مقاييس عامة لأصوات اللين، استنبطوها من تجاربهم "بحيث يندرج تحتها أي صوت لين في أية لغة من اللغات... وأول من عني بهذه المقاييس بروفسر [دانيال جونز] في جامعة لندن"[2]، وبدأ عمله بما "يمكن تسميته نظرية الحركات المعيارية"[3]، بتصنيف الحركات إلى ثماني حركات معيارية تبدأ بصوت اللين (i) الكسرة القصيرة وتنتهي بصوت اللين (u) الضمة القصيرة [4] ، وعلى الرغم من أن هذه المقاييس المعيارية قائمة على اساس موضع اللسان بالنسبة للحنك الأعلى، أو موضع أقصى اللسان بالنسبة لأقصى الحنك، إلا أنّ المحدثين قد لاحظوا أن "شكل الشفتين يختلف مع كل منهما"[5]، ومنهم الدكتور سعد مصلوح، إذ يقول : "ويرتبط بحركة اللسان أثناء إصدار الحركات عامل آخر على درجة كبيرة من الأهمية ويُعدُّ من الملامح المائزة لها؛ ونعني به هيئة الشفتين وما تقوم به العضلات المتحكمة فيهما، وعلى الأخص العضلة المدارية من إعطائهما شكلاً خاصاً، يتدرج من وضع الاستدارة الضيقة close rounding إلى وضع الاستدارة الواسعة open rounding إلى وضع الانفراج spreading إلى وضع الحياد neutra"[6]، وقد وضحها بالشكل (2) الآتي[7] :

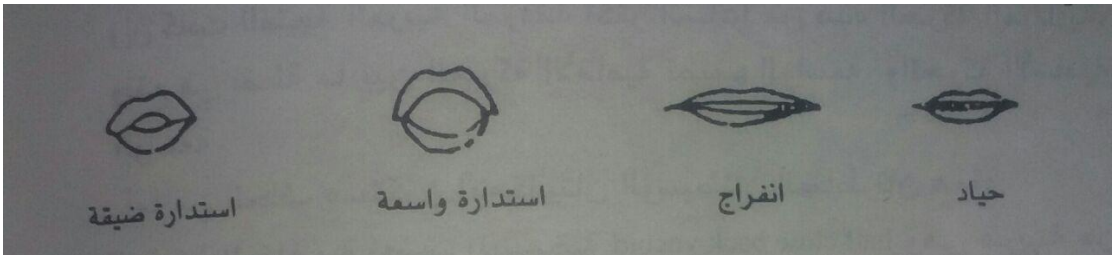

فالعلاقة بين الحركات والشفتين كان موضع ملاحظة اللغويين العرب منذ أول عهدهم بدراسة اللغة[8]، ولقد وضّح الدكتور إبراهيم أنيس بشكل واسع الإمالة في اللغة العربية وما أفاض القرّاء في وصف إمالة الفتحة نحو الكسرة[9].

أسباب الإمالة :

لا تتحقق الإمالة إلا بوجود مسببات لها، فعُلماء العربية من النحاة والقرّاء، قد جعلوها ظاهرة مقيدة بأسباب[10]، وعلى الرغم من ذلك، تفاوتت أسبابها وتعددت،

(1) المصدر نفسه : 108.
(2) الأصوات اللغوية : 32.
(3) دراسة السمع والكلام : 204.
(4) ينظر : المصدر نفسه : 205-206-207، وعلم الأصوات العام : 130.
(5) الأصوات اللغوية : 36-37.
(6) دراسة السمع والكلام : 208، وينظر: الأصوات اللغوية : 36-37
(7) ينظر : دراسة السمع والكلام : 208.
(8) ينظر : دراسة السمع والكلام : 208.
(9) ينظر : الأصوات اللغوية : 42-43.
(10) ينظر : دروس في علم أصوات العربية : 157.

فبعضهم من جعلها ستة أسباب، يقول ابن السراج : "والأسبابُ التي يُمالُ لها ستةٌ"[1]، وأضاف أبو عمرو الداني سبباً آخر للأسباب السابقة بقوله : "إعلم أن الأسباب التي تجوز معها الإمالة سبعة: الكسرة، والياء، والإنقلاب، والمشبّه بالمنقلب من الياء، والإمالة للإمالة، والألف التي ينكسر ما قبلها أو ما بعدها في بعض الأحوال، والألف المتطرفة في ما كان على أكثر من ثلاثة أحرف"[2]، وجعلها البعض الآخر ثمانية أسباب "أما الأسباب فثمانية"[3]، في حين جعلها البعض الأخر عشرة، والذي قال بها ابن الجزري[4].

فالمسوّغ الصوتي لهذه الأسباب يجسّدهُ التقاء صائتي (الفتح والكسر) لبِنْية الكلمة، سواء أكانا قصيرين أو طويلين، مع إمعان النظر لموقعيهما، وذلك بأنْ ينحو بالألف نحو الياء في مقطع واحد من بِنْية الكلمة، أو أن تكون الياء أو الكسرة في المقطع المجاور للألف، أو أنْ يكون في المقطع الموالي لها كسرة، أو في المقطع السابق لها[5]، فتوافرت في هذه الأسباب مسوّغات صوتية جوّزت الإمالة فيها، منها: تحقيق الخفّة في النطق، بالإضافة إلى التناسب الصوتي فيها؛ وذلك أن الإمالة سبب في أنْ "يعمل اللسان عملاً واحداً"[6]، ففي الإمالة هناك ثمة تنافر بين صائتي (الفتح والكسر)، وعند الإمالة يزول هذا التنافر، فيحدث التناسب والانسجام الصوتي، الذي يؤدي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي للجهاز الصوتي.

المقطع الصوتي في توجيه الإمالة :

ما أميل لكسرة :

أولاً : إمالة الألف التي بعدها راء متطرفة مكسورة، بكسرة إعراب :

وفيه تقع الكسرة "بعد الألف على راء، والكسرة إعراب"[7]، إذ فصّل أصحاب كتب القراءات القول فيها، ومنهم ابن الجزري، الذي تحدّث عن الإمالة في قراءتها عند القرّاء وما اتفقوا عليه واختلفوا فيه على "إمالة كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء كانت الألف أصلية أم زائدة"[8]، وأتفق القرّاء "أبوعمرو والدوري عن الكسائي على إمالة كل ألف عين، أو زائدة بعدها راء متطرفة مكسورة"[9]، نحو قوله تعالى :﴿النَّهَارِ﴾(سورة الاسراء:12)، و﴿الدَّارِ﴾(سورة الانعام:135)، و﴿الْغَارِ﴾(سورة التوبة:40)، و﴿آثَارِهِمْ﴾(سورة الحديد:27)، و﴿الْقَهَّارُ﴾(سورة غافر:16)، و﴿الْإِبْكَارِ﴾(سورة آل عمران:41)، و﴿هَارٍ﴾(سورة التوبة : 109)،[10] وما

(1) الأصول في النحو : 3/ 160، وينظر : اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء العكبري : 2/ 452، وهمع الهوامع : للسوطي : 3/ 414.
(2) الفتح والإمالة : 22.
(3) ضياء السالك إلى أوضح المسالك : 4/ 305.
(4) ينظر : النشر : 2/ 32، والإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية : د. عبد العزيز علي سفر : 114-115.
(5) ينظر : دروس في علم أصوات العربية : 157.
(6) الكشف : 1/ 171.
(7) المصدر نفسه : 1/ 170.
(8) النشر : 2/ 54-55.
(9) إتحاف فضلاء البشر : 113، وينظر : وجامع البيان : 320، والأقناع : 168-170.
(10) ينظر : الأقناع : 169-170.

أشبهه، وأُختلف في قراءة ما ذكرناه من الشواهد القرآنية، ففي ﴿الغار﴾ "اختلف فيه عن الدوري عن الكسائي فرواه عنه بالإمالة جعفر النصيبي ورواه عنه أبو عثمان الضرير بالفتح فخالف اصله فيه والباقون على اصولهم"[1]، أما ﴿القهارِ﴾ فقد اختلف فيه عنهما بفتحهِ برواية العراقيين قاطبة[2]، واتفق الكسائي وأبو عمرو وأبو بكر على إمالة ﴿هارٍ﴾[سورة التوبة : 109] إمالة كبرى[3]، و قال ابن خالويه (ت 370ه) في ﴿هارٍ﴾ "يقرأ بالتفخيم والإمالة. فالحجة لمن فخَّم: أنَّهُ اتى به على الأصل. والحجة لمن أمال فلكسرة الراء. والأصل في هارٍ: (هاير) قلبت ياؤه من موضع العين إلى موضع اللام، ثم سقطت لمقارنة التنوين"[4].

ومن وجهة نظر البحث أنّهُ جوّز سبب الإمالة في هذا النوع، لأجل الكسرة التي جاءت في المقطع اللاحق للألف و ليس في المقطع السابق له، بدليل قول سيبويه : "فالألف تمال إذا كان بعدها حرفٌ مكسور. وذلك قولك: عابدٌ، ومساجد... وإذا كان بين أول حرفٍ من الكلمة وبين الألف حرفٌ متحرك، والأول مكسور نحو عمادٍ أملت الألف، لأنَّهُ لا يتفاوت ما بينهما بحرف. ألا تراهم قالوا : صبقت، فجعلوها صاداً لمكان القاف، كما قالوا : صقت. وكذلك إنْ كان بينه وبين الألف حرفان، الأول ساكنٌ؛ لأن الساكن ليس بحاجز قويٍّ، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعةً واحدة كما رفعه في الأول، فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان حيث قلت: صويقٌ. وذلك قولهم: سربالٌ، وشملالٌ، وعمادٌ، وكلابٌ"[5]، ومظهر القول أن سيبويه جوّز إمالة الألف على النحو الآتي :

_ وجود الكسرة بعد الألف مباشرة في المقطع اللاحق (إمالة رجعية)

_ الكسرة التي بينها وبين الألف مقطع متحرك (إمالة تقدمية)

_ الكسرة التي بينها وبين الألف مقطعين والأول منهما ساكن، وعلّل سيبويه مجيء الساكن في المقطع الأول للإمالة؛ "لأن الساكن ليس بحاجز قويٍّ، وإنما يرفع لسانه عن الحرف المتحرك رفعةً واحدة كما رفعه في الأول، فلم يتفاوت لهذا كما لم يتفاوت الحرفان..."[6].

وإنَّ ما وقف عليه البحث من الشواهد القرآنية تمثّل نوعاً من هذه الأنواع الممالة، غلبت عليها الإمالة الرجعية، لوجود كسرة في المقطع اللاحق بعدها، وليس في المقطع السابق؛ لأنَّهُ "لا يمكن أن تكون الكسرة ملاصقة للألف إذ لا تثبت الألف إلا بعد فتحة فلابدّ أن يحصل بين الكسرة المتقدمة والألف الممالة فاصل "[7]، ويتضح ذلك في ضوء النسيج المقطعي للمفردات القرآنية التي استشهد بها أصحاب القراءات القرآنية بتشكيل

(1) إتحاف فضلاء البشر : 114، وينظر : النشر : 2/ 56.
(2) ينظر: النشر: 2/ 58.
(3) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 113.
(4) الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه : 177.
(5) الكتاب : 4/ 117.
(6) الكتاب : 4/ 117.
(7) النشر : 2/ 32-33.

(مقطع قصير مفتوح) للمقطع اللاحق للألف الممالة، ومن هذا النوع، ما ذكره البحث في مواضع كثيرة، نقتصر على بعضٍ منها في سبيل معاينة موضع الكسرة بالنسبة إلى الألف الممالة، مبينين نوعية الإمالة فيها، وعلى وفق الآتي:

• نهارِ قبل الإمالة ← **ن ـَـ/ هـ ـَـ/ رِـــ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ وبعدها ← ن ـَـ/ هـ ـِـ/ رِـــ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• دارِ قبل الإمالة ← **د ـَـ/ رِـــ/ ← ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **د ـِـ/ ر ـِـ/** ← ص ح ح/ص ح/ (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• دينارِ قبل الإمالة ← **د ـِـ/ ن ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **د ـِـ/ ن ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• غارِ قبل الإمالة ← **غ ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **غ ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• قهّارِ قبل الإمالة ← **ق ـَـ هـ/ هـ ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **ق ـَـ هـ/ هـ ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

نرى أنَّهُ قد تشكّل من نسيج هذه المفردات للمقطع اللاحق للألف بعد إمالته إلى الياء مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح) (رِـــ)، بإمالته إمالة رجعية لتأثر الألف بما بعده، وعلّة ذلك هو مجاورة الألف للمقطع اللاحق، مما أدَّى هذا التأثير إلى الاقتصاد في الجهد العضلي للناطق؛ وذلك "لمّا وقعت الكسرة بعد الألف، قرَّب الألف نحو الياء... ليعمل اللسان عملاً واحداً مُتَسفِلاً، فذلك أخف من أن يعمل متصعداً بالفتحة والألف، ثم يهبط مُتَسفِلاً بكسرة الراء...، ولم يستثقل التسفل بعد التصعد وإنَّما الذي يثقل في اللفظ هو مثل التصعد بعد التسفل"[1]، وكان سبب عمل اللسان عملاً واحداً بحركة الكسر، وذلك تأثيراً بكسرة المقطع اللاحق (الراء)، مما جوّز الإمالة فيها مشكّلاً مقطعاً مقبولاً في العربية (مقطعاً قصيراً مفتوحاً) (ص ح)، وقد استنبطت الدكتورة مي الجبوري من آراء النحاة القُدماء والقرّاء[2] ما يخص إمالة الألف التي بعدها راء متطرفة مكسورة بكسر إعراب، بجعل قوة الكسرة التي فيها مقام كسرتين، إذ تقول : "فترقيق الراء إمالة وهي ترقق إذا كسرت والإمالة مِيل بها نحو الكسر ففي الراء المكسورة قوة كسرتين كسرتها وكسرة إمالتها وبهذا اشبهت الياء لأنَّها ضعف الكسرة والراء تخرج كأن كسرتها مضاعفة

(1) الكشف : 1/ 170-171.
(2) ينظر : الكتاب : 4/ 142، والكشف : 1/ 209.

بإمالتها وكسرتها"[1] فيما نجد الدكتور عبد العزيز علي سفر؛ يعلل إمالة القرّاء لهذا النوع تعليلاً دقيقاً لقوع الكسرة على الراء بعد الألف بقوله : "إنَّهُ لمّا وقعت الكسرة بعد الألف، قرُب الألف نحو الياء لتقرب من لفظ الكسر؛ لأنَّ الياء من الكسر، ولم يُمْكن ذلك حتى قرُبَت الفتحةُ التي قبل الألف نحو الكسر، فحسُن ذلك ليعمل اللسان عملاً واحداً متسفلاً، فذلك أخف من أن يعمل متصعداً بالفتحة والألف ثم يهبط متسفلاً بكسرة الراء، وهو مع الراء أحسن؛ لأن الكسرة عليها قوية كأنها كسرتان فقويت الإمالة لذلك مع الراء؛ لأنها حرف تكرير، الحركة عليها مقام حركتين"[2].

ثانيا : إمالة الألف بعدها كسرة بناء متطرفة :

أمال القرّاء كثير من المفردات القرآنية التي بعد ألفها كسرة، وليست الكسرة فيها إعراباً على الراء، بل هي بناء ونعني بهذا أنّ الكسرة جاءت تشكيلاً للذات الثابتة للفظة ولم يكن مجيؤها ذاتاً متحركة للإعراب، ومن هذا النوع "ما تفرد بإمالته أبو عمرو الدوري عن الكسائي"[3]، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾(سورة الصف:14)، و﴿جَبَّارِينَ﴾(سورة المائدة : 22)، و﴿سَارِعُوا﴾(سورة آل عمران:133)، و﴿نُسَارِعُ﴾(سورة المؤمنون:56)، و﴿يُسَارِعُونَ﴾(سورة آل عمران:114)، و﴿بَارِئِكُمْ﴾(سورة البقرة:54)، و﴿الْبَارِئُ﴾(سورة الحشر:24)، و﴿الْجَوَارِ﴾ (سورة الشورى:32)[4]، ومما يندرج تحت هذا النوع أيضاً :

_ إمالة مما لا راء فيه نحو قوله تعالى : ﴿آذَانِهِمْ﴾(سورة البقرة:19)، و﴿آذَانِنَا﴾(سورة فصلت:5)، و﴿طُغْيَانِهِمْ﴾(سورة البقرة:15)[5].

_ إمالة "ما تفرد به هشام من إمالته الخمسة مواضع : ﴿مَشَارِبُ﴾(سورة يس:73)، ﴿آنِيَةٍ﴾(سورة الغاشية:5)، و﴿عَابِدٌ﴾(سورة الكافرون:4)، و﴿عَابِدُونَ﴾(سورة الكافرون:5)، في ﴿قل يا إيها الكافرون﴾(سورة الكافرون : 1)...وقوي ذلك لأن الكسرة بناء لازمة لا تتغير.

_ ما تفرد به ابن ذكوان من إمالة : ﴿الْمِحْرَابِ﴾(سورة آل عمران:39)، إذا كان مخفوضاً، وذلك في (آل عمران، ومريم) ، أمالهما للكسرة التي بعد الألف، وهو ضعيف من وجهين : أحدهما أن الراء إذا انفتحت قبل الألف تمنع الإمالة، والثاني أن الكسرة إعراب غير لازمة"[6]، ويبرر مكي بن أبي طالب القيسي سبب قوة الإمالة فيها بقوله : "ولكن تَتَقوى إمالة ﴿المِحرابِ﴾ قليلاً للكسرة التي على الميم، وللكسرة على الباء، وكلاهما يوجب الإمالة فلما اجتمعا قويت الإمالة بعض القوة"[7]، ويقول ابن أبي مريم (ت 565ه) في علّة إمالتها: "فإنّما أمالها لكسرة الإعراب، ولا تمنعُ أمالتها فتحةُ الراء؛ لأنَّها ليستْ كالحرف

(1) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 131-132.
(2) الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية : 107-108.
(3) الكشف : 1/ 171.
(4) ينظر : النشر : 2/ 38-39.
(5) ينظر : الكشف : 1/ 171.
(6) الكشف : 1/ 172.
(7) المصدر نفسه : 1/ 172، وينظر : الفتح والإمالة : 88.

المُستعلي في منعِ الإمالةِ، ثم إنَّ هذه الكلمةِ قد تنقلبُ ياءً في الجمعِ والتصغيرِ، كقولك : مَحارِيبُ ومُحَيْرِيب، فأجراها مجرى ما أصلُهُ الياءُ، ثم إنَّهُ إذا كانتِ الإمالةُ تحسُن لكسرةِ الإعرابِ فيما أصلُهُ من الواو ولا شَبَهَ فيه من الياء نحو : بَابٍ ومَالٍ ونَاسٍ فلأَنْ تحسُنَ فيما ليس أصله من الواو وفيه شَبَهٌ من الياء أولى"[1].

ويتضح ذلك في ضوء المقطع الصوتي، بتحديد موقع الكسرة، وما يمثله قربها من الألف في المقطع اللاحق لها على النحو الآتي :

• أنصاري قبل الإمالة ← **ء ـَـ ن/ ص ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/** وبعدها ← **ء ـَـ ن/ ص ـِـ/ رِـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح).

• جبارين قبل الإمالة ← **ج ـَـ ب/ ب ـَـ/ ر ـِـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **ج ـَـ ب/ ب ـِـ/ رِـِـ/ ن ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح).

• نسارع قبل الإمالة ← **ن ـُـ/ س ـَـ/ ر ـِـ/ ع ـُـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/** وبعدها ← **ن ـُـ/ س ـِـ/ ر ـِـ/ ع ـُـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• مشارب قبل الإمالة ← **م ـَـ/ ش ـَـ/ ر ـِـ/ ب ـُـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/** وبعدها ← **م ـَـ/ ش ـِـ/ ر ـِـ/ ب ـُـ/** ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح/ (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

• المحراب قبل الإمالة ← **ء ـَـ ل/ م ـِـ ح/ ر ـَـ/ ب ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **ء ـَـ ل/ م ـِـ ح/ ر ـِـ/ ب ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) شكّلَ مقطعاً قصيراً مفتوحاً (ص ح).

وفي ضوء استقرائنا النسيج المقطعي المتشكّل لهذه المفردات تبيّن لنا أنّهُ تشكّل منها مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، ومقطعاً قصيراً مفتوحاً(ص ح) للكسرة في المقطع اللاحق للألف بعد إمالته، وموقع الكسرة في المقطع اللاحق للألف الممالة من المقاطع الصوتية المجوّزة للإمالة والمناسبة لتحقيق هذه الظاهرة، إذ قويت الإمالة في النسيج المقطعي للمفردات القرآنية التي ورد ذكرها؛ ذلك لأنَّ "اجرى كسرة البناء مجرى كسرة الإعراب، والإمالة مع كسرة البناء أقوى؛ لأنّها كسرة لازمة لا تتغير، وكسرة الإعراب لا تلزم، إلا في حالة الخفض، فهي أضعف"[2]، فأجريت الإمالة فيها؛ "ليعمل اللسان عملاً

(1) الموضح في وجوه القراءات وعللها : نصر بن علي بن محمد المعروف بابن أبي مريم : 257.
(2) الكشف : 1/ 171.

واحداً"[1]، هذا بالإضافة إلى ما في النسيج للإمالة من القرب المقطعي للكسرة بالنسبة إلى الإلف، ودليله قول ابن يعيش : "كلّما كانت الكسرة أو الياء أقربَ إلى ألفه، فالإمالةُ ألزمُ له"[2] .

الألف بين راءين :

وقعت الألف بين راءين، الأولى مفتوحة، والثانية مجرورة، من ذلك ما تكررت فيه الراء نحو قوله تعالى : ﴿الْأَبْرَارِ﴾(سورة آل عمران: 193) المجرورة ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾(سورة المؤمنون: 50)، و﴿مِنْ قَرَارٍ﴾ (سورة إبراهيم: 26)، و﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾(سورة ص: 62)، إذا كان مخفوضاً، قرأه أبو عمرو وابن ذكوان من طريق الصوري والكسائي وخلف بالإمالة، وقرأه الأزرق بالتقليل[3]، وحجة من قرأ في مثل هذا هي "للكسرة التي بعد الألف وقوي ذلك، لأنَّ الكسرة على الراء أقوى منها على غيرها، للتكرير الذي في الراء، وانفتاح الراء قبل الألف يضعف الإمالة فيه، لكن لمّا أوجبت إمالة الألف أن يُنحى بفتحة الراء إلى الكسر، حسن قليلاً الإمالة فيه"[4]، ويتضح ذلك عَبرَ ملاحظة موقع الكسرة في المقطع اللاحق لنسيج المفردات القرآنية، بتطبيق، لاستيضاح تحقق الظاهرة عبر دراستها في ضوء المقطع الصوتي، وعلى وفق الآتي :

• أبرار قبل الإمالة ← **ء ـَـ ب/ ر ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **ء ـَـ ب/ ر ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) وقعت في مقطع قصير مفتوح (ص ح).

• قرار قبل الإمالة ← **ق ـَـ/ ر ـَـ/ ر ـِـ ن/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/** وبعدها ← **ق ـَـ/ ر ـِـ/ ر ـِـ ن/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) وقعت في مقطع متوسط مغلق (ص ح ص).

• أشرار قبل الإمالة ← **ء ـَـ ش/ ر ـَـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** وبعدها ← **ء ـَـ ش/ ر ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/ص ح/** (الكسرة في المقطع اللاحق إمالة رجعية) وقعت في مقطع قصير مفتوح (ص ح).

نلحظ أنَّهُ قد تشكّلَ من تقطيع المفردات القرآنية مقطعاً قصيراً مفتوح (ص ح)، ومقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) موافقاً لجواز تحقق الإمالة؛ وذلك فإنّهُ يمكن إرجاع سبب الإمالة لما في نطق الراءين المجتمعتين من الثقل، ويترتب على هذا الثقل تتابع الصوائت المتجاورة في بِنْية الكلمة متمثلةٌ بـ (صائت الفتحة القصيرة لمقطع الراء الأولى + مقطع الألف الطويلة + صائت الكسرة القصير لمقطع الراء الثانية)، وعند النطق فإنَّهُ

(1) المصدر نفسه : 1/ 172.
(2) شرح المفصل : 5/ 191.
(3) ينظر : الكشف : 1/ 172، وإتحاف فضلاء البشر : 114، والتيسير : 53.
(4) الكشف : 1/ 172.

على المؤدي أن يبذل جهداً عضلياً كبيراً، لاسيّما أن الراء الثانية المكسورة تقوم مقام كسرتين، فحتم على المؤدي أن يعدل بالكلمة للإمالة، فتوافر المناخ الصوتي الملائم طلباً لخفة النطق بعمل اللسان من وجه واحد.

إمالة الألف التي يُكسر ما قبلها في بعض الأحوال :

ومما تفرد بإمالته حمزة في عينات الأفعال نحو : ﴿زَادَتْهُ﴾(سورة التوبة: 124)، و﴿خَابَ﴾(سورة إبراهيم: 15)، و﴿شَاءَ﴾(سورة البقرة: 20)، و﴿جَاءَ﴾(سورة النساء: 43)، و﴿طَابَ﴾(سورة النساء: 3)، حيث وقع، ونحو : ﴿زَاغَ﴾(سورة النجم: 17)، و﴿زَاغُوا﴾(سورة الصف: 5)، وفي هذين الموضعين من زاغ خاصةه [1]، قال مكي بن أبي طالب القيسي : "أمال حمزة الألف من ذلك كلّه نحو الياء، والفتحة التي قبلها نحو الكسرة في جميعها، وواقعه ابن ذكوان في (جاء، وشاء) حيث وقعا، وعلى إمالة (زاد) في أول سورة البقرة خاصة"[2]، وقال ابن الجزري في قراءة الأفعال الثلاثة (شاء، وجاء، وزاد) "اختلف عن هشام في شاء وجاء وزاد فأمالها الداجوني وفتحها الحلواني"[3]، وفي الفعل (خاب) قال: "أماله صاحب التجريد والروضة والمبهج وابن فارس وجماعة وفتحه ابن سوار وأبو العز والحافظ أبو العلاء وآخرون"[4]، أما الفعل (زاغ)، فقرأه "إسماعيل والمسيبي بين اللفظين"[5]، وعلّل مكي بن أبي طالب القيسي الإمالة في هذه الأفعال بقوله : "وعلّة الإمالة في ذلك أنه أمال، ليدل على أن الحرف منها ينكسر، عند الإخبار في قولك (جِئت، وشِئت، وخِفت، وزِغت، وطِبت، وضِقت، وخِبت) فدل بالإمالة على أن الأول مكسور منها عند الإخبار، فعملت الكسرة المقدرة، فأميلت الألف لها"[6].

على ما يبدو، فإنَّ النظرة القديمة عَدّت الفعلان (جاء، وشاء)، وجعلتهما من أكثر الأفعال التي يصعب فيها تحقيق الإمالة. لكن الرؤية الصوتية الحديثة فنَّدت هذا الادعاء فلا ترى تكلفاً كون الجهد المبذول في عمل الجهاز الصوتي عند تحقيق الإمالة فيهما أقل مما عليه في إمالة غيرهما؛"لأنَّ الهمزة هي انطباق تام للحظة ثم انفراج في الوترين الصوتيين اللذين كانا في حالة ذبذبة للإمالة أي انطباق وانفراج سريع جداً ثم بعد التوقف للهمزة يعودان للأنفراج ثم الانطباق والانفراج السريع من أجل جهر الفتحة. فالعملية ايسر نسبياً من أعمال أعضاء أخرى في الجهاز الصوتي بعد الألف الممالة"[7].

وبيّن مكي بن أبي طالب القيسي التفاوت في مستوى القوة لباقي الأفعال عندما علّل ذلك بقوله : "ثم يلي إمالة (شاء، وجاء) في القوة باقي الأفعال المذكورة، إلا (خاف) فهي دون أخواتها في قوة الإمالة، لما نذكره لك، وذلك أن (طاب، وخاب، وضاق، وزاغ، وحاق، وزاد)، أميلت لعلل ثلاث : أحدها أن أوائلها تنكسر عند الإخبار عن المتكلم في

(1) الكشف : 1/ 174.
(2) المصدر نفسه : 1/ 174.
(3) النشر : 2/ 60، وينظر : التذكرة : 142، والتيسير : 49-50.
(4) النشر : 2/ 60، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 117.
(5) التذكرة : 143.
(6) الكشف : 1/ 174.
(7) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 130.

قولك، (زِدت، وخِبت، وطِبت، وضِقت، وزِغت)، والثاني أن عيناتها كلّها أصلها الياء. والثالثة أن العين في المستقبل في جميعها مكسورة، فقويت الإمالة فيها، لاجتماع هذه العلل الثلاث"[1]، وبعد أن بين العلل الثلاث لدرجة قوة الإمالة في هذه الأفعال ذكر أقلّها قوة في الإمالة وهو الفعل (خاف)، إذ يقول فيه : "ثم دون ذلك في قوة الإمالة (خاف)؛ لأنّها أميلت لعلتين: إحداهما أن الأول منهما ينكسر في الإخبار في قولك: خِفت، والثانية أن عين الفعل منها أصله الكسر، فأميلت لعلتين فقط"[2]، لقد حَضَتْ هاتان العلتان الفعل خاف ومنحته أفضلية الإمالة على الرغم من وجود صوت الاستعلاء (الخاء) السابقة للألف الممالة، وفي ذلك يقول عبد الوهاب بن محمد القرطبي في جواز ذلك : "ثم إعلم أن الأفعال لما كان بابها التصرف جوّز في بعضٍ منها الإمالة مع وجود الحرف المستعلي فيما يلي الألف منه، وذلك نحو: طاب وخاف وصار"[3]، ومن المحدثين جان كانتنيو فقد تردد في قبول هذا التفسير بقوله : "وفي ذلك ما فيه من الغرابة إذ لا يطابق النطق الحالي البتة"[4]، فالتصوّر الحديث للفعل (خاف)، جاء على سبيل المخالفة الصوتية، من الناحية النطقية، بيّنه الدكتور سمير شريف إستيتية، عندما قال : "لكننا نرى أنها أميلت على سبيل المخالفة. فالخاء صوت خلفي، إذ موضع نطقه في منطقة الطبق حين يكون مرققاً، وهو لهوي حين يكون مفخماً. وهو أي الخاء في كلمة (خاف) لهوي لأنَّه صوت مفخم، وعلى ذلك فالألف خلفية لأنها مفخمة. وعندما تمال ألف (خاف)، فإنها تصبح أمامية، وبذلك تخالف الخاء"[5]، وقد جاءت الإمالة في هذا الموضع مراعاة للكسرة على حسب رأي القدماء، يقول ابن أبي مريم (ت 565ه) : "إنما جوزوا الإمالة في هذه الأفعال لأجل الكسرة في خِفت وطِبت وصِرت"[6]، وقال الدكتور عبد العزيز ناصر السبر: "وأمّا ما يكسر في حال من الأحوال نحو : (صاير)، و(خاف) ؛ أنك تقول : (صير)، و(خَيَفَ)، و(صِرتَ)، و(خِفتَ) فحسنت الإمالة فيه لمراعاة الكسرة"[7]، ومن شروط الإمالة التي يكفها المانع هو "أن لا يكون سببها كسرة مقدرة ولا ياء مقدرة؛ فإن السبب المقدر هنا لكونه موجودًا في نفس الألف أقوى من الظاهر؛ لأنَّهُ إما متقدم عليها، أو متأخر عنها، فمن ثم أميل، نحو: خاف وطاب وحاق وزاغ"[8].

وقد جاء تعليلهم على إعمال الكسرة المقدرة في إمالة الأفعال (جِئت وخِفت وشِئت) فدل بالإمالة على كسر فاؤها عند الإخبار، فعملت الكسرة المقدرة فأميلت الألف لها[9]، وليست الكسرة وحدها سبباً في إمالة هذه الأفعال، فلكل من هذه الأفعال علله المجتمعة فيه، قال مكي بن أبي طالب القيسي : "وقد يأتي من الإمالة ما تتبع فيه الرواية، ولا تقوى فيه علّة"[10]، ومن الصعب كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس : "أن نبرر من الناحية

(1) الكشف : 1/ 175.
(2) المصدر نفسه : 1/ 175.
(3) الموضح في التجويد : 212.
(4) دروس في علم أصوات العربية : 159.
(5) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 230.
(6) الموضح في في وجوه القراءات وعللها : 212.
(7) كتاب المبهج : أطروحة دكتوراه : د. عبد العزيز ناصر السبر : 234.
(8) ضياء السالك إلى أوضح المسالك : 312 .
(9) ينظر: الكشف : 1/ 175.
(10) الكشف : 1/ 176.

الصوتية، ما زعمه بعض النحاة من جواز الإمالة فيما أصله واو مثل(خاف)؛ لأن الإمالة في مثل هذه الحالة كان حقها أنْ تكون من الفتح إلى الضم، لا من الفتح إلى الكسر"[1]، وسنلاحظ العمل النطقي المُعَبَّر عنه بالمقطع الصوتي في بعض المفردات القرآنية التي استأنس البحث في ذكرها لهذا النوع من الإمالة في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية، وعلى وفق الآتي

• جِئْتُ : من الأصل "جَيَأَ"[2] ← **ج ـَـ/ ي ـَـ/ ء ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/**

نلحظ أنه وقعت شبه الحركة (الياء) بين حركتين قصيرتين متماثلتين (فتحتين) ليستا من جنس الياء، وجودها في مقطع كهذا يضعفها فتسقط ج ـَـ/ ø ـَـ/ ء ـَـ/، وبعد السقوط تجتمع الحركتان لتشكلا حركة طويلة (الألف)[3]، ويصبح الفعل هكذا (جاء) ← **ج ـَـ / ء ـَـ /** وممن يدعي أنّ هناك إمالة شديدة في هذا الفعل حينما يسند إلى ضمير الرفع المتحرك فيكون على (جِئْتُ) ليس من الحقيقة في شيء، وإنَّما الذي حصل في ضوء المقطع الصوتي العربي هو توالي أربعة مقاطع صوتية متماثلة من نوع المقطع القصير القصير وهذا ما تتحاشاه العربية[4]، وتتخلص منه بالمخالفة بين المقاطع المتماثلة، وذلك بتسكين لأحد الأصوات المتحركة [5]، وفي ضوء عمليات التحول الداخلي للفظة يكون على النحو الآتي :

• جَيَأْتُ ← **ج ـَـ/ ي ـَـ/ ء ـَـ/ ت ـُـ/** وبعد سقوط شبه الحركة (الياء) وتسكين المقطع الثالث (ء ـَـ) فنسيجها المقطعي يكون :

ج ـَـ/ ø ـَـ/ ء ـْـ/ ت ـُـ/

↓

جاءْتُ ← **ج ـَـ ء/ ت ـُـ/**

تبيّن للبحث أنها شكلت سياقاً صوتياً مرفوضاً عبارة عن مقطع مديد مفرد الأغلاق (ص ح ح ص) في بداية التركيب اللغوي (/ج ـَـ ء/)؛ لأنَّهُ لا يكون إلا آخراً حال الوقف[6]، وقد عُولجَت صورته عند عُلماء الصوت المحدثين، قال بروكلمان : "وفي المقاطع المغلقة لا تتحمل اللغات السامية أصلاً إلاّ الحركات القصيرة، فإذا جاء بناء الصيغة حركة طويلة في مقطع مغلق فإنها تقصّر"[7]، فتعمد العربية إلى تقليل كمية

(1) في اللهجات العربية : 68-69.
(2) جمهرة اللغة : مادة (جيأ) : 1/ 231.
(3) ينظر : تأملات بعض ظواهر الحذف الصرفي : د. فوزي الشايب : 59.
(4) ينظر : أثر القوانين الصوتية : 103.
(5) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 174.
(6) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.
(7) فقه اللغات السامية : لكارل بروكلمان : 43.

الصائت الطويل إلى صائت قصير "أي بتقصير الطويل إلى نصفه"[1]، وبتقصير الحركة يصبح الفعل : جَئْتُ ← **ج ـَ ء/ ت ـُ/** (/ص ح ص/، /ص ح/)، ومن ثم تكسر الجيم فيصبح الفعل : جِئْتُ ← **ج ـِ ء/ ت ـُ/** (/ص ح ص/، /ص ح/)، كون الفعل يائي العين ولأمن اللبس نشير للياء المحذوفة بالكسرة، بدلالة قول الدكتور فوزي الشايب : "فما كانت عينه ياء أو محركة بالكسر، تكسر فاؤه؛ لأنَّ الكسر والياء متجانسان"[2]. فقد شكل مقطعاً محبذاً في العربية موافقاً لما عليه الإمالة من الجواز، وتقع على شاكلتها بعض المفردات منها : **(شِئْتُ) و(طِبْتُ) و(زِغْتُ) و(ضِقْتُ) و(خِبْتُ)** وغيرها.

أمّا خِفْتُ : فهو في الأصل "خَوِفَ"[3] أصل الألف فيه واو فيكون الفعل على (خَوِفَ) "بِالْوَاوِ مَكْسُورَةً"[4]، ولابدّ هنا من "تحول الحركة التالية لشبه الحركة لتماثل الحركة السابقة"[5]، ويعني النواة المشكلة لشبه الحركة (الواو) وهي الصائت القصير (الكسرة) تماثل حركة المقطع الأول (/خ ـَ/) لتكون فتحة مثلها، فهنا تقع (الواو) شبه الحركة بين حركتين قصيرتين متماثلتين فتحتين ليس من جنسهما فتضعف وتسقط "بسبب الصعوبة المقطعية"[6]، إذ أنَّ نسيجها المقطعي وهي على الأصل قبل سقوط شبه الحركة (الواو) على وفق الآتي:

- **خَوِفَ ← خ ـَ/ و ـِ/ ف ـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** وعند تماثل الحركة تكون **← خ ـَ/ و ـَ/ ف ـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/**

نرى أنّهُ عندما أُسْقطت الواو حصل التقاء بين حركتين متماثلتين (فتحتين)، لأحداث صائت طويل من جنسهما فيكون (خَافَ) : خ ـَـَ/ ف ـَ/ بمقطعين متوسط مفتوح وقصير، وعند أسناد الفعل وهو على أصله إلى ضمير الرفع المتحرك (تُ) قبل سقوط شبه الحركة منه (الواو) وتحولها إلى حركة طويلة يكون على وفق الآتي:

- **خَوِفْتُ ← خ ـَ/ و ـِ/ ف ـَ/ ت ـُ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ص ح** وبعد تماثل الحركة يكون **← خ ـَ/ و ـَ/ ف ـَ/ ت ـُ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ص ح**

من ذا نلحظ أنّهُ قد تشكلت أربعة مقاطع صوتية قصيرة متتابعة وهذا ما تتجنب وقوعه العربية في التركيب اللغوي، فتلجأ إلى (التسكين)[7]، فسكّن المقطع الثالث (/ف ـَ/)؛ لأنَّ المقاطع الأخيرة تتحمل أن تكون متوسطة أو طويلة بخلاف مقاطع بداية التركيب اللغوي، وكذلك لا يمكننا إسكان قاعدة المقطع الأول؛ لأن العربية لا تبدأ بساكن، وكذلك لا يمكننا إسكان عين الفعل الماضي الثلاثي؛ لأنّ عينه لا تأتي إلا متحركة، فيكون

(1) المقطع الصوتي في العربية : 112.
(2) تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي : 59.
(3) العين : 1/ 452، وينظر : لسان العرب : مادة (خوف) : 9/ 99.
(4) لسان العرب : مادة (خوف) : 9/ 99.
(5) الحركات في اللغة العربية (دراسة في التشكيل الصوتي) :115.
(6) المنهج الصوتي للبنية العربية : 83.
(7) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية :174، وأثر القوانين الصوتية : 131.

نسيجها المقطعي على وفق الآتي : **خ ـَـ/ و ـَـ/ ف ـْـ/ ت ـُـ/ ← ص ح/ص ح/ص/ص ح/**

وبتماثل الحركة وسقوط شبه الحركة (الواو) يكون : **خ ـَـ/ ø ـَـ/ ف ـْـ/ ت ـُـ/** فيصبح الفعل ← خافْتُ ← **خ ـَـ ف/ ت ـُـ/← ص ح ح ص/ص ح/.**

نلحظ أنَّهُ قد شكل مقطعاً طويلاً مفرد الأغلاق (ص ح ح ص) في بداية التركيب اللغوي (/خ ـَـ ف/) من المقاطع التي ترفض العربية وجودها في أولى مقاطع التركيب؛ لأنّهُ أقتصر على حالة الوقف[1]، وفي مثل هذه الصورة تعمد العربية إلى تقليل كمية الصائت الطويل إلى صائت قصير[2]، ليكون الفعل على **خَفْتُ ← خ ـَـ ف/ ت ـُـ/.**

وهنا تعمد العربية إلى التمييز بين الأفعال "فما كانت عينه ياءً أو محركة بالكسر تكسر فاؤه، لأنَّ الكسر والياء متجانسان"[3]، وعليه يكون نسيجها المقطعي على وفق الآتي : **خ ـِـ ف/ ت ـُـ/** مشكلاً نوعاً من المقاطع العربية المحبذة، موافقاً لما عليه الإماله من الجواز.

ما أميل لتدل أمالته على أصله :

تعرّض أصحاب القراءات في طيات كتبهم لمثل هذا النوع من الإمالة، لذا نجد مكي بن أبي طالب القيسي يقول : "على هذه العلّة تجري أكثر الإمالات، وذلك أن تكون الألف أصلها الياء، أو تكون الألف للتأنيث، فتجب الإمالة لتدل على أصل الألف، أو على أن الألف في حكم ما أصله الياء، وذلك في باب واسع"[4]، ومن النحاة من جعله من بنات الياء والواو، يقول سيبويه : "ومما يميلون ألفه كل شيءٍ من بنات الياء والواو"[5]، سواء أكان اسماً أو فعلاً، ومما كان ألفه منقلب من ياءٍ أو واوٍ نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا﴾(سورة آل عمران:15)، و﴿ثُمَّ دَنَا﴾(سورة النجم:8)، و﴿وَإِذَا خَلَا﴾(سورة البقرة:76)، و﴿رَمَى﴾(سورة الأنفال:17)، و﴿وَصَّى﴾(سورة البقرة: 132)، و﴿سَعَى﴾(سورة البقرة:114)، و﴿إِنَّ الصَّفَا﴾(سورة البقرة:158)، و﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾(سورة النور:43)، و﴿مُرْسَاهَا﴾(سورة الأعراف:187)، و﴿مَجْرَاهَا﴾(سورة هود:41)(6)، وما شبهه.

ويمكن معرفة الألفات المنقلبة عن ياءٍ أو واوٍ في الاسماء والأفعال، ذلك بأحد أربعة أشياء "بالاسم الذي أخذت الكلمة منه، أو بالفعل، أو بالتثنية، أو بالجمع، فإن ظهرت الواو في كل ذلك أو في شيء منه، فهي أصل الألف، وإنْ ظهرت الياء فهي أصلها أيضاً"[7].

ففي الشواهد القرآنية التي أوردناها كانت لمّا أصله يائي، وما أصله واوي، نحو: عفا تصبح عفوت، ودنا تصبح دنوت، وخلا تصبح خلوت، فظهرت الواو في التثنية والفعل

(1) ينظر : الأصوات اللغوية : 93.
(2) ينظر : المقطع الصوتي في العربية : 112.
(3) تأملات في بعض ظواهر الحذف الصرفي : 59.
(4) الكشف : 1/ 177.
(5) الكتاب : 4/ 118.
(6) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 103.
(7) جامع البيان : 302.

والاسم، وفي رمى تصبح رميت، وسعى تصبح سعيت، الذي هو من الياء، فظهرت الياء في الفعل والتثنية والاسم، وفي مجراها ومرساها، أصبحت أجريت وأرسيت، فقد ظهرت الياء في الفعل من ذلك[1]، فالعلّة الصوتية لقلب الواو والياء ألفاً، قال بها ابن جني وهي: "إن الواو والياء متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين"[2]، كما وضّح العلّة من كراهية اجتماع أشياء ثلاثة متجانسة عندما قال : "فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة، وهي الفتحة، والواو أو الياء، وحركة الواو والياء، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة، وهو الألف، وسوّغها ايضاً انفتاح ما قبلها. فهذا هو العلة في قلب الواو والياء في نحو: قام وباع"[3]، هذا فيما يخص التصوّر الصوتي القديم لعلّة قلب الواو والياء ألفاً، أمّا التصوّر الصوتي الحديث لهذه العلّة فمنهم من عدها من قبيل الانزلاق الحركي، قال الدكتور عبد الصبور شاهين أن: "كل من الواو والياء هو في الحقيقة انزلاق بين الحركات المتوالية، وهو انزلاق لم يسغه الناطق العربي، فقد اسقطه في استعماله الفعلي"[4]، فالمحدثون قالوا بأسقاط الحركة هروباً من ثلاثية الحركة، إلى الحركة الطويلة وذلك "كأن الواو أو الياء مع الفتحتين حركة ثالثة وتتابع الحركات ثقيل في النطق لذلك تحذف فتبقى الفتحتان معاً فتكونان فتحة طويلة"[5]، نحو قَوَمَ تصبح قام، وبَيَعَ تصبح باع، وقد عللهما الدكتور عبد الصبور شاهين بقوله:"فكلمة مثل: قَوَمَ (qa+u+ama) اجتمعت فيها حركة ثلاثية، نشأ عن اتصال أجزائها (واو). فإذا سقطت الضمة، انتفى الانزلاق، واتصلت الفتحتان القصيرتان قبلها وبعدها لتصبح الكلمة: قام: (qaama)، فكل ما حدث هو إسقاط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروباً من ثلاثية الحركة، إلى الحركة الطويلة"[6]، وجاء تعليله لكلمة بَيَعَ بالإجراء نفسه: وهو "حذف الحركة الوسطى، فتلقى الحركتان (الفتحتان) لتصبحا فتحة طويلة هي باع (baa'a)"[7].

فالدكتور عبد الصبور شاهين يرى أنَّ الواو والياء حركات، بينما هما أشباه حركات، فتحذف لضعفها عند وقوعها بين حركتين متماثلتين أصلاً أو متماثلتين نتيجة للتطور اللغوي[8]، وذكر أصحاب كتب القراءات المواطن التي تمال بها الألف المنقلبة من أصلها عن ياءٍ أو واوٍ سواء أكانت في اسم أو فعل، ففي الاسم "لا يخلو من أن يكون ثلاثياً أو مَزِيداً. والمزيد لا يخلو أن يكون واحداً أو جمعاً"[9]، أما الفعل فينقسم "ماضي ومضارع، والماضي ينقسم إلى ثلاثي ومزيد..."[10] ، وقد رُتبت على وفق الآتي:

في الأبنية الثلاثية من الأسماء والأفعال :

(1) ينظر : المصدر نفسه : 302.
(2) الخصائص : 1/ 147.
(3) سر صناعة الإعراب : 1/ 37.
(4) المنهج الصوتي للبنية العربية : 114.
(5) الهامش من التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : 54.
(6) المنهج الصوتي للبنية العربية : 194-195.
(7) المصدر نفسه : 195.
(8) ينظر : الحركات العربية (دراسة في التشكيل الصوتي) : 125.
(9) الأقناع : 174.
(10) المصدر نفسه : 178.

بوّبها أصحاب القراءات على أساس ما تقتضيه الأبنية الصرفية وأوزانها، ومثّلوا لها على وفق مصطلحات للدلالة عليها وهي :

أولاً : في الثلاثي من الأسماء :

وفيه قال ابن الباذش : "فالثلاثيُّ ما كان منه من ذوات الواو اتَّفقوا على فَتْحه وما كان من ذوات الياء فله مثالان (فَعَلٌ، وفُعَلٌ) بلا هاء، وبهاء التأنيث"(1).

وتمثيل ذلك :

فَعَلٌ : بفتح الفاء كقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾(سورة ص:26) حيث وقع، و﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ (سورة الأعراف:176)، و﴿الثَّرَى﴾(سورة طه:6)، و﴿لِفَتَاهُ﴾(سورة الكهف:60)، و﴿الْعَمَى﴾(سورة فصلت:17)، و﴿مَتَى﴾ (سورة السجدة:28)، حيث وقعت، و﴿لِلشَّوَى﴾(سورة المعارج:16)، و﴿لَظَى﴾(سورة المعارج:15)، وما أشبهه، وجملته خمسة وعشرون موضعاً.

فُعَلٌ : بضم الفاء وفتح العين كقوله تعالى: ﴿بِالْهُدَى﴾ (سورة البقرة:16) حيث وقع، و﴿الْعُلَى﴾(سورة طه:4)، و﴿الْقُوَى﴾(سورة النجم:5)، و﴿النُّهَى﴾(سورة طه:54)، و﴿ضُحَاهَا﴾(سورة الشمس:1)، و﴿الضُّحَى﴾(سورة الضحى:1).

فُعَلَة : بضم الفاء وفتح العين في موضعين لا غير كقوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ تُقَاةً﴾(سورة آل عمران:28)، و﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾(سورة آل عمران:102)، والأصل فيهما وقية؛ لأنها من وقيت فأُبدلت الواو تاء وقلبت الياء ألفاً(2).

إذ إنّ أصل الألف في هذه الأبنية من الأسماءِ ياءٍ(3)، ومجيء الفتحة بعدها مشكلاً المقطع القصير المفتوح (ص ح)، (هَوَيَ، ثَرَيَ، فَتَيَ، عَمَيَ، مَتَيَ، شَوَيَ، لَظَيَ، هُدَيَ، عُلَيَ، قُوَيَ، نُهَيَ، ضُحَيَ، تُقَيَ)، ويمكن توضيح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض هذه الأبنية على وفق الآتي :

- هَوَيَ ← **هـ ـَ/ وـَ/ ي ـَ/** ← **ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- قُوَيَ ← **ق ـُ/ وـَ/ ي ـَ/** ← **ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- تُقَيَ ← **ت ـُ/ ق ـَ/ ي ـَ/** ← **ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

وبعد وقوع الياء بين صائتي الفتحة السابقة واللاحقة أُسقطت على وفق الآتي :

(1) الأقناع : 175، وينظر : جامع البيان : 303.
(2) ينظر : جامع البيان : 303-304، والتذكرة : 103.
(3) ينظر : الأقناع : 174و175و176و177.

- هَوَيَ ← **هـ ـَـ/ و ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**
- قُوَيَ ← **ق ـُـ/ و ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**
- تُقَيَ ← **ت ـُـ/ ق ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**

نلحظ أنّهُ قد بقي المقطع الثالث بقمة من دون قاعدة بعد إسقاط (شبه الحركة) الياء وبذلك تم اتحاد الفتحتين ليشكلا فتحة طويلة هو (الألف) مكوناً مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح) في آخره، ويتضح ذلك في هذه الأبنية على وفق الآتي:

- هَوَى ← **هـ ـَـ/ و ـَـ/** ← ص ح/ص ح ح/ فيه مقطع متوسط مفتوح
- قُوَى ← **ق ـُـ/ و ـَـ/** ← ص ح/ص ح ح/ فيه مقطع متوسط مفتوح
- تُقَى ← **ت ـُـ/ ق ـَـ/** ← ص ح/ص ح ح/ فيه مقطع متوسط مفتوح

ثانياً : في الثلاثي من الأفعال :

وجاء عند أصحاب القراءات في بناء واحد، وتمثيل ذلك قوله تعالى : ﴿قَضَى﴾(سورة البقرة:117)، و﴿أَبَى﴾(سورة البقرة:34)، و﴿سَعَى﴾(سورة البقرة:114)، و﴿فَغَوَى﴾(سورة طه:121)، و﴿رَمَى﴾(سورة الأنفال:17)، و﴿عَصَى﴾(سورة طه:121)، ومما ينصرف من ذلك كقوله تعالى: ﴿وَوَقَاهُمْ﴾(سورة الدخان:56)، و﴿أَتَاهُمْ﴾(سورة الأنعام:34)، و﴿هَدَاكُمْ﴾(سورة البقرة:185)، و﴿فَوَقَاهُ﴾(سورة غافر:45)، و﴿هَدَاهُ﴾(سورة النحل:121)، و﴿وَقَدْ هَدَانِ﴾(سورة الأنعام:80)(1).

قال ابن غلبون : "أمالها كلّها حمزة والكسائي، إلا موضعين منها، فإنهما اختلفا فيهما. أحدهما : في سورة الأنعام رأس ثمانين آية قوله عزّ وجلّ : ﴿وقد هدان﴾(سورة الأنعام : 80)، والآخر: في سورة إبراهيم عليه السلام قوله : ﴿ومن عصاني﴾(سورة إبراهيم : 36)، فإنه فتحه، وقرأ أبو عمرو، وورش ما كان منها رأس آية بين اللفظين. وما عدا ذلك بالفتح. وفتحها كلها الباقون : إلا يحيى فإنه أمال منها قوله تعالى في الأنفال: ﴿ولكن الله رمى﴾(سورة الأنفال : 17) فقط"(2)، ومما أجمع القرّاء على الفتح في الأفعال الثلاثية من ذوات الواو كقوله تعالى: ﴿دَعَا﴾(سورة الزمر:8)، و﴿خَلَا﴾(سورة البقرة:76)، و﴿عَلَا﴾(سورة القصص:4)، و﴿ثُمَّ دَنَا﴾(سورة النجم:8)، و﴿بَدَا لَهُمْ﴾(سورة الأنعام:28) حيث وقعت، وما أشبهه. إلا أربعة أفعال منها : فإنهم اختلفوا فيها وهي: قوله تعالى: ﴿تَلَاهَا﴾(سورة الشمس:2)، و﴿دَحَاهَا﴾(سورة النازعات:30)، و﴿طَحَاهَا﴾(سورة الشمس:6)، و﴿سَجَى﴾(سورة الضحى:2)، فإمال الكسائي هذه الأربعة أما

(1) ينظر : جامع البيان :305، والأقناع : 178، والتذكرة : 144.
(2) التذكرة : 144.

إسماعيل والمسيبي وأبو عمرو فقرأوا بين اللفظين، وفتح الباقون، إلا ورشاً فإنه قرأ قوله تعالى : ﴿سجى﴾(سورة الضحى : 2) بين اللفظين لأنه رأس آية[1].

فأصل الألف في هذه الأبنية الثلاثية من الأفعال ياءٍ، جاءت الفتحة (الصائت القصير) لتكون نواة للياء، ويتضح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض الأبنية الثلاثية من الأفعال على وفق الآتي :

- قَضَيَ ← **ق ـَـ/ ض ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- سَعَيَ ← **س ـَـ/ ع ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- رَمَيَ ← **ر ـَـ/ م ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- عَصَيَ ← **ع ـَـ/ ص ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

وتحذف الياء شبه الحركة في (قضي، سعي، رمي، عصي) لوقوعها بين فتحتين قصيرتين، على وفق الآتي :

- قَضَيَ ← **ق ـَـ/ ض ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**
- سَعَيَ ← **س ـَـ/ ع ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**
- رَمَيَ ← **ر ـَـ/ م ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**
- عَصَيَ ← **ع ـَـ/ ص ـَـ/ø ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ح/**

وبسقوطها أي (الياء) (/ø ـَـ/) تلتقي الحركات المتماثلة، فتشكل حركة طويلة من جنس الفتحتين عندها تتحول إلى الأبنية: (قضى، سعى، رمى، عصى)، ويتضح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لهذه الأبنية بتشكيل مقطع متوسط مفتوح في آخرها، على وفق الآتي :

- قَضَى ← **ق ـَـ/ ض ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- سَعَى ← **س ـَـ/ ع ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- رَمَى ← **ر ـَـ/ م ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- عَصَى ← **ع ـَـ/ ص ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح

فيما زاد عن الثلاثي في الأسماء والأفعال :

(1) ينظر : المصدر نفسه : 137-140.

أولاً : ما زاد على الثلاثي من الأسماء :

ومن الأبنية الصرفية للدلالات الاصطلاحية التي ذكرها أصحاب القراءات في المزيد من الأسماء هي : "ما كان منه جمعاً فله ثلاثةُ أمثلة (فَعَائِل، فَعَالى، فَوَاعِل) وما كان منه واحداً له خمسة أمثلة (مَفْعَل بلا هاء، وبهاء التأنيث، مُفْعَل بلا هاء وبهاء التأنيث، أَفْعَل، فَوْعَلَة، مُفْتَعَل)"[1].

وتمثيل ذلك :

مَفْعَل : بفتح الميم كقوله تعالى: ﴿مَوْلَانَا﴾(سورة البقرة:186)، و﴿مَوْلَاكُمْ﴾(سورة آل عمران:150)، و﴿مَثْوَاهُ﴾(سورة يوسف:21) ، و﴿مَثْوَاكُمْ﴾(سورة الأنعام: 128)،و﴿الْمَرْعَى﴾(سورة الأعلى:4)، و﴿وَمَرْعَاهَا﴾(سورة النازعات:31)، و﴿مَحْيَايَ﴾(سورة الأنعام :162)، و﴿مَحْيَاهُمْ﴾(سورة الجاثية:21)، وما أشبهه.

مَفْعَلَة : بفتح الميم كقوله تعالى: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ﴾(سورة البقرة:207)، و﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾(سورة الممتحنة:1)، لا غير، والأصل مرضوة، والألف منقلبة عن واو بدليل ظهورها في قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾(سورة آل عمران:15) وما شبهه وإنّما أميلت لوقوعها رابعة في ذلك، والياء تغلب على الواو إذا جاوزت ثلاثة.

مُفْعَل : بضم الميم كقوله تعالى: ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾(سورة هود:41)، و﴿مُرْسَاهَا﴾(سورةالأعراف:187).

مُفْعَلة : بضم الميم كقوله تعالى: ﴿بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾(سورة يوسف:88)، في موضع واحد لا غير، والأصل مزجية؛ لأنه من التزجية، وهي الرفع والسّوق، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها أُسقطت وتشكل من الصائتين المتماثلين القصيرين صوت طويل مكانها وهو الألف.

فَوْعَلَة : بفتح الفاء والعين كقوله تعالى: ﴿التَّوْرَاةَ﴾(سورة آل عمران:3)، في كل إعرابها حيث وقعت، وأصلها وورية؛ لأنَّها مشتقة من قولهم : وريت بك زنادي إذا خرج نارها، فأبدل من الواو تاء كلما أبدلت من تولج وما اشبهه؛ لأنه من الولوج وقلبت الياء ألفاً لحركتها وانفتاح ما قبلها.

أَفْعَلُ : بفتح الهمزة كقوله تعالى: ﴿أَدْنَى﴾(سورة البقرة:61)، و﴿أَزْكَى﴾(سورة البقرة:232)، و﴿أَوْفَى﴾(سورة آل عمران:76)، و﴿أَهْدَى﴾(سورة النساء:51)، و﴿الْأَعْمَى﴾(سورة الأنعام:50)، و﴿أَدْهَى﴾(سورة القمر:46)، و﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ (سورة الشمس:12)، وما أشبهه، وجملته أثنان وستون موضعاً[2].

(1) الأقناع : 175.
(2) ينظر : الأقناع : 175-176، وجامع البيان : 303-304، والتذكرة : 144وما بعدها.

أمّا الألف المزيدة للتأنيث في الأسماء فترد على النحو الآتي :

فُعَالى : بضم الفاء كقوله تعالى: ﴿أُسَارَى﴾(سورة البقرة:85)، و﴿كُسَالَى﴾(سورة النساء:142)، و﴿فُرَادَى﴾(سورة الأنعام:94)، و ما أشبهه.

فَعَالى : بفتح الفاء كقوله تعالى: ﴿النَّصَارَى﴾(سورة البقرة:62)، و﴿الْيَتَامَى﴾(سورة البقرة:83)، و﴿الْأَيَامَى﴾(سورة النور:329)، وما أشبهه.

فَعلى : بفتح الفاء كقوله : ﴿السَّلْوَى﴾(سورة البقرة:57)، ﴿الْمَوْتَى﴾(سورة البقرة:73)، و﴿الْأَسْرَى﴾(سورة الأنفال:70)، و﴿مَرْضَى﴾(سورة النساء:43)،و﴿التَّقْوَى﴾(سورة البقرة:197)، و﴿النَّجْوَى﴾(سورة طه:62)، وما أشبهه.

فِعلى : بكسر الفاء كقوله: ﴿الذِّكْرَى﴾(سورة الأنعام:68)، و﴿ذِكْرَى﴾(سورة الأنعام: 69)، ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾(سورة البقرة:273)، و﴿إِحْدَاهُمَا﴾(سورة البقرة:282)، و﴿إِحْدَاهُنَّ﴾(سورة النساء:20)، و﴿الشِّعْرَى﴾(سورة النجم:49)، وما أشبهه.

فُعلى : بضم الفاء كقوله: ﴿الدُّنْيَا﴾(سورة البقرة: 85)، و﴿الْقُرْبَى﴾(سورة البقرة:83)، و﴿الْأُنْثَى﴾(سورة البقرة:178)، و﴿الْوُسْطَى﴾(سورة البقرة:238)، و﴿الْبُشْرَى﴾(سورة يونس:64)، و﴿لِلْيُسْرَى﴾(سورة الأعلى:8)، و﴿الْحُسْنَى﴾(سورة النساء:94) وما أشبهه[1]، وقرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو معهما على الإمالة فيه، وورش بين اللفظين، كلّ ما زاد على الثلاثة وأصبحت ألفه رابعة فقلبت إلى ياء، وكذلك أمالا ما كانت ألفه للتأنيث؛ لأن التأنيث له الكسر والياء[2]، فأصل هذه الابنية من الأسماء ياءٍ، مشكّلة من المقطع القصير المفتوح (ص ح)، ونوضّح مقطع الياء في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض مفردات الأبنية المذكورة آنفاً، على وفق الآتي :

- مَرْعَيَ ← **م ـَ ر/ ع ـَ/ ي ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- مُرْسَيَ ← **م ـُ ر/ س ـَ/ ي ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- مُرْجَيَ ← **م ـُ ر/ ج ـَ/ ي ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح
- مَرْضَيَ ← **م ـَ ر/ ض ـَ/ ي ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

(1) ينظر : جامع البيان : 304-305.
(2) ينظر : الكشف : 1/ 178.

والتفسير الصوتي لسقوط نصف الصائت (الياء) هو لوقوعه بين الفتحتين القصيرتين فاسقط على وفق الآتي :

- مَرْعَيَ ← **م ـَ ر/ ع ـَ/ø ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ح/**
- مُرْسَيَ ← **م ـُ ر/ س ـَ/ø ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ح/**
- مُرْجَيَ ← **م ـُ ز/ ج ـَ/ø ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ح/**
- مَرْضَيَ ← **م ـَ ر/ ض ـَ/ø ـَ/ ← ص ح ص/ص ح/ح/**

وبسقوط الياء (شبه الحركة) (/ø ـَ/) بقي المقطع الثالث بقمة من دون قاعدة وهذا لايجوز في البِنْية المقطعية العربية، فحصل التماثل الحركي بينهما جراء التحول الداخلي للفظة، ليكونا فتحة طويلة وهي (الألف) ليشكل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً في آخره، على وفق الآتي :

- مَرْعى ← **م ـَ ر/ ع ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- مُرْسى ← **م ـُ ر/ س ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- مُرْجى ← **م ـُ ز/ ج ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح
- مَرْضى ← **م ـَ ر/ ض ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح

ثانياً: ما زاد على الثلاثي من الأفعال :

ذكر أصحاب القراءات كثيراً مما أُمِيل من الدلالات الاصطلاحية للأبنية الصرفية وأوزانها في فعلي الماضي والمضارع.

وتمثيل ذلك :

أَفْعَل : بفتح الهمزة كقوله: ﴿أَفْضَى﴾(سورة النساء:21)، و﴿أَدْرَاكُمْ﴾(سورة يونس:16)، و﴿أَدْرَاكَ﴾(سورة الحاقة:3)، ﴿أَحْيَا﴾(سورة البقرة:164)، و﴿أَحْصَى﴾(سورة الكهف:12)، و﴿أَلْقَى﴾(سورة النساء:94)، وما أشبهه، وجملته مائة وثلاثة وعشرون موضعاً.

فَعّل : بفتح الفاء وتشديد العين كقوله: ﴿وَفَّى﴾(سورة النجم:37)، و﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾(سورة البقرة:29)، و﴿صَلَّى﴾(سورة القيامة:31)، و﴿جَلَّاهَا﴾(سورة الشمس:3)، و﴿سَوَّاهَا﴾(سورة الشمس:7)، و﴿زَكَّاهَا﴾(سورة الشمس:9)، و﴿دَسَّاهَا﴾(سورة الشمس:10)، وما أشبهه، وجملته سبعة وثلاثون موضعاً.

تَفَعّل : بفتح الفاء وتشديد العين كقوله: ﴿تَغَشَّاهَا﴾(سورة الأعراف:189)، و﴿تَوَلَّى﴾(سورة البقرة:205)، و﴿تَجَلَّى﴾(سورة الأعراف:143)، و﴿تَزَكَّى﴾(سورة طه:76)، وما أشبهه، وجملته ثلاثون موضعاً.

افْتَعَل : بإسكان الفاء وهمزة الوصل في أوله كقوله تعالى: ﴿اهْتَدَى﴾(سورة يونس:108)، و﴿ارْتَضَى﴾(سورة النور:55)، و﴿اصْطَفَى﴾(سورة البقرة:132)، و﴿اعْتَدَى﴾(سورة البقرة:178)، و﴿اجْتَبَاهُ﴾(سورة النحل:121)، و﴿اجْتَبَاكُمْ﴾(سورة الحج:78)، وما اشبهه، وجملته سبعة وسبعون موضعاً.

اسْتَفْعَل : بإسكان الفاء وفتح العين كقوله: ﴿اسْتَعْلَى﴾(سورة طه:64)، و﴿اسْتَسْقَى﴾(سورة البقرة:60)، و﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾(سورة الأنعام:71)، و﴿اسْتَغْنَى﴾(سورة التغابن:6)، و﴿اسْتَسْقَاهُ﴾(سورة الأعراف:160)، وما اشبهه، وجملته سبعة مواضع.

فاعل : بفتح العين كقوله : ﴿نَادَاهُ﴾(سورة النازعات:16)، و﴿سَاوَى﴾(سورة الكهف:96)، و﴿نَادَاهُمَا﴾(الأعراف:22)، و﴿نَادَى﴾(الأعراف:44)، وما أشبهه، وجملته تسعة عشر موضعاً.

تفَاعَل : بفتح الفاء والعين كقوله: ﴿تَعَالَى﴾(سورة الأعراف:190) حيث وقع، و﴿تَعَاطَى﴾(سورة القمر:29)، لا غير فجميعه أحد عشر موضعاً. فأمال جميع ذلك حمزة والكسائي(1).

وأصل الألف في أبنية هذه الأفعال ياء، بعدها فتحة، مشكّلة مقطعاً قصيراً مفتوحاً، ويتضح مقطع الياء في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لنسيج بعض هذه الأفعال، على وفق الآتي:

• أَفْضَيَ ← **ء ـَـ ف/ ض ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

• تَوَلّيَ ← **ت ـَـ/ و ـَـ ل/ ل ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

• اهْتَدَيَ ← **ء ـَـ هـ/ ت ـَـ/ د ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

• اسْتَعْلَيَ ← **ء ـَـ س/ ت ـَـ ع/ ل ـَـ/ ي ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/** فيه مقطع قصير مفتوح

نرى أنَّ هذه الأفعال انتهت بمقطع قصير مفتوح، فلما وقعت(الياء) بين حركتين متماثلتين إسقطت فحصل التماثل الحركي، نتيجة لاتصال الفتحتين، لتكوّنا فتحة طويلة (الألف)(2)مشكّلة في آخرها مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح) موافقاً لما عليه الإمالة من الجواز، ويتضح ذلك في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض هذه الأفعال، على وفق الآتي :

• أَفْضَى ← **ء ـَـ ف/ ض ـَـ/ø ـَـ/← ص ح ص/ص ح/ح/** أَفْضَى ← **ء ـَـ ف/ ض ـَـ/** ← ص ح ص/ص ح ح/ فيه مقطع متوسط مفتوح.

(1) ينظر : الأقناع : 175-176، و التذكرة : 146-149.
(2) ينظر : المنهج الصوتي للبنية العربية : 86-87.

• تَوَلَى ← **ت ـَـ/ و ـَـ ل / ل ـَـ/ø ـَـ/← ص ح/ص ح ص/ص ح/ح/** تَوَلَى ← **ت / و ـَـ/ ل ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح.

• اهْتَدَى ← **ء ـَـ هـ/ ت ـَـ/ د ـَـ/ø ـَـ/← ص ح ص/ص ح/ص ح/ح/** اهْتَدَى ← **ء ـَـ هـ/ ت ـَـ/ د ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح.

• اسْتَعْلَى ← **ء ـَـ س/ ت ـَـ ع/ ل ـَـ/ø ـَـ/← ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ح/** اسْتَعْلَى ← **ء ـَـ س/ ت ـَـ ع/ ل ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/ص ح ح/** فيه مقطع متوسط مفتوح.

تبيّن للبحث فيما مُثّل لما أُمِيلَ لتدل أمالته على أصلهِ، أنَّ الألف جاءت في أغلبها في نهاية مقطع الكلمة، والياء أصلها قد شكّلت (مقطعاً قصراً مفتوحاً)، فلما وقعت شبه الحركة (الياء) بين فتحتين قصيرتين أُسقطت، فاتحدت الفتحتان مشكّلة فتحة طويلة (الألف)، في آخره (مقطع متوسط مفتوح)، فالمؤدي دائماً ما يميل إلى السرعة في الأداء النطقي؛ وذلك اقتصاداً للجهد العضلي المسلّط على الجهاز الصوتي، وهذا ما نجده عند القبائل السريعة في نطقها لاسيّما البدوية منها كتميم، وقيس، وأسد، وقد فسرت ذلك، الدكتورة مي الجبوري تفسيراً صوتياً، وذلك فأن على المؤدي أن يبتعد عن حالة الاسترخاء التامة والناتجة من استلقاء اللسان في قاع الفم، حال النطق بالألف غير الممالة، لا سيّما في المقطع المتوسط المفتوح المتشكل من الألف الممالة في قراءة من أمال من القرّاء، وهذا الاستلقاء بدوره يسمح بمرور الهواء بين الوترين الصوتيين مذبذباً إيَّاهما، وتكون الشفتان مفتوحتان ليخرج الهواء، ففي حالة الاسترخاء يكون عمل الجهاز الصوتي صعباً لإنتاج صوت آخر، فعلى المؤدي أن يتجه صوب الإمالة التي يرتفع معها مقدم اللسان إلى الأعلى قليلاً، مع انفراج في الشفتين، فيكون وضع الجهاز الصوتي في حال الإمالة أكثر توفراً واستعداداً لإنتاج صوت آخر[1].

الإمالة للإمالة

وفيها قال سيبويه : "وقال ناس : رأيت عمادا فأمالوا للإمالة كما أمالوا للكسرة"[2]، وجعلها القياس بقوله : "وقالوا : معزانا في قول من قال عمادا، فأمالهما جميعاً وذا قياس"[3]، وهذا النوع من الإمالة غرضه التناسب والتجانس الصوتي، بدليل قول ابن يعيش : "وقد أمالوا الألف لألف ممالة قبلها، فقالوا: "رأيت عِمادا ومِعْزانا"، و"حسبتُ حِسابا"، و"كتبتُ كِتابا"، أجروا الألف الممالة مجرى الياء لقُرْبها منها، فأجنحوا الألفَ الأخيرةَ نحو الياء، والفتحةَ قبلها نحو الكسرة، كما فعلوا ذلك فيما قبلها من الألف والفتحة، والغرضُ من ذلك تناسبُ الأصوات وتقاربُ أجراسها"[4]، والمغزى من ذلك هو أن تشتمل الكلمة على (ألفين)، نحو : كلمة عِمادا وذلك لأنَّهم "أمالوا الألف المبدلة من التنوين

(1) ينظر : القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 134.
(2) الكتاب : 4/ 123.
(3) المصدر نفسه : 4/ 127.
(4) شرح المفصل : 5/ 195.

لأجل إمالة الألف الأولى الممالة لأجل الكسرة"[1]، ومن الشواهد القرآنية التي أمال فيها القرّاء الألف الثانية لأجل إمالة الألف الأولى قوله تعالى: ﴿كُسَالَى﴾(سورة النساء:142)، و﴿سُكَارَى﴾(سورة النساء:43)، و﴿الْيَتَامَى﴾(سورة البقرة:83)، و﴿النَّصَارَى﴾(سورة البقرة:62)، و﴿أُسَارَى﴾(سورة البقرة:85)ه [2]، قرأ الكسائي في كلِّ ذلك "بإمالة الألف التي قبل اللام وكسر السين، وحجته في ذلك: أنَّهُ لما أمال الألف التي بعد اللام أمال الألف التي قبل اللام بإمالة اللام فتبعتها السين"[3]، وقد نبّه القرّاء من "أنه إذا امتنع إمالة الألف الثانية لعارض كالتقاء الساكنين نحو : (النصارى المسيح، ويتامى النساء) حال الوصل يمتنع إمالة الألف الأولى بعد العين حينئذ لأنّها إنّما أميلت تبعاً لما بعدها"[4]، ونوضح الإمالة فيها مقطعياً، على وفق الآتي :

• كُسَالى ← **ك ـُـ/ س ـَـ/ ل ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ ← ك ـُـ/ س ـِـ/ ل ـِـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/**

• سُكَارَى ← **س ـُـ/ ك ـَـ/ ر ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ ← س ـُـ/ ك ـِـ/ ر ـِـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/**

• يَتَامَى ← **ي ـَـ/ ت ـَـ/ م ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ ← ي ـَـ/ ت ـِـ/ م ـِـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/**

• نَصَارَى ← **ن ـَـ/ ص ـَـ/ ر ـَـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ح/ ← ن ـَـ/ ص ـِـ/ ر ـِـ/**

نلحظ من إمالة الألف الثانية أنَّها تشكل مقطعاً متوسطاً مفتوحاً (ص ح ح)، في نسيج المفردات القرآنية التي ورد المقطع الصوتي لبِنْيتها التركيبية.

ومما أُمِيلَ لأجل الإمالة هو "أن تمال فتحة في كلمة الإمالة مثل تلك الفتحة في نظير تلك الكلمة"[5] في فواصل الآيات تحقيقاً أو تقديراً، واوياً أو يائياً، أصلياً أو زائداً، وسواء أكان اسمياً أو فعلياً، وذلك في إحدى عشرة سورة: طه، والنجم، وسأل، والقيامة، والنازعات، وعبس، وسبح، والشمس، والليل، والضحى، والعلق فقد اتفق كل من حمزة والكسائي على الإمالة فيها[6]، وفيه قال الرضي الاستراباذي (ت 686ه) : "فإنما جاز إمالتها لكونها رءوس الآي، فتناسب سائر الكلام التي هي رءوس الآي، وفيها سبب الإمالة"[7]، كقوله تعالى : ﴿الضُّحَى﴾(سورة الضحى:1) أميل ليزاوج قوله تعالى : ﴿قَلَى﴾(سورة

(1) النشر : 2/ 34.
(2) ينظر : التذكرة : 149، والأقناع : 176.
(3) حجة القراءات : عبد الرحمن بن زنجلة : 1/ 217.
(4) إتحاف فضلاء البشر : 107.
(5) الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية : 117.
(6) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 104، وينظر : سراج القارئ : 108.
(7) شرح شافية ابن الحاجب : 12/3.

الضحى:3)؛ وذلك لتناسب رؤوس الآي، وتعزيزاً لقول الاستراباذي، نجد فيما قاله قبله من العُلماء القُدماء ممن اكدوا على إنه إذا حدثت إمالة في أول الآية في أي سورة من هذه السور، فإن عليه الإمالة في باقي الآيات التي تشترك معها في الفاصلة حتى وإن كان أصلها واوياً، قال الفراء (ت : 207ه) : "... وكذلك قوله: «وَالضُّحى» هُوَ النهار كُلِّه بكسرِ الضحى: من ضحاها، وكل الآيات التي تشاكلها، وإن كَانَ أصل بعضها بالواو. من ذلك: تلاها، وطحاها، ودحاها لما ابتدأت السُّورة بحروف الياء والكسر اتّبَعها ما هو من الواو، ولو كان الابتداء للواو لجاز فتح ذَلِكَ كُلِّه. وكان حمزة يفتح ما كان من الواو، ويكسر ما كَانَ من الياء، وذلك من قلة البصر بمجاري كلام العرب، فإذا انفرد جنس الواو فتحته، وإذا انفرد جنس الياء، فأنت فِيهِ بالخيار إن فتحت وإن كسرت فصواب"[1]، ومن القرّاء أبو عمرو من اختص بهذه الإمالة واعني (إمالة فواصل الآي) لذا قال عنه ابن أبي مريم : "أمّا اختصاصُ أبي عمرو لرُؤُوسِ الآي...، من أنَّها فواصلُ، وهي تجري مجرى القوافي في أنَّها مواضعُ وقوفٍ، فهي مواضعُ التغيير للفصلِ، فكلما يفصلونَ بين الوقفِ والوصلِ بالإمالةِ في نحو قولهم : يُرِيدُ أنْ يَضْرِبَها، فيُميلونَ إذا وقفوا، ويفتحون إذا وصَلوا، كذلك فَصَلَ أبو عمرو بين رَؤُوسِ الآيِ التي هي مواضعُ الوقفِ وبين غيرها بأنْ قَرَّبَ الياءات شيئاً إلى الألفاتِ"[2]، والغرض من هذه الإمالة هو التناسب الصوتي والجرس الموسيقي[3]، فضلاً عن التجانس الصوتي والاقتصاد في الجهد العضلي؛ وذلك لكي لا يجمع القارئ بين عمليتين مختلفتين وهي أثر من آثار مجاورة الأصوات، ورغبة في المماثلة والتقريب. ونوضح ذلك في ضوء الكتابة المقطعية لبعض فواصل الآيات، على وفق الآتي :

• ضُحَى ← أصل الألف في الماضي (ياء)[4] فتصبح ← ضُحَيَ فلما وقعت الياء بين حركتين ليستا من جنسها (فتحتين قصيرتين) ضعفت واسقطت، فالتقت الفتحتان القصيرتان مكونتان حركة طويلة من جنسهما، وهو (الألف) فيكون النسيج المقطعي على وفق الآتي :

• ضُحَيَ ← ض ـُ/ح ـَ/ي ـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ ← ض ـُ/ح ـَ/ø ـَ/ ← ص ح/ص ح/ح/ ← ض ـَ/ح ـَـَ/ ← ص ح/ص ح ح/

وعلى شاكلتها الفاصلة (قَلَى) أصلها الياء فتكون "قلي"[5] على وفق الآتي :

• قَلَيَ ← ق ـَ/ ل ـَ/ ي ـَ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ ← ق ـَ/ ل ـَ/ø ـَ/ ص ح/ص ح/ح ← ق ـَ/ ل ـَـَ/ ← ص ح/ص ح ح/

(1) معاني القرآن : للفراء : 266/3.
(2) الموضح في وجوه القراءات وعللها : 1/ 253.
(3) ينظر : شرح المفصل : 5/ 195
(4) ينظر : العين : 265/3، ومعجم مقاييس اللغة : 3/ 292، وجمهرة اللغة : 5/ 98.
(5) جمهرة اللغة : مادة (قلي) : 2/ 997.

ومما كان أصله واو (تلاها) و(دحاها) فأصلهما (واو) ← من "تلا يتلو"[1] و"دحا يدحو"[2]، وعندما وقعت (الواو) بين حركتين ليستا من جنسها(فتحتين قصيرتين) اسقطت واجتمعت الحركتان مكونتين حركة طويلة من جنسهما وهو (الألف)[3]. فالنسيج المقطعي لهاتين المفردتين على وفق الآتي :

• تَلَوَ ← **ت ـَـ/ ل ـَـ/ و ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ ← ت ـَـ/ ل ـَـ/ø ـَـ/ ص ح/ص ح/ح/ ← ت ـَـ/ ل ـَـَ/ ص ح/ص ح ح/**

• دَحَوَ ← **د ـَـ/ ح ـَـ/ و ـَـ/ ← ص ح/ص ح/ص ح/ ← د ـَـ/ ح ـَـ/ø ـَـ/← ص ح/ص ح/ح/ ← د ـَـ/ ح ـَـَ/ ← ص ح/ ص ح ح/**

وبعد إجراء المقطع الصوتي على المفردات (ضحى، وقلى، وتلى، ودحى)، تبيّن للبحث أنّ نسيجها المقطعي وهي على أصلها تكون من ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، وبعد سقوط شبه الحركة (الياء، والواو) واجتماع الحركتين المتماثلتين (الفتحتين القصيرتين) نتج عن ذلك مقطعين (قصير مفتوح، ومتوسط مفتوح) من المقاطع المستساغة في العربية، فوافق باستساغته جواز الإمالة، لما لهذا النوع من الإمالة من "انسجام بين الأصوات التي يطلقها المتكلم، والأذن العربية ترتاح لترديد الأصوات بغير مبالغة كما في السجع والقوافي الشعرية فرويها المتشابه مدعاة طرب عندهم، ولكن ازدحام الكلمات بأصوات مكررة مكروه فالعرب لا تحب التكرار"[4]، فإنّ الانسجام بين الأصوات له أثر بارز في توفير الجهد العضلي الذي ينشده الناطق، يقول الدكتور أحمد الجندي : "ولا شكَّ أن الانسجام الصوتي فيه اقتصاداً للجهد العضلي"[5].

إمالة هاء التأنيث وما قبلها في الوقف :

قال ابن الجزري : "هي الهاء التي تكون في الوصل تاء آخر الاسم"[6]، وتبدل في حال الوقف هاء، وقد أمالتها القبائل العربية، وخاصة الكوفية كما أُمِيلت الألف، إذ كانت الكوفة مهبط الكثير من قبائل أسد تلك التي أُثر عنها الإمالة[7]، ومن قرّاء الكوفة الكسائي قد اختص بإمالة ما قبل هاء التأنيث، حتى "قيل للكسائي إنك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال هذا طباع العربية، قال الحافظ أبو عمرو الداني يعنى بذلك أن الإمالة هنا لغة أهل الكوفة وهي باقية فيهم إلى الآن وهم بقية أبناء العرب"[8]، وما اختص به الكسائي من إمالة ما قبل هاء التأنيث، هي ما عبّر عنها سيبويه بقوله : "سمعت العرب يقولون: ضربت ضربه، وأخذت أخذه، وشبه الهاء بالألف فأمال ما قبلها، كما يميل ما قبل الألف"[9]، وقد

(1) تهذيب اللغة : مادة (تلا) : 14/ 225.
(2) جمهرة اللغة : مادة (دحو) : 1/ 506.
(3) ينظر : الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي : 38.
(4) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : 136.
(5) اللهجات العربية في التراث : 1/ 276.
(6) النشر : 2/ 82، وينظر : إتحاف فضلاء البشر : 123.
(7) ينظر : شرح المفصل : 1/ 188.
(8) المصدر نفسه : 2/ 82.
(9) الكتاب : 4/ 140-141.

بين الاستراباذي ذلك الشبه بين الهاء والألف، إذ يقول : "لما كان هاء التأنيث يشابه الألف في المخرج والْخَفَاء ومن حيث المعنى لكون الألف أيضاً كثيراً للتأنيث أُميل ما قبل هاء التأنيث، كما يمال ما قبل الألف"[1]، ونجد التصوّر الحديث يتفق مع التصوّر القديم في وجه الشبه بين صوت الهاء وصوت الألف من أصوات المد واللين إذ "عند نطق (الهاء) يكون المزمار (على مستوى الحنجرة) مغلقاً تماماً تقريباً، سوى فتحة صغيرة في الجزء الخلفي... وينتج عن هذه الفتحة الضيقة لدى مرور الهواء المزفور منها احتكاك مسموع ومميّز، ولا يتذبذب الوتران في أثناء النطق بالهاء، ويكون وضع فتحة الفم كما لدى النطق بالصائت /a/ (الفتحة)"[2].

ويوضّح الدكتور رمضان عبد التواب وضعية الفم عند النطق بالهاء وكذا عند نطق الحركات بقوله : "ويتخذ الفم عند النطق بالهاء نفس الوضع، الذي يتخذه عند النطق بالحركات... كما أن انعدام الذبذبات... هو الذي يميز الهاء عن الحركات"[3].

ولمّا بين الهاء وأصوات المدّ واللِّين من صفة مشتركة وهي القدرة على الامتداد فقد جعلها القرّاء خاضعة لمّا تخضع له الألف من حيث الإمالة والخفاء، وقد اختلفوا في إمالتها، إذ يقول أحمد بن محمد البنّاء : "واختلفوا هل هي ممالة مع ما قبلها، وإليه ذهب جماعة من المحققين، وعليه الداني والشاطبي، وغيرهما أو الممال ما قبلها فقط وهو مذهب الجمهور والأول أقيس والثاني أبين في اللفظ وأظهر في الصورة، قال بعضهم: وينبغي أن لا يكون بين القولين خلاف، فباعتبار حدّ الإمالة وإنَّهُ تقريب الفتحة من الكسرة، والألف من الياء، فهذه الهاء لا يمكن أن يدعي تقريبها من الياء ولا فتحة فيها، فتقرب من الكسرة، وهذا لا يخالف فيه الداني ومن معه، وباعتبار أن الهاء إذا أميلت لابدّ أن يصحبها حال من الضعف يخالف حالها إنْ لم يكن قبلها ممال، فسمي ذلك المقدار إمالة ولا يخالف فيه الآخرون، فالنزاع لفظي"[4]. أما المحدثون ومنهم الدكتور إبراهيم أنيس فقد ذهب إلى أنَّ الإمالة تطرأ على الفتحة السابقة لتاء التأنيث، بقوله : "ما ظنّه القدماء هاءً متطرفة هو في الواقع إمتداد في التنفس حين الوقوف على صوت اللِّين الطويل، أو كما يسمى القدماء ألف المد، وهي نفس الظاهرة التي شاعت في الأسماء المؤنثة المفردة التي تنتهي بما يسمى بالتاء المربوطة، فليس يوقف عليها بالهاء، كما ظنّ النحاة بل يحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيّل للسامع أنَّها تنتهي بالهاء"[5]. وتسنى للبحث من العوامل المتوافرة للإمالة في هذا الموضع، وهي إمتداد الفتحة قبل التاء، وتميز الهاء بصفة الخفاء، مما أدت هذه العوامل إلى تأييد البحث بأن الممال هنا هو (الفتحة القصيرة) ما قبل تاء التأنيث المنقلبة إلى هاء في حال الوقف.

(1) شرح شافية ابن الحاجب : 3/ 24.
(2) علم الأصوات العام : 126.
(3) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : 59، وينظر : دراسة في علم الأصوات : 35.
(4) إتحاف فضلاء البشر : 123.
(5) في اللهجات العربية : 136، وينظر : دروس في علم أصوات العربية : 162.

وتأتي الهاء عند أصحاب القراءات القرآنية على ثلاثة أقسام، "قسم يُمال، وقسم لا يُمال، وقسم يشترط فيه"[1]، واختص الكسائي بإمالة هذه الاقسام "في حروف مخصوصة بشروط معروفة باتفاق واختلاف"[2].

فالقسم الأول : متفق على إمالته عنه بلا تفصيل وهو ما إذا كان قبل الهاء حرف من خمسة عشر حرفاً يجمعها لفظ: فجثت زينب لذود شمس فالفاء نحو ﴿**خَلِيفَةً**﴾(سورة البقرة:30)، و﴿رَأْفَةً﴾(سورة الحديد:27)، والجيم نحو ﴿وَلِيجَةً﴾(سورة التوبة:16)، و﴿بَهْجَةٍ﴾(سورة النمل:60)، والثاء نحو: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾(سورة الكهف:22)، و﴿مَبْثُوثَةٌ﴾(سورة الغاشية:16)، والتاء نحو﴿مَيْتَةٌ﴾(سورة المائدة:3)، و﴿بَغْتَةً﴾(سورة محمد:18)، والزاي نحو :﴿أَعِزَّةٍ﴾(سورة المائدة:54)، و﴿بَارِزَةً﴾(سورة الكهف:47)، والياء نحو ﴿شِيَةَ﴾(سورة البقرة:71)، ﴿خَشْيَةَ﴾(سورة الأسراء:31)، والنون نحو﴿سُنَّةَ﴾(سورة الأحزاب:62)، و﴿جَنَّةٍ﴾(سورة آل عمران:133)، والباء نحو :﴿حَبَّةٍ﴾(سورة لقمان:16)، و﴿شَيْبَةً﴾(سورة الروم:54)، واللام نحو﴿لَيْلَةُ﴾(سورة القدر:3)، و﴿ثُلَّةٌ﴾(سورة الواقعة:13)، والذال نحو﴿لَذَّةٍ﴾(سورة الصافات:46)، و﴿الْمَوْقُوذَةُ﴾(سورة المائدة:3)،و﴿قُوَّةً﴾(سورة التوبة:69)، و ﴿الْمَرْوَةَ﴾(سورة البقرة:158)، والدال نحو ﴿بَلْدَةً﴾(سورة الفرقان:49)، و﴿عِدَّةَ﴾(سورة التوبة:36)، والشين نحو﴿عَشِيَّةً﴾(سورة النازعات:46) ، و﴿مَعِيشَةً﴾(سورة طه:124)، والميم نحو: ﴿رَحْمَةً﴾(سورة آل عمران:8)، و﴿نِعْمَةَ﴾(سورة البقرة:211) والسين نحو(خمسة)، و(الخامسة)*[3]، انتهت هذه الأسماء في المفردات القرآنية بتاء أصلها للتأنيث، تبدل في حال الوقف هاء، فالكتابة الصوتية المقطعية توضح تحول صائت الفتحة القصير السابق لهاء التأنيث إلى صائت الكسرة القصيرة في حال الوقف على النحو الآتي:

- بَهْجَةٍ ← في حالة الوصل تكون ← **ب ـَ هـ/ ج ـَ/ ت ـِ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/** وعند الوقف تكون ← **ب ـَ هـ/ ج ـِ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

- جَنَّةٍ ← في حالة الوصل تكون ← **ج ـَ ن/ ن ـَ/ ت ـِ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/** وعند الوقف تكون ← **ج ـَ ن/ ن ـِ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

- بَلْدَةً ← في حالة الوصل تكون ← **ب ـَ ل/ د ـَ/ ت ـَ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/** وعند الوقف تكون ← **ب ـَ ل/ د ـِ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

- رَحْمَةً ← في حالة الوصل تكون ← **ر ـَ ح/ م ـَ/ ت ـَ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/** وعند الوقف تكون ← **ر ـَ ح/ م ـِ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

تبيّن للبحث أنَّهُ في حال الوقف تم تحويل صائت الفتحة القصير (ـَ) إلى صائت الكسرة القصير (ـِ) وقُلِّلَ عدد المقاطع إلى مقطعين، بعدما كان على ثلاثة، وذلك بتشكيل

(1) الأقناع : 197، وينظر : النشر : 2/ 82، وإتحاف فضلاء البشر : 123.
(2) النشر : 2/ 82.
(3) ينظر : إتحاف فضلاء البشر: 123-124، والنشر : 2/ 83، والأقناع : 198.

مقطع متوسط مغلق (ص ح ص)، من المقاطع المحبذة في العربية فوافق أستحسان الإمالة، إذ أميلت الفتحة التي قبل الهاء، وفي حال الوصل تعاد الهاء إلى تاء، وزالت الإمالة لزوال السبب، لذلك اختص الكسائي بإمالتها لعدم وجود مانع في ذلك يمنعها من الإمالة فأجراها "مجرى الألف في الوقف خاصة، فأمال ما قبلها من الفتح، فقرَّبه من الكسر، كما يفعل بألف التأنيث، إلاّ أنَّ ألف التأنيث تقرَّب في الإمالة نحو الياء، وليست كذلك الهاء، فإنْ وصل فتح؛ لأنّها تصير تاء، فلا تشبه حينئذ الألف، فلذلك حسُن الوقف بالإمالة"[1] .

القسم الثاني : "الذي يوقف عليه بالفتح؛ وذلك إنْ كان قبل الهاء حرف من عشرة أحرف وهي ((حاع))، وأحرف الاستعلاء* السبعة ((قظ خص ضغط)) إلا أنَّ الفتح عند الألف إجماع وعند التسعة الباقية على المختار"[2]، وهناك فرق بين التصوّر القديم والحديث بالنسبة لهذه الأصوات مع الألف، وكيفية حصول الإمالة فيها، فالقدماء منعوا الإمالة في الألف إذا سبقت بأحد هذه الأصوات، أو وقعت بعد الألف، فهي عندهم إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، يقول سيبويه : "وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروفٌ مستعليةٌ إلى الحنك الأعلى، والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في مساجد ونحوها. فلما كانت الحروف مستعليةٌ وكانت الألف تستعلي، وقربت من الألف، كان العمل من وجهٍ واحد أخف عليهم"[3]، وعلى سنن سيبويه في تفسيره لهذه الظاهرة سار ابن أبي مريم إلا أنَّهُ ربط الإمالة مع هذه الحروف بحرصهم على تناسب الأصوات إذ يقول : "وإنَّما امتنعتِ الإمالةُ مع الحروف المُستعليةِ؛ لأنَّ هذه الحروف صاعدةٌ إلى الحنكِ الأعلى كما صَعِدت الألفُ فغلبتْ على الألفِ فمنعتها عن أنْ تصيرَ إلى جهة الياء، فلا يتناسبُ الصوتُ فيها، فلِحرصهمْ على تناسُبِ الصوتِ امتنعوا عن إمالةِ الألف مع الحروف المستعليةِ، كما أمالوها مع الكسراتِ والياءات إرادةً لتناسُبِ الصوتِ"[4].

أمّا المحدثون فعدّوا ما جاء به القُدماء منافياً لصحته من الناحية الصوتية ودليلنا على ذلك هو الأشكال الذي قال به الدكتور سمير شريف إستيتية على قول سيبويه، إذ يقول : "إن ماذكره سيبويه ليس صحيحاً من الناحيةِ الصوتيةِ العلمية المعاصرة، فإنَّ الألف ليس صوتاً مستعلياً"[5]، جاعلاً من قول سيبويه لامعنى له، فعنده "اللسان عند نطق الفتحة ومدّها (وهو الألف) ينزل إلى أقصى درجة ينزل إليها عند نطق حركة. وعكس ما ذكره سيبويه هو الصحيح، فإنَّهُ يكون أسهل على اللسان أنْ ينتقل من وضع الاستعلاء، عند

---

(1) الكشف : 1/ 203.

* الاستعلاء : ((هو خروج الصوت من أعلى الفم، وذلك لعلو اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى مما يؤدي إلى خروج الصوت من أعلى الفم)) علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا : د.عصام نور الدين : 234. ((وسميت مستعلية؛ لأنَّ اللسان يعلو بها إلى جهة الحنك، ولذلك تمنعُ الإمالة، إلا أنَّها على ضربين : منها ما يعلو اللسان به وينطبقُ، وهي حروف الإطباق الأربعة، ومنها ما لا يعلو ولا ينطبقُ، وهي ثلاثة : الغين والخاء والقاف)) التحديد : 106-107.

(2) النشر : 2/ 83.

(3) الكتاب : 4/ 129.

(4) الموضح في وجوه القراءات وعللها : 1/ 211-212.

(5) القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 227.

نطق الصاد والضاد والطاء والظاء، إلى الوضع الذي يؤول إليه، عند نطق الحركة المعيارية الأساسية الثانية، وهي الإمالة الكبرى في عرف القرّاء"[1]. فالتصوّر القديم وعلى وفق تصوّر سيبويه لآلية نطق الفتحة أو الألف، يبقى تصوراً لا يسنده الدليل الصوتي؛ لأنَّ اللسان يكون مستوياً في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، فينطلق الهواء من الرئتين دون عائق يعترضه، فيحدث اهتزازاً في الاوتار الصوتية[2]، ومما أورده أصحاب القراءات من الشواهد القرآنية التي وقف فيها على ما قبل الهاء بصائت الفتح نحو، قوله تعالى : ﴿النَّطِيحَةُ﴾(سورة المائدة:3)، و﴿الصَّاخَّةُ﴾(سورة عبس:33)،و﴿غِلْظَةً﴾(سورة التوبة:123)،و﴿سَبْعَةٌ﴾(سورة الكهف:22)،و﴿خَالِصَةً﴾(سورة ص:46)،و﴿طَاقَةَ﴾(سورة البقر ة:249)، و﴿حِطَّةٌ﴾(سورة البقرة:58)، و﴿**صِبْغَةَ**﴾(سورة البقرة:138)،و﴿بَعُوضَةً﴾(سورة البقرة:26)، ونحوهن يفتحن حيث وقعن[3]، وقال مكي بن أبي طالب القيسي في علّة الوقوف عليه نقلاً عن ابن مجاهد : "إذا كان قبل الهاء حرف من حروف الاستعلاء، أو عين، أو حاء، فإنَّ هذه الحروف حروف مستعلية في الحنك، ومنها حرف الإطباق، ينطبق اللسان بالحنك مستعلياً عند حروفها، فكره ابن مجاهد أن ينحى بهذه الحروف نحو الكسرة بعد استعلائها وتصعدها وانطباقها بالحنك. فكان الفتح أولى بها؛ لأنّهُ أشبهُ بحالها من الكسر؛ لأنَّ الكسر ضد حالها"[4]. ونوضح ما جاء به أصحاب القراءات القرآنية من أداء نطقي في الوقوف على ما قبل الهاء بالفتح في ضوء الكتابة الصوتية المقطعية لبعض المفردات القرآنية اعلاه، على وفق الآتي :

- النّطِيحَةُ ← **ء ـَـ ل/ ن ـَـ/ ط ـِـ/ ح ـَـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ح/ص ح ص/**
- الصّاخّةُ ← **ء ـَـ ل/ ص ـَـ خ/ خ ـَـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ح ص/ ص ح ص/**
- غِلْظَةٌ ← **غ ـِـ ل/ ظ ـَـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**
- سَبْعَةٌ ← **س ـَـ ب/ ع ـَـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

نلحظ تشكل مقطعاً متوسطاً مغلقاً (ص ح ص) في حال الوقف على الحرف المستعلي الذي قبل الهاء مع الابقاء على الفتح ؛ وذلك لأنَّ الفتح أشبه بحالها من الكسر[5].

القسم الثالث : وجاء عند القرّاء "فيه تفصيل فيمال في حال، ويفتح في أخرى، وذلك عند أربعة أحرف يجمعها (أكهر) فإنَّ كان قبل كل منها ياء ساكنة، أو كسرة متصلة، أو منفصلة بساكن أميلت وإلا فتحت، وهذا مذهب الجمهور أيضاً عنه وذهب آخرون إلى

(1) المصدر نفسه : 227-228.
(2) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : 92، والقراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث: 128، ودراسة في علم الأصوات : 53.
(3) ينظر : النشر : 2/ 83-84، والأقناع : 124و198.
(4) الكشف : 1/ 205.
(5) ينظر : الكشف : 1/ 204-205.

إمالتها مطلقاً"[1]، ومما فصل بين الكسرة والهاء ساكن، ولم يمنع الإمالة في كلّ من الهمزة نحو : ﴿كَهَيْئَةِ﴾(سورة المائدة:110)، و﴿خَطِيئَةً﴾(سورة النساء:112)، و﴿سَيِّئَةً﴾(سورة البقرة:81)، والكاف نحو : ﴿الْأَيْكَةِ﴾(سورة الحجر:78)، و﴿ضَاحِكَةٌ﴾(سورة عبس:39)، و﴿الْمُؤْتَفِكَةَ﴾(سورة النجم:53)، و الهاء نحو : ﴿فَاكِهَةٌ﴾(سورة يس:57)، و﴿وِجْهَةٌ﴾(سورة البقرة:148)، والراء نحو: ﴿كَبِيرَةٌ﴾(سورة البقرة:45)، و﴿صَغِيرَةً﴾(سورة التوبة:121)، و﴿كَافِرَةٌ﴾(سورة آل عمران:13)، و﴿عِبْرَةٌ﴾(سورة يوسف:111)، واستثنى جماعة منهم ﴿فِطْرَتَ﴾(سورة الروم:30)، ففتحها ابن سوار وابن شريح من أجل كون الفاصل حرف استعلاء، وإطباق، أما الجمهور فلم يستثنه[2]، والكتابة الصوتية المُعَبَّرة عن الأداء النطقي لتلك الحالات ستبين الحالات التي يتحول فيها صائت الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة في الوقف، على وفق الآتي :

_ يتحول صائت الفتحة القصيرة على الهمزة السابقة لهاء التأنيث إذا كان قبلها ياء ساكنة إلى صائت الكسرة القصيرة، بتشكيل مقطع متوسط مغلق (ص ح ص) في نحو :

• كَهَيْئَةِ في حال الوصل تكون ← **ك ـَ/ هـ ـَ ي/ ء ـَ/ ت ـِ/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح/ص ح/**

وعند الوقف تكون ← **ك ـَ/ هـ ـَ ي/ ء ـِ هـ/ ← ص ح/ص ح ص/ص ح ص/**

وكذلك إذا كان قبلها كسرة في نحو :

• خَطِيئَةً في حال الوصل تكون ← **خ ـَ/ ط ـِ/ ء ـَ/ ت ـَ ن/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **خ ـَ/ ط ـِ/ ء ـِ هـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/**

• وسَيِّئَةً في حال الوصل تكون ← **س ـَ ي/ ي ـِ/ ء ـَ/ ت ـَ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **س ـَ ي/ ي ـِ/ ء ـِ هـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

_ ويتحول صائت الفتحة القصيرة على الكاف إلى كسرة قصيرة في حال الوقف سواء كان قبلها ياء أو كسرة في نحو :

• الْأَيْكَةِ في حال الوصل تكون ← **ء ـَ ي/ ك ـَ/ ت ـِ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/**

وعند الوقف تكون ← **ء ـَ ي/ ك ـَ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

(1) إتحاف فضلاء البشر : 124.
(2) ينظر : إتحاف فضلاء البشر : 124، والنشر : 84، والأقناع : 198-199.

• وضَاحِكَةٌ في حال الوصل تكون ← **ض ـَـ/ ح ـِـ/ ك ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **ض ـَـ/ ح ـِـ/ ك ـَـ هـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

• والْمُؤْتَفِكَةَ في حال الوصل تكون ← **م ـُـ ء/ ت ـَـ/ ف ـِـ/ ك ـَـ/ ت ـَـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح/**

وعند الوقف تكون ← **م ـُـ ء/ ت ـَـ/ ف ـِـ/ ك ـِـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

_ كما و يتحول صائت الفتحة القصيرة على الهاء السابقة لهاء التأنيث سواء كان ما قبلها مكسور أو ساكن سبق بكسر إلى صائت الكسرة القصيرة في نحو :

• فَاكِهَةٌ في حال الوصل تكون ← **ف ـَـ/ ك ـِـ/ هـ ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **ف ـَـ/ ك ـِـ/ هـ ـِـ هـ/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

• وِجْهَةٌ في حال الوصل تكون ← **و ـِـ ج/ هـ ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **و ـِـ ج/ هـ ـِـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

_ أمّا صائت الفتحة القصيرة للراء فيتحول إلى صائت الكسرة القصيرة لإمالتها سواء كان قبلها كسرة أو ساكن قبله كسرة في نحو :

• كَبِيرَةٌ في حال الوصل تكون ← **ك ـَـ/ ب ـِـ/ ر ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **ك ـَـ/ ب ـِـ/ ر ـِـ هـ/ ← ص ح/ص ح ح/ص ح ص/**

• كَافِرَةٌ في حال الوصل تكون ← **ك ـَـ/ ف ـِـ/ ر ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح ح/ص ح/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **ك ـَـ/ ف ـِـ/ ر ـِـ هـ/** ← ص ح ح/ص ح/ص ح ص/

• عِبْرَةٌ في حال الوصل تكون ← **ع ـِـ ب/ ر ـَـ/ ت ـُـ ن/ ← ص ح ص/ص ح/ص ح ص/**

وعند الوقف تكون ← **ع ـِـ ب/ ر ـِـ هـ/ ← ص ح ص/ص ح ص/**

والذي يمكن استنتاجه من ذلك هو أنَّهُ عمد بإمالة صائت الفتحة التي قبل هاء التأنيث بغلق المقطع الأخير عندما يقفون عليه وهو كثير في السان العربي[1]، وبعد الغوص في ظاهرة الإمالة والفتح في كتب القراءات القرآنية. نستخلص بعض النتائج العامة التي ترتب عليها البحث، وهي :

إنّ الإمالة والفتح من الظواهر الصوتية واللهجية، التي اشتهرت بها القبائل العربية، فمنها من أثر الإمالة ومنها من أثر الفتح. إذ تعدّ من الظواهر الملازمة كثيراً للقرّاءات القرآنية، فوجودها كان باعثاً قوياً للعناية بها من القدماء والمحدثين، وهي من الظواهر المهمة وليس ما يُبرر أهميتها سوى الاقتصاد في الجهد العضلي، والميل إلى السهولة التي يلجأ إليها الإنسان في معظم ظواهره الاجتماعية، وفضلاً عن تعدد أسبابها إلا أنَّ جميعها يرمي إلى إحداث الانسجام الصوتي، ولاشكَّ أنَّ هذا الانسجام فيه اقتصاد للجهد العضلي، وهذا الاقتصاد يميل إليه الإنسان من غير تعمد، وعُدّت من قبيل التقريب الصوتي. إذ تقرّب الألف من الياء؛ لأنَّ الألف تطلب من الفم أعلاه، والكسرة تطلب أسفله، فيحدث التنافر من قبيل ذلك، ولهذا جُنحَت الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، وبهذا زال الثقل وحل محله الانسجام والتماثل، وإلى جانب الانسجام الصوتي، قُرِّبت المقاطع الصوتية بعضها من بعض، بتشكيل مقاطع صوتية مسايرة للبِنْية المقطعية العربية، منها معاينة الكسرة بالنسبة إلى الألف، فضلاً عن التخلص من توالي المقاطع القصيرة المفتوحة؛ وذلك عن طريق التسكين مما تعمد إلى غلق المقطع، كما عمدت إمالة الفتحة التي قبل هاء التأنيث إلى غلق المقطع الأخير حال الوقف عليها.

(1) ينظر : القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية : 232.

الخاتمة ونتائج البحث

الخاتمة :

لن تُغلق هذه الخاتمة باب البحث في هذا الموضوع، بل مقدمة لدراسات أُخرى؛ بما تمثله كتب القراءات القرآنية من بحرٍ عميق في شتى الظواهر التي تحتويها.

لذلك فالنتائج التي تحصّلتُ عليها هي بعض من نتائج عامة من مشروع بحثي في الظواهر الصوتية التي درستها، إلاّ أنَّها تحتمل أن تكون لُبْنة أساسية لموضوعي، فقد حاولتُ من قبل أن أجعل من بحثي نواة لدراسة صوتية تتجه صوب كتابة صوتية مقطعية عربية، وقد تحقق منها هذا الجزء البسيط. وجملة النتائج التي توصّلتُ إليها أجملتُها في النقاط التالية :

1 _ تُعدُّ كتب القراءات القرآنية مصدر مهم يمكن في ضوءه الاطلاع على ظواهر لغوية كثيرة، ومن هذه الظواهر ما يتعلق بالمستوى الصوتي، والتي حفظت لنا استعمالات لغوية محبذة للقرّاء، وفي ضوئها استطعتُ تطبيق المقطع الصوتي ومدى أثره في الأداء النطقي لهذه القراءات.

2 _ إنَّ مسألة أهمية المقطع الصوتي موضع خلاف بين العُلماء (قدماء، ومحدثين) فانقسموا بين مؤيد ومعارض له، وبانتشار الدراسات الحديثة التي اولته بالأهتمام والعناية، خَفَت بالتالي حملات المعارضين، مما آثرتُ بالأتجاه نحو توجيه الأداء النطقي لدراسة الظواهر الصوتية مُعَبَّر عنها بالمقطع الصوتي.

3 _ أظهر البحث أنَّ هناك علاقة مطّرَدة بين المقطع الصوتي العربي، والقراءات القرآنية؛ إذ تتألف من مجموعة من المقاطع الصوتية المتنوعة، والمتمثلة بـ (المقطع القصير المفتوح، والمقطع المتوسط المفتوح، والمقطع المتوسط المغلق، والمقطع الطويل بنوعيه المفرد الاغلاق، والمزدوج).

4 _ لاحظ البحث أنَّهُ في موانع الإدغام إضافة إلى حالاته من (تاء الضمير، والمشدد، والمنون، والجزم ...) هناك عامل مهم للمنع وهو عند الأداء النطقي لتحقيق الإدغام يتكون المقطعان الصوتيان اللذان لا يمكن أن يكونا في دِرج الكلام وهما، المقطع الطويل المفرد الاغلاق (ص ح ح ص)، والمقطع المديد المزدوج الاغلاق(ص ح ص ص).

5 _ توصل البحث إلى أنَّ علّة منع إدغام المنقوص الناتج عن حذف آخره لأجل الجزم، ليس الحذف كما نصّ عليه النحاة القُدماء، إنَّما هو نتاج تقصير الصائت الطويل إلى صائت قصير من جنسه، إذ يشكل هذا الصائت القصير حاجزاً بين الصوتين المتماثلين ومن ثم يمنع تحقق الإدغام.

6 _ تبيّن للبحث أنَّ ماجاء به المحدثون في عملية الإبدال هو المُرجّح، من أنَّها لا تُعَبّر عن قصد إرادي للمتكلم كما تصوّرها القُدماء من النحاة، إنَّما التطور الصوتي عبر الزمن هو الكفيل لأحداث هذه العملية وعَبرَ قوانين صوتية تحكمها.

7 _ لاحظ البحث أيضاً أنَّ آلية نطق الهمزة الذي يتطلب جهداً عضلياً كبيراً بعد صوت المدّ شكّل نوعاً مقطعياً مستحسناً في اللغة العربية بما يتلائم وهذه الظاهرة.

8 _ وجد البحث أنَّ آلية حركة اللسان غالباً ما تعتمد الخفّة، فإنَّ انحداره أخفّ من إرتفاعه، وهذا بدوره يمثل ما يناسب الكسر من الانحدار ولا يناسب الفتح من الإرتفاع، لذا أمالوا نحو الكسر إبتغاء الخفّة.

9 _ كشف البحث عن أنَّ بعض المقاطع الصوتية القليلة الشيوع والنادرة الوجود، قد وجدت في بعض القراءات القرآنية عند بعض القرّاء، لا سيّما المقاطع الطويلة (المفردة الاغلاق، والمزدوجة)، وهذا دليل على أنَّ القراءة سُنَّة متبعة، وعلى أنَّ العربية تجوز هذه المقاطع في الدرج من الكلام في بعض الحالات.

كانت تلك أبرز النتائج التي توصلتُ إليها، في ضوء هذه الدراسة، وهي نتائج عامة على ما تناوله البحث لبيان الأداء النطقي المُعَبَّر عنه بالمقطع الصوتي العربي وأثره في تحقيق الظاهرة الصوتية من عدمه.

وأخيراً نحمد الله الذي وفّقنا إلى إنجاز هذا العمل.

والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الكتب المطبوعة

القرآن الكريم.

- أبحاث في أصوات العربية : الدكتور حسام سعيد النعيمي : ط/1، دار الشؤون العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، 1998م.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، الشيخ أحمد بن محمد البنّاء (ت 1117هـ)، وضع حواشيه، الشيخ أنس مهرة، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ – 1998م.
- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، طبعة محققة للعلامة الشيخ شعيب الأرنؤوط، اعتني به وعلق عليه مصطفى شيخ مصطفى، ط/1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1429هـ – 2008م.
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : أبو عمرو بن العلاء : تأليف الدكتور عبد الصبور شاهين، ط/1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ – 1987م.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة : الدكتور فوزي الشايب، ط/1، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 1425هـ – 2004م.
- الإدغام الكبير في القرآن الكريم : لابن عمرو بن العلاء المازني (ت 154هـ)،حققه وعلق عليه : الشيخ أنس بن محمد حسن مهرة، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- الأصوات العربية المتحولة وعلاقتها بالمعنى : عبد المعطي نمر موسى، ط/1، دار الكندي، 1435هـ – 2014م.
- أصوات اللغة : الدكتور عبد الرحمن ايوب : ط/2، مطبعة الكيلاني، 1968م.
- أصوات اللغة العربية (الفوناتيك والفونولوجيا) : الدكتور إبراهيم مصطفى العبد الله النمارنة، ط/1، دار الأندلس، حائل، السعودية، 1428هـ – 2007م.
- أصوات اللغة العربية : الدكتور عبد الغفار حامد هلال : ط/3، مكتبة وهبة، 1416ه – 1996م.
- الأصوات اللغوية : الدكتور إبراهيم أنيس،(د.ط)، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د.ت).
- الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية : الدكتور سمير شريف إستيتية، ط/1، دار وائل، عمان، الأردن، 2003م.
- الأصول في النحو : لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي (ت 316هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي، ط/3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ – 1996م.
- الأقناع في القراءات السبع : أبو جعفر أحمد بن أحمد خلف الأنصاري (ت 540هـ)، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد فريد المزيد، وقدم له وقرضه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ – 1999م.
- الإمالة في القراءات واللهجات العربية : الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، (د.ط)، دار الشروق، جدة، 1429هـ – 2008م.
- الإمالة والتفخيم في القراءات القرآنية حتى القرن الرابع الهجري، دراسة مع تحقيق كتاب الاستكمال لابن غلبون، الدكتور عبد العزيز علي سفر، (د.ط)، السلسلة التراثية،22، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1422هـ – 2001م.
- الباب الصرفي وصفات الأصوات دراسة في الفعل الثلاثي المضعّف : الدكتورة وفاء كامل فايد، ط/1، عالم الكتب، القاهرة، 1422هـ – 2001م.
- البرهان في علوم القرآن البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي (ت 745هـ)، المحقق : صدقي محمد جميل، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1420هـ - 1999م، (د.ط).

- تأملات في بعض ظواهر الحذف الصوتي، الدكتور فوزي الشايب، (د.ط)، حوليات كلية الآداب، الحولية العاشرة، 1409هـ ـ 1989م.
- التبيان في إعراب القرآن : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، (د.ط)، منشورات عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).
- التحديد في الإتقان والتجويد : أبو عمرو الداني (ت 444ه)، تحقيق. الدكتور غانم قدوري الحمد، ط/1، دار عمار، عمان،1421هـ ـ 2000م.
- التذكرة في القراءات : أبو الحسن طاهر بن عبد المنعم بن غلبون (ت 399هـ)،حققه وراجعه وعلق عليه الدكتور سعد صالح زعيمة، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ ـ 2001م.
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية : الدكتور سلمان حسن العاني، ترجمه الدكتور ياسر الملاح، ط/1، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية 1403هـ ـ 1983م.
- التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث : الدكتور الطيب البكوش، تقديم صالح القرمادي، ط/3، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، 1992م.
- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه : الدكتور رمضان عبد التواب، ط/3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ ـ 1997م.
- التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، قراءة في كتاب سيبويه : الدكتور عادل نذير بيري الحساني، ط/1، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ديوان الوقف السني، العراق، 1430هـ ـ 2009م.
- تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطاء حال تلاوتهم لكتاب الله المبين : أبو الحسن علي بن محمد الصفاقسي (ت 1053هـ)، تقديم وتصحيح : محمد الشاذلي النيفر، (د.ط)، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، المكتبة القرآنية، (د.ت).
- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، ط/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2001م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : للمرادي (ت 749هـ)، شرح وتحقيق : الدكتور عبد الرحمن علي سليمان، ط/1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1428هـ ـ 2008م.
- التيسير في القراءات السبع :، لأبي عمرو الداني (ت 444هـ)، تحقيق : اوتو تريزل، ط/2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ ـ 1984م.
- جامع البيان في القراءات السبع المشهورة : لأبي عمرو الداني (ت 444هـ)، تحقيق : المقرئ محمد صدوق الجزائري، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 2005م.
- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن دريد (ت 321هـ)، تحقيق : رمزي منير بعلبكي، ط/1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م.
- حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ومع شرح الشواهد للعيني : أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (ت 1206هـ) تحقيق : طه عبد الرؤف سعد، (د.ط)، المكتبة الوفيقية، القاهرة، مصر، (د.ت).
- حجة القراءات : لأبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق : سعيد الأفغاني، ط/5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1418هـ ـ 1997م.
- الحجة في القراءات السبع : للإمام ابن خالويه (ت 370هـ)، تحقيق وشرح : الدكتور سالم عبد العال سالم مكرم، ط/3، دار الشروق، بيروت، 1399هـ ـ 1979م.
- الحجة للقرّاء السبعة : تصنيف أبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت 377هـ)، تحقيق : بدر الدين قهوجي و بشير جويجاتي، راجعه ودققه : عبد العزيز رياح، ط/1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1407هـ ـ 1987م.

- الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي : الدكتور زيد خليل القرالة ، ط/ 1، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 1425هـ – 2004م.
- حياة اللغة العربية : الأستاذ حفنى ناصف، ط1/، مكتبة الثقافة الدينية، 1423– 2002م.
- الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392ه)، تحقيق : محمد علي النجار، ط/4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (د.ت).
- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد : الدكتور غانم قدوري الحمد، ط/2، دار عمار، عمان، 1428هـ – 2007م.
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : الدكتور حسام سعيد النعيمي، (د.ط)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية (د.ت).
- دراسات في فقه اللغة : الدكتور صبحي الصالح، (د.ط)، دار العلم للملايين، لبنان، بيروت، 2009م.
- دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته : الدكتور أحمد مختار عمر، ط/1، عالم الكتب، القاهرة، 1421هـ – 2001م.
- دراسة السمع والكلام : الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، (د.ط)، عالم الكتب، القاهرة، 1426هـ – 2005م.
- دراسة الصوت اللغوي : الدكتور أحمد مختار عمر، (د.ط)، عالم الكتب، القاهرة، 1418هـ – 1997م.
- دراسة في علم الأصوات : الدكتور حازم علي كمال الدين، ط/1، مكتبة الآداب، القاهرة، 1420هـ – 1999م.
- دروس في علم أصوات العربية : جان كانتينو، نقله إلى العربية : صالح القرمادي، (د.ط)، نثريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966م.
- دروس في النظام الصوتي للغة العربية : الدكتور عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، (د.ط)، 1428ه.
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، تحقيق : مكتب قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي : أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، ط/1، مؤسسة قرطبة، (د.ت).
- السبعة في القراءات : لابن مجاهد (ت 324هـ)، تحقيق : الدكتور شوقي ضيف، ط/3 دار المعارف، القاهرة، 1400م.
- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح بن جني (ت 392هـ)، تحقيق : محمد حسن محمد إسماعيل وأحمد رشدي شحاته عامر، ط/2 دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي : لأبي القاسم علي بن عثمان القاصح (ت 801ه)، راجعه شيخ القرّاء والمقارئ بالديار المصرية: الشيخ علي محمد الصباغ، ط/3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1373هـ – 1954م.
- الشافية في علمي التصريف والخط، لابن الحاجب (ت 646هـ)، تحقيق : الدكتور حسن أحمد العثمان الشافيجي، ط/2، المكتبة المكية، مكة المكرمة، 1435هـ – 2014م.
- الشامل في القراءات المتواترة : الدكتور : محمد حبش، ط/1، دار الكلم الطيب، مكتبة مبارك العامة، دمشق، 1422هـ – 2001م.
- شرح الأشموني لألفية ابن مالك : علي بن محمد نور الدين الأشموني (ت 900هـ)، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ – 1998م.
- شرح شافية ابن الحاجب : تأليف الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت 686هـ) مع شرح شواهده، تحقيق الأساتذة : محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ – 1982م.

- شرح المفصل : لابن يعيش النحوي (ت 643هـ)، تحقيق : الدكتور إميل بديع يعقوب، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ – 2001م.
- شرح الملوكي في التصريف : لابن يعيش النحوي (ت 643هـ)، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة، ط/1، المكتبة العربية، حلب، 1393هـ – 1973م.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت 395هـ)، (د.ط)، المكتبة السلفية، القاهرة، 1328هـ – 1910م.
- الصِّحاح وتاج العربية : تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، ط/4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1407هـ – 1987م.
- ضياء السالك إلى أوضح المسالك : محمد عبد العزيز النجار، ط/1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ – 2001م.
- العبر في خبر من غبر : تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)
- العربية الفصحى دراسة في البناء اللغوي : هنري فليش : تعريب وتحقيق وتقديم : الدكتور عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مكتبة الشباب، (د.ت).
- علم الأصوات : برتيل مالمبرج، ترجمة :الدكتور عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مكتبة الشباب، (د.ت).
- علم الأصوات : الدكتور كمال بشر، (د.ط)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000م.
- علم الأصوات العام (أصوات اللغة العربية) : الدكتور بسام بركة، (د.ط)، مكتبة وملتقى علم الأصوات، بيروت، (د.ت).
- علم الأصوات العربية : الدكتور محمد جواد النوري، ط/1 منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1996م.
- علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا : الدكتور عصام نور الدين، ط/1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992م.
- علم الصرف الصوتي : الدكتور عبد القادر عبد الجليل، (د.ط)، سلسلة الدراسات اللغوية (8)، 1998م.
- علم الصوتيات : الدكتور عبد العزيز أحمد علام، والدكتور عبد الله ربيع محمود، (د.ط)، مكتبة الرشيد ناشرون، الرياض، 1430هـ – 2009م.
- علم اللغة : الدكتور علي عبد الواحد وافي، ط/9، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004م.
- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : الدكتور محمود السعران، (د.ط)، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ت).
- علم وظائف الأصوات الفونولوجيا : الدكتور عصام نور الدين، ط/1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1992م.
- العميد في علم التجويد : محمود بن علي المصري (ت 1367هـ)، تحقيق. محمد الصادق قمحاوي، ط/1، دار العقيدة، الإسكندرية، 1425هـ – 2004م.
- العين : لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424ه – 2003م.
- غاية المريد في علم التجويد : عطية قابل نصر، ط/4، القاهرة، 1414هـ – 1994م.
- غاية النهاية في طبقات القرّاء : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت 833هـ)، عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر، (د.ط)، مكتبة ابن تيمية، (د.ت).

- الفتح والإمالة : لأبي عمرو الداني (ت 444هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق : أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، (د.ط)، (د.ت)
- فقه اللغات الساميات : تأليف المستشرق كارل بروكلمان، ترجمة : الدكتور رمضان عبد التواب، (د.ط)، جامعة الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1397هـ ـ 1977م.
- فقه اللغة وأسرار العربية : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت 429هـ)، تحقيق : الدكتور يحيى مراد، ط/1، مؤسسة المختار، القاهرة، 1430هـ ـ 2009م.
- في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ : الدكتور فاضل غالب المطلبي، (د.ط)، وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1984م.
- في البحث الصوتي عند العرب : الدكتور خليل إبراهيم العطية، (د.ط)، دار الجاحظ للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد،1403هـ ـ 1983م.
- في الصوتيات العربية أصوات الذلاقة بين القدماء والمحدثين : سلوى محمد القباطي، ط/1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2016.
- في اللهجات العربية : الدكتور إبراهيم أنيس، ط/8، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1992م.
- القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : الدكتورة مي فاضل الجبوري، ط/1، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق، بغداد، 2000م.
- القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية منهج لساني معاصر : الدكتور سمير شريف إستيتية، (د.ط)، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2005م.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : الدكتور عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
- القراءات واللهجات من منظور علم الأصوات الحديث : الدكتور عبد الغفار هلال، ط/3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1426هـ ـ 2005م.
- القلب والإبدال، يعقوب بن إسحاق بن السكيت (ت 244هـ)، (د.ط)، مكتبة المصطفى، (د.ت).
- الكتاب : عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقب بسيبويه (ت 180هـ)، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون، ط/3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408هـ ـ 1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538ه)، ط/3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407ه.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها : لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437هـ)، تحقيق : الدكتور محيي الدين رمضان، ط/3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1404هـ ـ 1984م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى الكفوي (ت 1094هـ)، وضع فهارسه:عدنان درويش ومحمد المصري، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1419هـ ـ 1998م.
- اللباب في علل البناء والإعراب : أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت 616هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الإله النبهان، ط/1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ ـ 1995م.
- لسان العرب : لابن منظور (ت 711هـ)، مذيل بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، ط/3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
- اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور تمّام حسان، (د.ط)، دار الثقافة، 1994م.
- اللهجات العربية في التراث : القسم الأول في النظامين الصوتي والصرفي : الدكتور أحمد علم الدين الجندي، (د.ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا 1983م.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية : الدكتور عبده الراجحي، (د.ط)، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م.

- لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها : الدكتور عبد المنعم سيد عبد العال، (د.ط)، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1388هـ – 1968م.
- ما ذكره الكوفيون من الإدغام : لأبي سعيد السيرافي (ت 368هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه : الدكتور صبيح التميمي، ط/1، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، 1405هـ ، 1996م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها : لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392هـ)، تحقيق : علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الحليم النجار، الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة أحياء كتب السنة، (د.ط)، وزارة الأوقاف، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1415هـ ، 1994.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لابن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1422هـ ، 2001م.
- المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها الجزء الأول : محمد الأنطاكي، ط/3، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).
- المدخل إلى علم أصوات العربية : الدكتور غانم قدوري الحمد، ط/1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1425هـ، 2004م.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب، ط/3، مكتبة الخانجي، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، 1417هـ، 1997م.
- المدخل في علم الأصوات المقارن : الدكتور صلاح حسنين، (د.ط)، منتدى سور الأزبكية، مكتبة الأداب، 2005، 2006م.
- مراح الأرواح : للعلامة أبي الفضائل أحمد بن علي بن مسعود حسام الدين (ت700ه)، اعتنى به وصححه الشيخ أحمد عزو عناية وعلي محمد مصطفى، ط/1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق فؤاد علي منصور، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، 1998م.
- المستنير في القراءات العشر : لابن سوار البغدادي (ت 496هـ)، تحقيق عثمان محمود غزال، ط/1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2010م.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية : الدكتور عبد العزيز الصيغ، ط/1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن : محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت 510ه)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420 هـ.
- معاني القرآن : أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت 207ه)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط1، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت).
- معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القرّاء : الدكتور أحمد مختار عمر، والدكتور عبد العال سالم مكرم، ط/2، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1408ه، 1988م.
- معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب : مجدي وهبة، وكامل المهندس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، دار الفكر للطباعة والنشر، طبعه المجمع العربي الإسلامي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، 1392هـ، 1972م.

- معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ)، ط/1، دار الكتب العلمية، 1417 هـ، 1997م.
- المفصل في علم العربية : أبي القاسم الزمخشري (ت 538هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور فخر صالح قدارة، ط/1، دار عمار، عمان، 1425هـ، 2004م.
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، الدكتور محمد سالم محيسن، ط/6، دار محيسن، القاهرة، 1424هـ، 2003م.
- المقتضب : لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، (د.ط)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- المقطع الصوتي في العربية : الدكتور صباح عطيوي عبود، ط/1، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، 1435هـ، 2014م.
- الممتع في التصريف : لابن عصفور الأشبيلي (ت 669هـ)، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، ط/1، مكتبة لبنان، ناشرون، 1996م.
- مناهج البحث في اللغة : الدكتور تمّام حسان، (د.ط)، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب (د.ت).
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين : تصنيف الإمام العلامة محمد بن محمد الجزري (ت 833ه)، تحقيق علي بن محمد العمران، (د.ط)، (د.ت).
- المنهج الصوتي للبنية العربية : الدكتور عبد الصبور شاهين، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1400هـ، 1980م.
- المهذب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر : الدكتور محمد محمد محمد سالم محيسن، (د.ط)، المكتبة الأزهرية للتراث، (1417ه_ 1997م).
- الموسيقى الكبير، أبو نصر محمد الفارابي (ت 339هـ)، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبه، مراجعة وتصدير دكتور محمود أحمد الحفنى، (د.ط)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- الموضح في التجويد : عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت 461ه)، تحقيق غانم قدوري الحمد، (د.ط)، دار عمار، عمان، 1421هـ ـ 2000م.
- الموضح في وجوه القراءات وعللها : تأليف الأمام نصر بن علي بن محمد أبي عبد الله الشيرازي الفارسي الفسوي النحوي المعروف بابن أبي مريم (ت 565ه)، تحقيق ودراسة الدكتور عمر حمدان الكبيسي، ط/1، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، 1414ه ـ 1993م.
- النشر في القراءات العشر : لـ محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت 833هـ)، أشرف على تصحيحه ومراجعته علي محمد الضباع، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد : تأليف الشيخ محمد مكي نصر الجريسي (ت 1322ه)، دقق هذه الطبعة وضبطها أحمد علي حسن، وراجعها على النسخة التي صححها على نسخة المؤلف المغفور له الشيخ علي محمد الضباع، ط/4، مكتبة الآداب، القاهرة، 1432هـ، 2011م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي (ت911هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).

الرسائل والأطاريح :

- كتاب المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيص واختيار خلف واليزيدي : تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادي الحنبلي

(464هـ – 541م)، رسالة دكتوراه، دراسة وتحقيق : المحاضر عبد العزيز ناصر السبر، أشراف : فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العزيز أحمد إسماعيل، (د.ط)، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه، (د.ت).

- منهج الدرس الصوتي عند العرب : علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور محمد حسين آل ياسين، (د.ط) كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة بغداد، 2002

البحوث :

- تحليل الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي : سمير شريف إستيتية، مجلة جامعة الملك سعود، م 6، الآداب (1)، ص ص 87– 117 (1414هـ/ 1994م).

Abstract

(Syllabic Structure in The Qur'an Readings is A study of Some Phonemic Phenomena)

The aim of this study to clarify the structure of the syllable in phonological phenomena in terms of (necessity and permissibility, prohibition, and imperative). According to a plan divided into two chapters preceded by preface and an introduction. The introduction presented a general meaning to the topic by stating the importance of the books of readings, and its great relationship with the recitation of the Holy Qur'an with the detail of the research plan, it contained the study of methodology that followed and mentioned some old and modern sources adopted by the research .The preface, it came on three axes, it explained in the first axis: The Qur'anic recitations(what they are, their usefulness, and their purpose) in the second axis: he spoke about the Arabic phoneme in the phonological phenomena of the Qur'anic readings such as the phenomenon of slurring, substitution, shortening, tilt and opening, in The third axis: I dealt with the phoneme in terms of (what it is, its importance, types, and characteristics). The first chapter was devoted to a study (the phoneme and its relationship to aspects of influencing the silences, a study in light of the phenomena of compression and substitution).The second chapter: In it he studied the phenomenon of commutation, and the phoneme in alternating the hamza is a long movement), and substitution of T verbs, and in the alternation of (whistling sounds). As for the second chapter: I devoted it to a study (the phoneme and its relationship to aspects of the influence of the voices, a study in light of the phenomena of the tide and shortening, and the tilt and opening), and it was

completed in two chapters: Chapter One :I directed research into it to study the phenomenon of tide and shortening, and the phoneme in the madhha: in the extension of the sound The long verse in the verbal reason, the long alsat in the moral reason, and the position of the long saat in the manger of the Qur'an. The second chapter: I studied the phenomenon of inclination and opening, and between the phoneme in directing the inclination, and what I tend to indicate its inclination to its origin in nouns and verbs), and inclination for tilt, and the inclination of the feminine and the preceding it in the endowment. These chapters were followed by the conclusion that included the most important findings of the research, and then we included them with a list of sources and references, and a summary in English.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Misan

Education college

Syllabic Structure in The Qur'an Readings is A study of Some Phonemic) (Phenomena

Dissertation submitted by:

Sa'ad Abbas sayd

To

Council of the College of Education in College of Education

Supervision By:

Hassan Hamead Mohsen

2020 A.D 1442 A.H